الجزءان الثالث والرابع
المجلد الثالث والتسعون

مجلّة
مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلّة المجمع العلميّ العربيّ سابقًا»

مجلّة محكّمة فصليّة

ذو القعدة ١٤٤١ وصفر ١٤٤٢ هـ
تمّوز وتشرين الأوّل ٢٠٢٠ م

الجزءان الثالث والرابع المجلد الثالث والتسعون

ISSN 0258-1442

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلميّ العربيّ سابقًا »

مجلّة محكّمة فصليّة

ذو القعدة ١٤٤١هـ وصفر ١٤٤٢هـ

تمّوز وتشرين الأوّل ٢٠٢٠م

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلَّة المجمع العِلميِّ العَربيِّ سابقًا »

أُنشئَت سنة ١٣٣٩هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

المدير المسؤول: الدكتور مروان المحاسني، رئيس المجمع

لجنة المجلة

الدكتور محمود السيِّد «رئيس التحرير»

الدكتور مكي الحسني الجزائري — الدكتور مازن المبارك

الدكتور ممدوح خسارة «المقرر» — الدكتورة لبانة مشوِّح

الدكتور وهب رومية — الدكتور عبد الناصر عسَّاف

أمينة المجلة: ريم الملَّاح

أغراض المجلة:

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية وأبرزها:

المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

البحوث والمقالات المنشورة في المجلة تعبّر عن آراء أصحابها،
ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع باستثناء القرارات المجمعيّة

قواعد النشر:

١- أن يتسم البحث بالجدَّة والأصالة والموضوعية.

٢- أن يُرفق البحث بالسيرة الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني.

٣- ألَّا يقلَّ البحث عن عشر صفحات وألَّا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة (٧٠٠٠ كلمة)، أما المقالات والتعريف بالكتب فيُقبَل منها ما يقلُّ عن عشر صفحات.

٤- أن تكتب في بداية البحث مقدمة تبين الغرض منه والبنود الرئيسية التي سيتناولها بالتفصيل.

٥- أن يخلو البحثُ من أي إساءة إلى الكُتّاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.

٦- أن يُعِدَّ الباحث - إذا رغب في ذلك - ملخصاً لبحثه بالإنكليزية أو الفرنسية.

٧- أن يلتزم الباحث المنهجَ العلميَّ في التوثيق، فتُعطى الحواشي أرقاماً متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته، وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها كما يلي:

أ- «اسم المؤلف أو الكاتب – اسم الكتاب أو المجلة - رقم الصفحة»، **وفي المصادر والمراجع** يكتب:

ب- «اسم الكتاب - اسم المؤلف - اسم دار النشر ومكانها - رقم الطبعة وتاريخها».

ويمكن للكاتب أن يتخيّر أحد البندين (أ) أو (ب) على أن يجري على نسق واحد في توثيق المصادر والمراجع والحواشي.

٨- أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة بالحرف (Mylotus) أو (Traditional Arabic) قياس (١٦)، وأن تشفع بقرص مدمج مسجلٍ عليه عنوان البحث، أو ترسل بالبريد الإلكتروني.

٩- على الباحث أن يلتزم مصطلحاً واحداً في بحثه إذا تعددت المقابلات العربية للأصل الأجنبي والأولى أن يكون مما جاء في المعاجم المتخصصة.

١٠- أن تُوضع الكلمات العربية أو المُعرَّبة **قبل** مقابلها الأجنبي عند ورودها **أول مرة فقط**، نحو: تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).

١١- أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، الفاصلة المنقوطة، ...إلخ.

١٢- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد عليها بعد أن تخضع للتقويم السِّرّي.

١٣- ألّا يكون البحث منشوراً أو مرسلاً للنشر في مجلة أخرى أو مستلًّا من رسالة، ويتعهد الباحث بذلك خطيًّا.

١٤- تُرتَّب البحوث والمقالات وَفق اعتبارات فنية.

١٥- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردُّ إلى أصحابها.

١٦- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان الآتي:

دمشق ص. ب ٣٢٧. البريد الإلكتروني: E – mail: mla@net.sy

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشابكة (الإنترنت):

www.arabacademy.gov.sy

❊ ❊ ❊

فهرس الجزأين الثالث والرابع

من المجلد الثالث والتسعين

البحوث والدراسات

- موقع اللغة العربية في الفكر العالمي — د. مروان المحاسني ٣١١
- خطر الهجين اللغوي في مواقع التواصل الاجتماعي على لغتنا العربية — د. محمود السيد ٣١٩
- تكملة مادة لغوية بَحَث، بَدَر، شَعَب، فَوَض — د. ممدوح خسارة ٣٤٥
- عناصر تداولية في الدرس اللغوي العربي — د. عيسى العاكوب ٣٦١
- تجارب في إيقاع الشعر حتى نهاية العصر الأموي — د. فاروق اسليم ٣٧١
- العين والأثر في ما نظمه الشعراء في العصر الحديث — د. رضوان الداية ٤٠١
- شفيق جبري واللغة — د. لطفية برهم ٤٤٥
- ديوان الشاب الظريف — د. عباس الجراخ ٤٦٥

المقالات والآراء

- لمحة إلى كذا — د. مكي الحسني ٤٩٥

- الاعتراض بعد الحض أ. يوسف البواب ٥٠١

التعريف والنقد

- بل هو أسلوب صحيح فصيح د. عبد الناصر عساف ٥٠٩
- وهيب دياب وتكملة التاج د. مازن المبارك ٥٣١
- معجم موسوعي للمصطلحات الأنثروبولوجية د. عبد الإله نبهان ٥٣٥

المحاضرات والمدارسات

- إشكالية ترجمة المشترك اللفظي
في القرآن الكريم د. لبانة مشوّح ٥٤٧

أنباء مجمعية وثقافية

- نعي فاضل ٥٧١
- تعزية لرئيس مجمع اللغة العربية الأردني ٥٧٧
- من قرارات مجلس المجمع في الألفاظ والأساليب ٥٨١
- فهرس المجلد الثالث والتسعين ٥٩٧

❊ ❊ ❊

البحوث والدراسات

موقع اللغة العربية في الفكر العالمي

أ. د. مروان المحاسني(*)

لقد استفاق العالم الحديث على حقائقَ مرعبةٍ بدأت تحتل مكانةً مُقلقة في وجدان الشعوب ألا وهي انحسارُ موقع بعض اللغات في مجالات التعامل العالمية، واندثارُ بعضها بعد نِزاعٍ مرير امتدَّ أقل من بضع عشرات من السنين.

ذلك أن نشرة اليونسكو عن اللغات(١) قد دقت ناقوس الخطر حين أدرجت ما يقارب ألفين وخمسمئة لغة في قائمة اللغات السائرة في طريق الاندثار خلال القرن الحادي والعشرين، وأثبتت في تلك القائمة أن اللغات الحيَّةَ اليوم لا يتجاوز عددها سبعة آلاف لغة.

وقد أثبت هذا الإحصاء أن كلّ لغة لا يستعملها عدد يفوق عشرة آلاف متكلم محكومةٌ بالانقراض، إذ إنها تبدأ بالانحدار متى لم يتجاوزْ عددُ الناطقين بها المئة ألف متكلم، وقد تبين أن خمساً وخمسين بالمئة من اللغات في عالم اليوم لا يتكلم بها أكثرُ من عشرة آلاف متكلم.

إن التاريخ قد عرف عدداً من اللغات سادت بقعةً كبيرة من المسكونة ثم انقرضت إلى غير رجعة، كاللغة الحثّية في بلاد الرافدين، واللغةِ الأتروسكية التي بُنيت روما على أرض أصحابها، ولغاتِ جزيرة كريت في

(*) رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) www.unesco.org/culture/fr/endangered languages

البحر المتوسط، ولغةِ المايا في أمريكا الجنوبية، ولغةِ أهل وادي السند، واللغةِ الفارسية القديمة.

إنها لغات انتقل أصحابها إلى لغة أخرى أتتهم إما غازيةً، أو محمولةً على زخم ثقافي جارف لم تصمد لغاتهم أمامه.

وهكذا فقد بقيت بعض هذه اللغات محفوظةً في نصوصٍ منقوشة مازال الباحثون يجدّون في حلِّ ألغازها المجمّدة في رُقم وصخور، على حين اختفت لغات أخرى لم يَهتدِ أصحابها إلى نعمة الكتابة التي تمثّل مستند الديمومة في عالم دائم التغيّر، فهي لغاتٌ لأقوامٍ عرفتهم البشرية عن طريق لغاتٍ غيرِ لغاتهم.

ليست اللغة العربية مهدَّدةً بالزوال، فهي اليوم في عداد اللغات الاثنتي عشْرة التي يتجاوز الناطقون بها المئة مليون متكلم، تلك اللغات التي تُمثّل بمجموعها خمسةً وأربعين بالمئة من سكان العالم. واللغة العربية من اللغات القليلة في العالم التي يزيد عمرها على ألفي عام، باستثناء بعض اللغات المكتوبة التي بقيت قائمة بعد أن طرأت عليها تغيراتٌ كبيرة، كاللغة الصينية أو اليونانية.

إلا أن لغتنا تواجه اليوم تحدياتٍ جسيمةً أهمُّها عولمةُ الاتصالات والمبادلات التجارية، والهجراتُ البشرية الناتجة عن دوافع اقتصادية تُبعد الأبناء عن أوطانهم فيفقد الأحفاد لغة آبائهم.

يقول لويس ماسينيون: إن اللغة العربية وُلدت جاهزةً لا طفولة لها، وكأنها الإلهة مينرفا التي وُلدت من رأس جوبتر شاكيةَ السلاح.

والحقيقة أن أصحاب اللغة حين دخلوا بلاد الشام، وقد كانت حينذاك حَيّزاً ثقافيًّا تملؤه لغاتٌ عروبية قديمة كالأكادية والكنعانية والآرامية والسريانية، كانوا يحملون لغةً غنية اشتهرت بشعرائها وخطبائها، وأذكتها الدفعة البيانية الإيمانية التي حملها القرآن الكريم إليهم.

وكان أن بزغت في بلاد الشام تباشيرُ انفتاح فكري كان القرآن الكريم منطلقَه المرجعي، وذلك بما تتضمّنه آياته من حثٍّ على التفكّر، واعتمادٍ على العقل، وتوضيحٍ لموقع الإنسان في الخليقة. وهكذا فقد انفتحوا على الحضارات السابقة والمعاصرة، وانكبّوا على توضيح دقائق لغتهم لتكون قادرة على استيعاب العلوم، ووضعوا المقابلات المناسبة للمصطلحات الأعجمية، وقد اعتمدوا دراسةً تحليلية لقواعد اللغة ومنطلقاتها أساساً لتفهّم ما يحيط بهم من معطيات علمية وحضاريّة ومعيشيّة.

إنه الانفتاح الفكري واللغوي الذي أتاح للفاتحين العرب الانتقالَ من بداوة مفترضة إلى قمم حضارية أضحت اللغة العربية الحاملَ المتميز لمكوناتها، فنشرت العلوم والأفكار في أركان المعمورة منذ القرن الإسلامي الأول، حتى كان لكل من دمشق وبغداد إشعاعٌ معرفي امتدَّ حتى تخوم الصين.

أما حركة الترجمة التي انطلقت من دمشق وبلغت أوجها في بغداد فهي التي أتاحت لهم الإفادة من الحضارات القائمة في حواضر قديمة: كجند يسابور وحرّان وبابل، يغترفون منها ما يضيفونه إلى ما أخذوه من علوم اليونان.

فحركة الترجمة من اليونانية إلى العربية تؤلِّف مرحلةً حاسمة في تاريخ البشرية جمعاء، وهي تعادل في أهميتها أثينا بريكليس، أو النهضة الإيطالية، حتى الثورةَ العلميةَ الأوربية في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

ويجدر بنا في هذا الصدد أن نذكر حركةً مماثلة كان لها أثر بعيد في الحضارة العالمية، هي تلك الترجمةُ المعكوسة للنصوص الأرسطية وسواها، من العربية إلى اللاتينية، حين كانت أوربا في القرن الميلادي الثاني عشر تتطلب نوعاً جديداً من المعرفة، مستقلًّا عن التعليم الكنسي الذي كان يقوم به رجال الدين، وهو ما كان يُطلق عليه المدرسانية Scolastique، فإن ترجمة

النصوص العربية إلى اللاتينية قد أعادت إلى اللّغة العربية عِلْميَّتَها وعالميَّتَها وجعلتها المرجعية المعتمدة في بناء الحضارة الأوربية نظراً لما ضمَّتْه من معطيات معرفية مفسِّرةٍ للنصوص الإغريقية.

لقد كان مشروع الترجمة في دمشق وبغداد مشروعاً عربيًّا علميًّا وفلسفيًّا يقصد سبْرَ أغوار العلوم المعروفة في ذلك العصر مستنداً إلى المنهج الأرسطي، هادفاً إلى «التقدّمِ بالمعرفة لا مجرّد تكرارها عن طريق الاستظهار الببغائي» كما قال الكندي فيلسوف العرب[٢].

وهكذا حملت اللغة العربية إلى الآفاق روحاً موسوعية تجلّت في أعمالٍ سطَّرها أمثال ابن سينا والرازي وابن الهيثم، برز فيها ما أصبح يُعرف بالفكر العلمي، أي: المنهج العلمي، الذي مكّن أولئك المؤلِّفين من إضافة تجاربهم الشخصية إلى كل فرع من العلوم، فقد كانوا يتدرّجون من التجربة إلى الاستقراء، إلى القياس، وصولاً إلى البرهان. هذا هو الخط الذي اتّبعه جابر بن حيان في الكيمياء وابن الهيثم في البصريات والبيروني في الأوزان النوعية وفي توصيف الجاذبية الأرضية، وكلُّها كشوف ثمينة تَمّ بناء العلوم الحديثة عليها. إنها مؤلَّفاتٌ صيغت بلغةٍ تَعمَّق العربُ في دراستها، وأشبعوها تحليلاً وتدقيقاً على أيدي الخليل بن أحمد ومن تبعه من اللغويين من أمثال ابن جني والزجّاج وكثيرٍ غيرهم. وقد توّج السيوطي ذلك المجهود في القرن الهجري العاشر بكتابه المنهجيّ «الأشباه والنظائر في النحو»[٣] اعتمد فيه منهاج علوم الفقه

(٢) ديمتري غوتاس: «الفكر اليوناني والثقافة العربية» ص٢٠٣ مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٣.

(٣) جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ) الأشباه والنظائر في النحو - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦.

مستنداً إلى القياس، حسب قولهم بأنَّ «النحو هو العلمُ بمقاييسَ مستنبطةٍ من استقراء كلام العرب»[٤]. وبذلك فقد جعل العرب من لغتهم أداةً طيّعة حمّلوها نتاج فكرهم المنفتحِ على جميع الثقافات، ناشرين الروابط والتقاطعات بين مؤلَّفات شملت مساحاتٍ واسعةً من المعرفة البشرية على امتداد قرون عديدة، فقد أفادوا في تأسيس بنائهم العلمي والحضاري من رُكام حضاراتٍ أصابها الركود، وبقيت علومها حبيسة الكتب والمخطوطات.

وبذلك قامت على أيدي العرب حركةُ تطويرٍ شامل للفكر القديم حين أصبحت اللغة العربية لغة عالمية قادرةً على استيعاب العلوم القديمة كافة، وتمكنوا من إقامة منهاج علمي بنوه على مقوّمات عقلية، وصبّوا جهودهم في طَيّاته ليدركوا ما خفي في علوم القدماء، حتى استطاعوا الارتقاءَ إلى مجالات الإبداعات الشخصية، التي مكنتهم من ابتكار علومٍ وفنون جديدة خاصةٍ بهم أصبحت بعدها تراثاً إنسانيًّا بقي العالم يغترف منه كلَّ جديد، وانبثق منه فكرٌ علمي أوربي ابتداء من روجر بيكون وصولاً إلى ديكارت.

ذلك أن العلوم الإسلامية دخلت أوربا في القرن الميلادي الحادي عشر على أيدي جربير دوريّاك الذي ارتقى السدة البابوية باسم سلفستر الثاني، وقسطنطين الإفريقي وجيرار الكريموني، وهم من مدرسة سالرنو التي اختصت بترجمة النصوص العربية إلى اللاتينية، وذلك قبل بروز اللغات الأوربية المنشقة عن اللاتينية، وكان أن أُنشئت جامعة مونبلييه في فرنسا وجرى تدريس الطب فيها باللغة العربية عام ١٠٢١ للميلاد من قبل عرب كانوا يعملون في مدرسة سالرنو للترجمة.

لقد يَسّرت اللغة العربية المنطلقة من تلك المنطقة الواسعة التي

(٤) لمع الأدلة ص٩٥.

وحّدتها الدولة العربية الإسلامية، والممتدة من أواسط آسيا إلى جبال البيرينيس، يسّرت التواصل والاتصال تجاريًّا وثقافيًّا، وبذلك مهّدت للآراء والأفكار أن يتحرر تنقّلها بعد أن أقبل المثقّفون على تعلّم العربية أو انكبوا على البحوث المترجمة عنها..

وهكذا نفذ تأثير الحضارة العربية الإسلامية المحمولة على لغة لا حدود لاشتقاقاتها وطواعيَتها إلى أصقاع بعيدة عن مركز انطلاقها، فانتقلت عبر صقلية وإسبانيا إلى المناطق الأوربية الأخرى، واكتمل إشعاعها على أيدي أمثال فريدريك الثاني في القرن الرابع عشر، والملك روجر الصقلّي في مطلع القرن الثاني عشر، وقد أبديا شغفاً حقيقيًّا بكل ما هو عربي، وكان في البلاط الصقلي عددٌ من العلماء العرب وأهمهم الإدريسي الجغرافي في عهد الملك روجر الثاني.

وبعد قرنين من إنشاء جامع قرطبة الكبير الذي نال إعجاب الأوربيين ظهرت الكاتدرائيات الكبيرة في فرنسا وألمانيا، ولعلها استوحت من عظمة ذلك المسجد تصوراً لما يجب أن تكون عليه أماكن العبادة المسيحية.

إن تأثير الآداب العربية في الفكر الأوربي لم ينقطع بعد عصر النهضة حين عادت أوربا إلى تعرُّف بالحضارات القديمة عن طريق الترجمات العربية. ولذا رأينا كيف أفاد الشاعر الإيطالي الكبير دانته من فردوس أبي العلاء المعري، وكيف اندفع الشاعر الألماني غوته وصديقه هردر إلى دراسة الشعر العربي وشعر المعلقات بخاصة، ويكفي أن نذكر التأثير الواضح للمعلقات السبع في ديوان غوته الغربي الشرقي، وقد قال في رسالة إلى صديقه شلوس: «من المحتمل ألا توجد لغةٌ ينسجم فيها الفكر والكلمة والحرف بأصالةٍ عريقة كما هي الحال في العربية»(٥).

(٥) غوته: رسالة إلى / H.Schlosser/ في ٢٣/ ١/ ١٨١٥.

كما أننا نرى كيف اقتفى دانيال دي فو أثر ابن طفيل حين ألَّف كتابه (روبنسون كروزو) على منوال قصة حيٍّ بن يقظان. ويمكننا كذلك تصوّرُ وجودِ صلة بين النزعة الإنسانية التي تجلّت في أعمال التوحيدي ومسكويه في القرن الرابع الهجري، وبين النزعة الإنسانية الأوربية التي تمثّلت في أعمال إراسموس في القرن الخامس عشر الميلادي، وهي تتركز في الاهتمام بكل ما يخص حياة الإنسان الفكرية والعملية بعيداً عن التصلُّب العقائدي، مع الإصرار على إعطاء القيم الإنسانية مكان الصدارة.

إن اللغة العربية قد استقطبت إلى جانب أبنائها نخبةً من المفكرين والباحثين من أعراق مختلفة وجدوا فيها مجالاً ممتازاً، وجهازاً لغويًّا كامل التكوين يكفي لإشباع رغباتهم في متابعة العلوم والولوج إلى المقومات الفلسفية للفكر الإنساني، ومنهم من ساهم مساهمةً كبرى في تطور اللغة التي اعتمدوها وسيلة عالمية تحمل أرقى منتجات الفكر البشري.

وانتهى الأمر إلى استحواذ اللغات المجاورة كالتركية والكردية والفارسية على عدد كبير من الألفاظ العربية المعبّرة عن الأمور الفكرية المجرّدة وعن الأحاسيس والمشاعر، ولم تستطع القرارات السياسية إقصاء هذه الألفاظ عن تلك اللغات حتى يومنا هذا. وبرزت لغات هجينة كالهاوسا والسواحلي تعتمد اللغة العربية في معظم مجالاتها، وقد اطّلعتُ على كتاب حديث تُرجم عن الصينية إلى الإنكليزية أثبت فيه مؤلِّفه وجودَ ما يزيد على ألف كلمة عربية في اللغة الصينية.

إن كل لغة تعطي الناطقين بها صورةً عن عالمهم هي صورة مُوشّاة بكل حرف من حروف الكلم، تتناثر حولها فُويرقات بين المعاني، وتتّسق مع المختَزن في المخيال الفردي والجماعي لتعطي كلَّ فرد مجالاً حياتيًّا يأنس به ويَطبعُه بطابع ذاتيته الثقافية ليحقق هويته.

نحن أبناء لغة نتمتع بجمالياتها ونغوص في أغوارها شاكرين لمن سبقنا حسن صنيعهم في الحفاظ عليها، مؤكدين عزمنا على خدمتها بما يوصلها إلى التطابق مع معطيات العصر.

ستكون اللغة العربية لغةً عصريةً إذا نحن بذلنا المجهودَ اللازم لجعلها متجاوبةً مع كل حداثة، ولن نصل إلى هذا الهدف إلا بعد إيقاظ علائق المحبة بين المتكلم وبين مفردات لغته الجميلة وتراكيبها المُعبّرة البليغة.

لا ينكِر موقعَ اللغة العربية في الفكر العالمي إلا كلٌّ جاحد لا يقيم وزناً لحقائق التاريخ، ويتنكّر لكنوز تراث امتدَّ عدةَ قرون منارةً يهتدي بها كل متشوّق إلى العلم، وبقي حيًّا في وجدان كل باحث يهتم بتطور الفكر البشري.

إن ألدّ أعداء اللغة العربية أبناؤها الذين يقبلون الانجراف في عولمة عاتية مدمّرة للثقافات، فيخرجون لغتهم من حياتهم الفكرية بل ومن حياتهم اليومية.

وإن المؤتمرات حين تكون محمولةً على موجة من القناعات تشحذ الهمم، وتحرك السواكن، هي من أفضل السبل التي تعيد اللغة العربية إلى وجدان الأمة لغةً ناضجة ذاتَ أبعادٍ لا متناهية مفتوحةً على رياح المستقبل.

* * *

خطر الهجين اللغوي
في مواقع التواصل الاجتماعي
على لغتنا العربية

أ. د. محمود أحمد السيّد(*)

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مفهوم الهجين اللغوي في مواقع التواصل الاجتماعي، والوقوف على أسباب انتشاره ومظاهر هذا الانتشار، وتبيان آراء مناصريه، وخطر هذه الظاهرة على لغتنا العربية الفصيحة من وجهة نظر معارضيه، وأخيراً وضع بعض الصوى للحدّ من هذا الهجين.

أولاً- مدخل تعريفي:

الهجين لغةً من الفعل «هَجُنَ»، ومصدره هُجْنَةً وهَجانةً وهُجُونةً؛ أي: كان هجيناً، وهَجُن الكلامُ وغيره: أي: صار معيباً، والهجين من الخيل: غير العتيق الأصيل.

والهجين في علم الأحياء كما أَقرّه مجمع اللغة العربية بدمشق: هو نبات أو حيوان ينتج عن تزاوج نوعين أو سُلالتين أو صنفين مختلفين، وجمعه هجناء، وهي هجينة وجمعها هجائن(١).

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) وزارة التربية السورية - المعجم المدرسي - دمشق ٢٠٠٧ ص١٠٩٨.

ولقد جاء تعريف قدماء اللغويين للهجنة في الكلام بما يلزمك منه العيب، فتقول: لا تفعل كذا فيكون عليك هُجْنَة، والرجل الهجين: الذي أبوه عربي وأمه أَمَة، فاستعمال لفظ الهجين في الماضي لوصف الكلام الذي فيه هُجنة، وهو العيب.

وفي العصر الحديث يراد منه وصف المستوى اللغوي في استعمال العرب للغة في مختلف الميادين، وإن كان أبرزها تأثراً الاستعمال الحديث في وسائل التواصل الإلكتروني، فكثير من استعمال العرب للغتهم اليومية ما هو إلا خليط من الأخطاء والألفاظ الأعجمية، وتكون الهجنة أكثر وضوحاً حينما يختلط استعمال اللغة بالمصطلحات والتراكيب الدخيلة من لغات أخرى(٢).

فاللغة الهجينة هي خليط بين نوعين من اللغة أو أكثر، وجاء تعريف اليونسكو لها: بأنها اللغة التي تُستعمَل عادة عن طريق أشخاص لغاتهم مختلفة من أجل التواصل فيما بينهم، وتنتشر في كل قارات العالم ومنها أوربا(٣).

وكان يُظَنُّ أن مصطلح التهجين يتعلق بالنبات والحيوان وغيرهما. وفي وقتنا الحالي نجد لهذا المصطلح في عالم اللغات دلالة على تداخل العلوم العلمية مع العلوم اللغوية. وتتمثل هذه اللغة في تهجين أفراد الجماعة اللغوية للغتهم المحكية والمكتوبة بكلمات ومفردات تنتمي إلى لغة أجنبية أخرى، وتجري بشكل واع ومتعمد بطريق المحاكاة أو بشكل غير واع ومتعمد، ويعتقد من يمارسها أنها نوع من الرقي الحضاري، ويصبح في نظرهم من لا يمارسها غارقاً في غياهب التخلف(٤).

---

(٢) أ. د. عبد العزيز بن حميد الحميد - الشباب واللغة - مشكلة اللغة الهجين - مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية - الرياض - ٢٠١٩.

(٣) حكيمة حماد - اللغة الهجين واللغة المولدة - القطيف اليوم - ٢٠١٦ ص١.

(٤) محمد محمد داود - اللغة كيف تحيا؟ ومتى تموت؟ - دار النهضة المصرية ٢٠١٦ - ص١٢٩.

ولقد انتشرت هذه الظاهرة انتشاراً واسعاً، فأصبح أفراد المجتمع يلجؤون إليها في خطاباتهم الشفاهية والمكتوبة، وتستعين بها الطبقات الفاخرة في كلامها، وكأنه زخرفة لفظية تنمق الكلام، حتى وسائل الإعلام والمدرسة والجامعات تمزج العربية باللغات الأخرى في نأي عن استخدام الفصيحة، ومن ينأ عن استخدام لغته الأم يفقد نفسه وعزته وكرامته ووطنه، فالذي لا يحبها وينأى عنها يبقى دونما وطن على حدّ تعبير الشاعر نزار قباني، إذ يقول:

أنت البلاد التي تعطي هويتها من لا يحبك يبقى دونما وطن

ومن مظاهر انتشار هذه الظاهرة كثرة اللافتات بالأجنبية في البلدان العربية، وثمة خلطة غريبة في الأغاني والأداء في أغاني (فيديو كليب)، وهناك هيمنة للغة الأجنبية، وهجران تام للغات الوطنية باعتبارها لغة التراث لا الحداثة واللحاق بركب العصر، وعدم اعتماد الموروث الثقافي الوطني على أنه مرجعية دالة في التاريخ والعلوم والأدب(٥).

ولقد أطلق على الهجين اللغوي تسميات عدة في حياتنا التقانية المعاصرة، فهناك «العربيزي» و«الفرانكو آراب» و«الأرابيش» و«اللغة الفيسبوكية».... إلخ.

و«العربيزي» هو مصطلح يجمع في تركيبه بين العربية والإنجليزية، وهو مشتق من «Arabic» و«English» أُخِذَ الجزء الأول من الكلمة «Arabic» والجزء الثاني من «English»، وهي لغة غير رسمية ظهرت قبل عدة سنوات، يستخدمها الشباب والشابات في الكتابة والدردشة على مواقع الشابكة

(٥) زهية درويش – التهجين وانعكاساته على اللغة العربية في الجزائر – أقلام الهند مجلة إلكترونية محكمة – العدد الأول، مارس ٢٠٢٠.

(الإنترنت) أو رسائل مواقع التواصل الاجتماعي، وتختلط فيها الأحرف اللاتينية بالأرقام، وهي لغة هجينة بين اللغة العربية والإنجليزية، وغير محدودة القواعد، إذ تكتب بحروف لاتينية مع استبدال أرقام ببعض الحروف العربية غير الموجودة في اللاتينية، وتتميز بالانحراف في الرسم الكتابي إلى جانب الأخطاء الإملائية والنحوية والصرفية، وتفتقر إلى علامات الترقيم، وتمزج الفصحى بالعامية(٦).

ولقد أُطلِقَ عليها في الموسوعة الحرة «ويكبيديا» مسمى «الفرانكو آرابك»، وعرّفت بأنها «أبجدية مستحدثة غير رسمية» ظهرت قبل بضع سنوات، وتستخدم هذه الأبجدية على نطاق واسع بين الشباب في الكتابة والدردشة على الشابكة في المنطقة العربية، وتنطق مثل العربية تماماً، إلا أن الحروف المستخدمة في الكتابة هي الحروف والأرقام اللاتينية بطريقة تشبه الشفرة، وتعد الأوسع انتشاراً على الشابكة أو في رسائل المحمول (SMS).

وثمة من يطلق على هذه اللغة اسم لغة الشات، وهي اللغة التي يتكلم بها بعضهم في غرف الدردشة، ومقابلها بالإنجليزية Chat، وهي لغة تختلط فيها الأجنبية بالعربية. وأخطر تهديداتها يأتي بطريق كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية. وقد بدأت هذه الظاهرة بعد أن بدأ الشباب باستخدام وسائل التقانة في المحادثة والدردشة، ولجأ بعض الشباب الذين لا يجيدون اللغة الإنجليزية إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية(٧).

---

(٦) زغرودة ذياب مروش - الأرابيش وأثرها على اللغة العربية الفصحى - المؤتمر الدولي السابع للغة العربية - دبي ٢٠١٨ ص١٦٢.

(٧) سيد أبو الفضل سماوي وأحمد أميدوار - مجلة اللغة العربية وآدابها - السنة السادسة - العدد الحادي عشر - طهران ٢٠١٦ ص٧٦.

وأطلق بعضهم الآخر على هذه اللغة (الكرشنة)، وهي كتابة جمل لغة ما بأحرف لأبجدية أخرى لتسهيل الكتابة على لوحة مفاتيح لاتينية. وأصل الكلمة هو من كلمة (كرشوني)، وهي الكتابة العربية بأحرف سريانية التي اشتهرت في القرن السابع الميلادي في كتابة بعض المخطوطات العربية حين كان الخط العربي غير منتشر على نطاق واسع، وقد كانت أول بدايات كتابة العربية بأبجدية لغة أخرى. والكرشنة اصطلاحاً هي لغة تواصل شبابية تعتمد على الدمج بين اللهجة العامية والحروف اللاتينية والأرقام للتعبير عن جمل عربية. وبدأت لغة الكرشنة الحديثة من خلال المحادثات الإلكترونية على الشابكة (الإنترنت) والهاتف المحمول، وانتقلت إلى الاستعمال التجاري والدعاية الإعلامية برسائل مع تعزيز الجملة ببعض الرسوم والاعتماد على الاختزال(٨).

ولتعرف مظاهر هذه اللغة التي تجلّت عبر تسميات عدة كان لابدّ لنا من الوقوف على سمات هذه اللغة ومظاهرها وتجلياتها.

ثانياً- من سمات اللغة الهجينة:

من سمات اللغة الهجينة:

١- أنها لا تُعلَّم تعليماً نظاميًّا، بل تُكتسَب من خلال معايشة مستخدميها.

٢- خلاصها من القواعد غير المنتظمة في اللغة، إذ تتسم بانتظام كبير في قواعدها، وتخلو من الاستثناءات الموجودة في اللغة العربية الطبيعية.

٣- محدودة في تراكيبها وفي عدد كلماتها.

---

(٨) سامية بادي والدكتورة سوهام بادي - تأثير لغة التواصل الإلكتروني على مستقبل الحرف العربي - المؤتمر الرابع للمجلس الدولي للغة العربية - المجلد السادس - دبي ٢٠١٥ ص٧٩.

٤- سهولة تعلمها مقارنة بغيرها من اللغات.

٥- غياب التصريف منها.

٦- غياب الروابط منها، فجملها تخلو من الروابط.

٧- غياب كثرة الضمائر[٩].

ولقد اقترح «ستيوارت» أربع سمات تتميز بها اللغة الطبيعية، وتفتقر إليها اللغة الهجينة، وهي:

١- التقييس، وهو تقنين وقبول مجموعة معينة من المعايير للاستخدام الصحيح، وهي صفة تفتقر إليها اللغة الهجين؛ لأنها لا تملك كتب قواعد خاصةً بها ولا معاجم ومواد تقنين مشابهة.

٢- الاستقلالية، فنظامها مستقل يشير إليها وحدها، وهي صفة تفتقر إليها.

٣- التاريخية بمعنى قبول ضرب اللغة على أنه تطور طبيعي عبر الزمن، وهذه صفة تفتقر إليها اللغة الهجين المختلطة؛ لأن تاريخها لا يعد طبيعيًّا.

٤- الحيوية بمعنى وجود مجتمع غير معزول يتكون من متحدثين أصليين لضرب من ضروب اللغة، إذ ليس للغة الهجين مجتمعات من متحدثين أصليين[١٠].

وأكبر مثال على الهجين اللغوي اللغة المتداولة بين العمالة الوافدة في دول الخليج العربي، لأن بها هجنة وامتزاجاً بين لغات عدة مختلفة من أجل التواصل، لأهداف تواصلية بين طرفين الأول لغته العربية، والثاني لغته خليط من الأوردية والهندية والبنغالية وغيرها، وما تستخدمه الجماعات المختلفة

(٩) إبراهيم بن عبد العزيز أبو حميد - اللغات الهجينة والمولدة - دراسة لغوية اجتماعية - مجلة الدراسات اللغوية - ٢٠١٣ ص٩٩.

(١٠) حكيمة حماد - اللغة الهجين واللغة المولدة - القطيف اليوم - ٢٠١٦ ص١.

في الطرف الثاني كتواصل الفيليبيني، والباكستاني، والبنغالي في السعودية، وجماعات من الأقليات المختلفة التي تتحدث عشرات اللغات، وهذه لم تخضع لتعليم رسمي أو غير رسمي عن اللغة العربية، ولذلك تستخدم اللغة الهجينة المحدودة المفردات، وفيها كلمات عربية، فعبارة «أنت فيه جنجال» فيها كلمتان عربيتان «أنت وفيه»، وكلمة «جنجال» هي مفردة من اللغة الهندية، وتعني «مشكلة». ويمتد التغيير إلى أصوات اللغة، مثل بعض الأصوات غير الموجودة في لغات تلك الجماعات، فيستعاض عنها بأصوات أخرى كقلب «الحاء» هاءً في كلمة «روح» فتنطق «روه»، وذلك لعدم وجود الحاء في لغاتهم(١١).

ولا بد من الاعتراف بأن اللغة العربية تواجه تحديات كثيرة لعل «العربيزي» أحدها، فانتشار الإنجليزية أصبح أمراً واقعاً، ولها الأفضلية في الجامعات والمؤسسات وسوق العمل، إضافة إلى أن جميع التقنيات الحديثة تصمم حسب قواعد اللغة الإنجليزية وحروفها، وكل ذلك يشكل ضغطاً على العربية(١٢).

ومن سمات العربيزي:

١- كتابة النصوص العربية بأبجدية إنجليزية، وما هذه النصوص إلا مزيج من العامية والفصيحة والإنجليزية، وزاخرة بالأخطاء الإملائية والنحوية في كتابة الكلمات العربية.

٢- عدم اقتصار كتابة العربية واللهجة العامية على استعمال حروف اللغة الإنجليزية فقط، وإنما ثمة استخدام لبعض الأرقام مكان

(١١) د. علي بن ماجد آل شريدة - اللغة الهجين لغة العمالة الوافدة بين الضرر والضرورة - جريدة الرياض - العدد ١٥٦٣٤ سنة ٢٠١١.

(١٢) أ.د. صالح بن ناصر الشويرم - ظاهرة العربيزي - لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة - مركز الملك عبد الله بن سعود لخدمة اللغة العربية - ٢٠١٤.

الحروف، إذ توضع أرقام مكان بعض الأحرف في اللغة العربية التي ليس لها مقابل في الأجنبية:

فالرقم (2) مقابل الهمزة، فكلمة (سؤال) تكتب: So2al، وكلمة (سبأ) تكتب Saba2.

والرقم (3) مقابل حرف العين، فكلمة (عادل) تكتب: 3adel.

والرقم ('3) مقابل حرف الغين، فكلمة (غد) تكتب: 3'add.

والرقم (4) مقابل حرف الثاء، فكلمة (ثلاثة) تكتب: 4ala4ah.

والرقم (6) مقابل حرف الطاء، فكلمة (طه) تكتب: 6aha، وكلمة (طالب): 6aleb.

والرقم (7) مقابل حرف الحاء، فكلمة (حامد) تكتب: 7amed.

والرقم ('7) مقابل حرف الخاء، فكلمة (خبز) تكتب: 7'bz

والرقم (8) مقابل حرف القاف، فكلمة (قلم) تكتب: 8alam.

والرقم (9) مقابل حرف الصاد، فكلمة (صالح) تكتب: 9aleh.

والرقم ('9) مقابل حرف الضاد، فكلمة (ضامر) تكتب: 9'amer.

٣- استعمال الكثير من الاختصارات المتعارف عليها في اللاتيني الإنجليزي مثل:

SMS وتعني: رسالة نصية قصيرة

Hi وتعني: مرحباً

see you CU وتعني: نراك لاحقاً

you too U2 وأنت أيضاً

BRB وهي اختصار لجملة Be right back وتعني: سأعود قريباً، وسأرجع حالاً.

LoL وهـي اختصـار لجملـة Laughing out loud. ومعناهـا الحرفـي: اضحك بصوت عال.

TyT وتعني: خذ وقتك Take your time

I D k وتعني: لا أعرف I don't know

TC وتعني: انتبه على نفسك Take care

وثمة اختصارات من مثل(١٣):

AA وهي اختصار لعبارة السلام عليكم Assalam Alykom

ISA وهي اختصار لعبارة إن شاء الله In sha2a Allah

MSA وهي اختصار لعبارة ما شاء الله Ma sha2a Allah

٤- وضع رسوم وصور وكتابة إيحائية إلى جانب النص اللغوي في مجالات التواصل على الشابكة والهاتف المحمول معبرة عن ملمح تعبيري خاص يجسّد حالة شعورية. ومن أبرز الحالات وأكثرها شيوعاً التعبير عن الضحك بتكرار حرف الهاء (هههههه)، أو تقطيع حروف الكلمة لتجسيد طبيعة التلفظ والنطق بها ومحاكاتها في العالم الافتراضي الذي تقدمه وسائل التواصل. ومن أمثلة ذلك(١٤):

---

(١٣) الدكتور محمود أحمد السيّد - قضايا راهنة للغة العربية - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠١٧.

(١٤) الدكتور محمد زكي خضر وآخرون - رصد واقع اللغة العربية في ميدان التواصل على شبكة الإنترنت والهاتف المحمول - اللجنة الوطنية للنهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة - مجمع اللغة الأردني - عمان ٢٠١١ ص١٣٥.

مصدر النص	النص	الملمح	القيمة التعبيرية للملمح
تويتر (تغريدة)	كانت رائعة الحلقة	هههههه	التعبير عن الضحك
تويتر (تغريدة)	جميل جدًّا	خيالي حين يرسمنا معاً	التعبير عن الحب
	♥ ♥ ♥	♥ ♥ ♥	
الرسائل النصية	مممممم	عنجد أنا محتارة	التعبير عن الحيرة والتردد
	هههخخخخخ		التعبير عن التهكم والسخرية

وهكذا تتجلى في اللغة المستخدمة عبر وسائل التواصل الاجتماعي اللهجة العامية، والاستغناء عن الأصوات العربية بأخرى تبعاً للهجة منشئ النص، واستخدام مفردات إنجليزية إلى جانب العربية، فتبدت العربية مشوهة ومختزلة بسبب استخدام اللهجات والكلمات الغريبة عنها وعن قواعدها المعروفة، فاستخدمت لغة هجينة غير محددة القواعد، تنطق بالعربية إلا أن الحروف المستخدمة في الكتابة هي الحروف والأرقام اللاتينية بطريقة تشبه الشفرة(١٥).

وما من ريب في أن هذه اللغة الجديدة التي تجمع بين الفصحى والعامية والأجنبية تختلف عن لغة الأدب والعلم التي يتعلمها الطفل من خلال الشابكة في ميزتها الإيجابية متمثلة في مساعدته على استيعاب الدروس المختلفة وفهمها واكتساب مهارة التعلم الذاتي وتعزيز اهتمامه نحو التعلم.

(١٥) الدكتور خالد الكركي - اللغة العربية وتأثير الثورة الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي - مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الرابعة والثمانين - أبريل ٢٠١٨.

ثالثاً – من أسباب ظهورها:

ثمة أسباب عدة أدت إلى ظهور هذه اللغة الهجينة وانتشارها، ومن هذه الأسباب:

١ – **تداخل الحضارات وتمازجها:** يرى بعضهم أن ظهور هذه اللغة وانتشارها ما هو إلا ظاهرة طبيعية لتمازج الحضارات وتداخلها، ذلك لأن اللغة هي أول ما يتأثر بالانفتاح على العالم الخارجي، والأمم الضعيفة تتأثر لغتها بلغة الأمم القوية كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته، بحيث تقلد الشعوب المغلوبة على أمرها الشعوب الغالبة في مظاهر حياتها المختلفة لغة ولباساً وطعاماً وشراباً وثقافة ... إلخ.

فعندما كانت البلدان العربية خاضعة للسيطرة العثمانية استخدمت كلمات تركية في الحديث اليومي مثل: البازار بمعنى السوق، وأجزاخانة بمعنى الصيدلية، والتمرجي بمعنى الممرض ... إلخ، وعندما جاء الاستعمار الفرنسي شاع استخدام «بونجور» الفرنسية مكان «صباح الخير» العربية، و«بونسوار» مكان «مساء الخير» العربية، و«أورفوار» مكان «إلى اللقاء» العربية... إلخ[١٦].

وعَدَّ الكاتب نادر سراج في كتابه «خطاب الشباب ولغة العصر»[١٧] أن الاقتراض اللغوي يشكل جانباً من جوانب التلاقح بين الثقافات واللغات، وعَرَضَ نماذج عن المقترحات الرائجة في الخطاب التداولي العام، فأشار إلى كلمة «شوفرة»، وطوعها مشافهة ونسجها على وزن «فَوْعلة»، وراجت كلمة «سوكر» بمعنى: أمن على الصناعة، ثم نسج منها «مسوكر»، أي: مؤمن

(١٦) آمال سعد الدين – ظاهرة (العربيزي) نتيجة طبيعية لتمازج الحضارات – جريدة الرياض – العدد ١٥٣٥١ تاريخ ٥/ ٧/ ٢٠١٠.

(١٧) نادر سراج – خطاب الشباب ولغة العصر – الدار العربية للعلوم – بيروت ٢٠١٣.

ومضمون، وراجت كلمة «فوترة» من الفاتورة، و«المكيجة» من المكياج، والبزنسة والدكترة والكودرة ... إلخ.

وأرجع الباحث ظاهرة الاقتراض اللغوي إلى السلوك التحرري للشباب الذي لا يقتصر لديهم على اللغة فقط، بل يتناول مجالات الزي وتسريحة الشعر والمأكل والمشرب والرياضة وفن قيادة المركبات والدراجات، واقتناء الهواتف المحمولة، وملاحقة تطورات الموضة ومختلف الصرعات الشبابية. وهنا إشكال ذو مظهر سلوكي لغوي تجسد في أن الشباب ينزعون على الدوام إلى مشاكلة الغرب بثقافته، ويصوغون صياغات جديدة تتمشى مع أمزجتهم وطرائق تفكيرهم واهتماماتهم.

٢- أسباب تقنية: تمثلت في عدم وجود الحروف العربية في بعض لوحات المفاتيح في بعض الدول العربية وبعض الدول الأجنبية في مرحلة معينة واقتصار الموجود منها على الحروف اللاتينية، ثم إن ظهور برامج الدردشة (المحادثة، الفيس بوك، الهاتف المحمول) غير المزود بالحروف العربية كان الدافع إلى ذلك.

ويرجع بعضهم الآخر نشأة هذه اللغة إلى ظهور برامج الدردشة في تسعينيات القرن الماضي في أنظمة (اليونكس) التي لم تتح سوى الحروف اللاتينية للكتابة، وهذا ما أجبر الكثيرين من أبناء العربية على استخدام الحروف اللاتينية، وكانت برامج الدردشة قد ظهرت قبل ظهور الهاتف المحمول والرسائل القصيرة، ولم تكن الحروف العربية وقتئذ متاحة في الأجهزة الموصولة على الشابكة. ومن البدهي أن غياب اللوحات المعرّبة إنما يجبر مستعملي الشابكة على تحويل المنطوق العربي إلى مكتوب باللاتينية.

ولقد ساعدت الوسائل التقانية (التكنولوجية) الحديثة من حواسيب

وهواتف محمولة وقنوات فضائية وشابكة ... إلخ على سرعة انتشار الهجين اللغوي. وأصبحت ملامح اللغة الإنجليزية تسري في اللغة المستخدمة في الشابكة، فانتشرت أسماء من مثل (إنترنت، أون لاين، كمبيوتر، كيبورد، ماوس، آيفون، أيباد، فيسبوك، تويتر)، وترددت أفعال من مثل «سيّف، فكّس، فسبك، مسّج... إلخ»(١٨).

٣- أسباب اقتصادية: ترجع إلى أن تكلفة خدمة الرسالة القصيرة (SMS) إذا كتبت بالحروف اللاتينية أقل منها إذا كتبت بالحروف العربية، وأن إرسال رسالة قصيرة أقل تكلفة من المكالمة الصوتية، وأصبحت الإعلانات والعروض الموجهة إلى الشباب تستخدم هذه اللغة أيضاً التي سرعان ما انتشرت بينهم لتوفير أكبر «كمّ» من الحروف، وأصبح استخدام هذه اللغة مقترناً بظهور خدمة الهاتف المحمول في المنطقة العربية.

٤- أسباب نفسية اجتماعية: ترجع إلى الحرج الذي يشعر به الشباب الذي لم يتلقَّ تعليماً كافياً ومعمقاً للقواعد الإملائية والنحوية العربية، فيحاول الهروب من الكتابة بالفصيحة إلى هذه اللغة التي تعود فيها الكتابة بالحروف اللاتينية، كما تعود الاختصار، فيميل إلى الاختصار والتسهيل، فيكتب كلمة «من فضلك» (Please) على هذا النحو المختصر في Plz، وكلمة «قبل» (Before) تختصر إلى (B4)، وكلمة «لَكَ» (For you) إلى (4u)... إلخ، كما يرمز إلى بعض الكلمات الكاملة ببعض الحروف مثل (U) مكان (You)، ومثل (R) مكان (are)(١٩).

---

(١٨) الدكتور محمد رياض العشيري - العربيزي: لماذا تحاربه غوغل وتهتم بالعربية الخالصة؟ BBC ٢٠١٢.

(١٩) زغرودة ذياب مروش - الأرابيش وأثرها على اللغة العربية الفصحى - مرجع سابق ص١٦٣.

ومن الأسباب المساعدة على انتشار هذه اللغة الهجينة عدم انتباه الأهل إلى اللغة التي يتواصل بها أبناؤهم وجهلهم لهذه اللغة أيضاً، وضعف الالتزام بها في وسائل الإعلام، ولاسيما المرئي منها، وقلة الأفلام السينمائية الناطقة بالعربية الفصيحة، وانتشار المسلسلات الدرامية باللهجات المحلية.

وأضحت اللغة الهجينة في واقعنا الحالي منتشرة على أقلام جيل جديد لا يحسن أي لغة رسمية لا العربية ولا الأجنبية، لكنه يبدع في استخدام هذه اللغة ويكتبها تلقائيًا، ويقرؤها بسرعة، وكأنه قد تعلمها سنين طوالاً في المدارس، وآلت الأمور في استعمالها عناوين لمقالات في بعض الصحف والمجلات العربية، وفي بعض الإعلانات، حتى إن بعض المطاعم أعدت لوائح الطعام بناءً عليها[٢٠].

رابعاً- اللغة الفيسبوكية بين مؤيديها ومعارضيها:

قد يستغرب بعضنا عندما يرى شريحة كبيرة من الشباب والشابات في المجتمع العربي تناصر لغة العربيزي وتسوّغ استعمالها. ونحاول فيما يلي تعرف مسوّغات هذا الاستعمال عند المؤيدين، وآراء المعارضين له، والمنبهين على خطره.

مؤيدو اللغة الفيسبوكية:

يرى مؤيدو اللغة الفيسبوكية أن لغتهم تتسم بـ:

١- **سهولة التواصل مع الأصدقاء** من جنسيات مختلفة، إذ ثمة من يرى أن الغاية من هذه اللغة هو تحقيق التواصل بين مستعملي العربية والعمالة الوافدة التي تتعدد لغاتها[٢١].

(٢٠) جمانة الشامي - العربيزية تشخيص موجع للعربية!! المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية - المجلد التاسع - دبي ٢٠١٥ ص٤٧١.

(٢١) زغرودة ذياب مروش - الأرابيش وأثرها على اللغة العربية الفصحى - مرجع سابق ص١٦٥.

٢- **المرونة والسرية**: إذ يمكن توظيفها في ضوء المنطقة المستخدمة فيها، فالبلدان الفرانكفونية تستخدم اللغة الفرنسية في عملية التهجين خلافاً للبلدان الأنكلوفونية التي تستخدم اللغة الإنجليزية في عملية التهجين. وهي توفر مساحة كبيرة من الحرية والخصوصية، فهي تبدو لغة مشفرة لا يفهمها إلا من يتقنها(٢٢).

ولقد أبانت الدراسة التي أنجزها ريتشارد بل عن «الشابكة واستعمال اللغة: دراسة حالة في الإمارات العربية المتحدة» أن كثيراً من مواقع التسوق والألعاب والأغاني والأفلام ومواقع الصور والرسوم هي باللغة الإنجليزية، وثمة ضآلة لاستخدام الفصيحة في البريد الإلكتروني؛ إذ كانت نسبة استخدامها ٨.٥ ٪، في حين أن استعمال العامية في البريد الإلكتروني بلغت ٤٧.٤ ٪. وجاء في الدراسة أن من أسباب تدني استعمال الفصيحة ما يرجع إلى أن معظم أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين يفتقرون إلى مستوى مناسب من الكفاية اللغوية بالعربية الفصيحة، ويتصل بهذه النقطة طبيعة الموضوعات التي يتداولونها في دردشاتهم، وهي غالباً موضوعات شخصية وغير رسمية مما اعتادوا أن يتناولوه بالعامية في التخاطب(٢٣).

٣- **فتور دافعية الطلبة نحو تعلم اللغة العربية خلافاً لدافعيتهم نحو تعلم اللغة الأجنبية**: ففي دراسة عن أثر العولمة والإنترنت على تعليم اللغة العربية وتعلمها في المرحلة الأساسية الدنيا وسط الضفة الغربية من وجهة

(٢٢) سامية بادي ود. سوهام بادي – تأثير لغة التواصل الإلكتروني على مستقبل الحرف العربي – المؤتمر الرابع للمجلس الدولي للغة العربية – المجلد السادس – دبي ٢٠١٥ ص٨٦.

(٢٣) الدكتور وليد العناني، الدكتور يوسف ربابعة، الدكتور إبراهيم حسين خليل – اللغة العربية والشابكة – دراسة في التواصل الشبكي – المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها – المجلد (١٠) العدد (١) كانون الثاني ٢٠١٤.

نظر المديرين والمشرفين والمعلمين[٢٤] تبين انخفاض دافعية الطلبة نحو تعلم العربية خلافاً لدافعيتهم نحو تعلم الإنجليزية، وعدم بذل الجهود من الطلبة تجاه ذلك اقتناعاً منهم بعدم أهمية العربية في العصر الحالي، في حين أنهم يُقبِلون بمحبة على تعلم الإنجليزية حتى إنهم يستخدمون كلمات إنجليزية في حصة اللغة العربية مثل (Finish)، ويستخدمون (هاي) و(باي) خجلاً من استخدامهم: السلام عليكم.

وفي دراسة عن استخدام طلاب المدارس الثانوية للغة العربية في وسائل التواصل الاجتماعي في إمارة الشارقة في العام الدراسي ٢٠١٧/ ٢٠١٨ تبين أن ٥٠ ٪ من عينة الدراسة يستخدمون الكلمات الأجنبية عند التحدث بالعربية في مواقع التواصل الاجتماعي ويستخدمون الهجين اللغوي عند الكتابة، وأن ٤٠ ٪ منهم يستخدمون الرسوم والأشكال بدلاً من الكتابة باللغة العربية للتعبير عن آرائهم ومشاعرهم[٢٥].

٤- **الإيجاز والاختصار**: إذ يمكن أن تمزج بين عدة عناصر من كلمات عامية ومفردات أجنبية وأرقام وصور في جملة واحدة، ويمكن أن تلجأ إلى اختصار الكلمات ربحاً للوقت في كلمة واحدة أو في صورة، وثمة شفرات متفق عليها مثل (ش ع م)، ويقصدون بها (شو عم تساوي؟).

٥- **محاكاة الغرب**: لما كان أكثر الشباب والشابات لا يتقنون اللغة الأجنبية عملوا على استعارة الحروف منها للتعبير عن جمل عربية بقصد

(٢٤) الدكتور أحمد فتحية والأستاذة ليندا سموم - أثر العولمة والإنترنت على تعليم اللغة العربية وتعلمها في المرحلة الأساسية الدنيا وسط الضفة الغربية من وجهة نظر المديرين والمشرفين والمعلمين - المؤتمر الدولي السابع للغة العربية - دبي ٢٠١٨.

(٢٥) الدكتورة فوزية آل علي - والدكتور علاء مكي - استخدام طلاب المدارس الثانوية للغة العربية في وسائل التواصل الاجتماعي - المؤتمر الدولي السابع للغة العربية - دبي ٢٠١٨.

التباهي والظهور بمظهر المتحضر، مادامت لغة سهلة ومتطورة ومواكبة لروح العصر، ومن لم يتقن لغة الشابكة فمحكوم عليه بالعيش في العصور التقليدية بعيداً عن العصر بعد أن أضحت هذه اللغة أمراً واقعاً لا مفر منه.

٦- **ملاءمة مرحلة الشباب**: إذ إن هذه المرحلة هي مرحلة الإقدام والمغامرة وحب كل ما هو جديد[٢٦]، والتخفيف من الشعور بالاغتراب، ذلك لأن الشباب يشعرون بالغربة في أوطانهم بسبب التهميش والبطالة وعدم فهمهم من الآخرين الكبار .. إلخ.

ولذلك فهم يلجؤون إلى أسلوب تعبير لديهم عن عدم الرضى عن الواقع، تعبير بطريقة لا تمس قيم المجتمع وتقاليده مسًّا صريحاً، إذ لا وجود لمتنفس الشباب وهمومهم وأسرارهم سوى مواقع التواصل الاجتماعي، فابتكروا هذه اللغة على أنها شفرة لا يفهمها سواهم.

٧- **التحرر من قواعد العربية الفصحى**: يرى مؤيدو هذه اللغة أن اللغة العربية الفصحى لا تسمح للمتحدث أن يعبّر عما يجول في خاطره عبر وسائل التواصل الاجتماعي؛ لأنها تحتاج إلى مهارات كبيرة في الكتابة والتقيد بقواعد اللغة العربية، في حين أن العربيزي توحي لمستخدمها بأنه شخص راق ذو ثقافة، ولا تحتاج إلى مهارات كبيرة؛ لأنها سهلة التداول، وهي مفهومة في أوساط الشباب وهذا يكفي !

معارضو اللغة الفيسبوكية:

ثمة معارضون كُثر لهذه اللغة حتى إن بعضهم لا يطلق عليها مصطلح لغة؛ لأن للغات معارفها وأدبياتها وقواعدها التي تتلازم مع لغة التواصل

(٢٦) الدكتور محمود السيّد - العربيزي ظاهرة خطرة على لغتنا العربية - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد ٨٩ الجزء الثاني ص٥٧١.

الفعالة والمؤثرة. أما العربيزي أو الأرابيش فتسقط هيبة القراءة، وتشوّه فن التعبير، وتسخّف الأدب، وتقلب موازين المعارف، وتكسر كل القواعد، فلا إنشاء فيها ولا بلاغة(٢٧).

هذه الظاهرة خطرة على لغتنا العربية الفصيحة، إذ يجري فيها استبدال الحروف اللاتينية بالعربية على نطاق واسع، وبالتدريج تصبح الحروف اللاتينية هي الحروف الرسمية للغة العربية في الدول الناطقة بها، وذلك انطلاقاً من أن أطفال اليوم هم شباب الغد والمعوّل عليهم في المستقبل.. ويؤدي هذا إلى أن الأجيال المتعاقبة لن تفهم النصوص القديمة وتراث أمتهم، مما يحول دون ارتباط حاضرهم بماضيهم، والأمة بغير ماض وتاريخ لا مستقبل لها(٢٨).

ومن منعكسات هذا الاستبدال غياب بعض الحروف العربية. ففي شوارع مالطا نلاحظ كتابة بعض الكلمات العربية بالحروف اللاتينية، وقد اختفت منها بعض الحروف العربية التي لا مقابل لها في اللاتينية، فكلمة «بحر» تكتب Bahar وغاب حرف الحاء، وكلمة «أرض» تكتب Art وغاب حرف الضاد، وكلمة «خبز» تكتب Hobez وغاب حرف الخاء ... إلخ.

وعلى هذا النحو نجد استخدام الحرف اللاتيني- الفرنسي في دول المغرب العربي للاستفادة من التقارب الجغرافي، وحركة الفرنسة التي تتولاها الفرانكفونية في تلك الدول، واستخدام الحرف اللاتيني- الإنجليزي في بلاد المشرق العربي ابتداء من ليبيا ومصر وما بعدهما شرقاً،

(٢٧) زغرودة ذياب مروش - الأرابيش وأثرها على اللغة العربية الفصحى - مرجع سابق ص١٦٤.

(٢٨) عمار مصطفى الجزار - فرانكوعرب - لغة الشباب الحديثة - الجمعية الجغرافية المصرية - دمياط بمصر ٢٠١٦ ص٣٣٠.

ووجدنا في مالطا يجري استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، فحرف القاف يقابل الحرف (g)، فكلمة بقرة تكتب Bagra.

ولم يقتصر الأمر على استبدال بعض الحروف العربية، وإنما وضعوا أرقاماً مكان الحروف، فالحرف (ح) يقابل (7)، والحرف (خ) يقابل (7')، والهمزة (2)، والعين (3)، والسين (٤)، والطاء (6)، والصاد (9)، والضاد (9').

وهذا الغياب للحرف معول هدم في صرح لغتنا العربية الخالدة، إذ إن القرآن الكريم أعطى الحرف العربي مكانة وقدسية لم يحظ به غيره من حروف اللغات الأخرى، فبالحروف العربية افتتح الله عز وجل تسعاً وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، منها قوله تعالى:

﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١]

وعن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشرة أمثالها، ولا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»(٢٩).

ويرى أنصار اللغة العربية الفصحى أن اللغة العربية ليست مجرد لسان تتحدث به مجموعة من الناس، وإنما هي مسألة وجود وقضية هوية، وهي الوجه الناصع لهوية الأمة، والعامل الأساسي في وحدتها، وهي لغة القرآن الكريم، ولغة الإبداع في مختلف ميادين المعرفة في حين أن لغة الأرابيش أو العربيزي أو الفرانكو آراب تؤدي إلى اندثار الحروف العربية عندما يتوقف الشباب عند كلمات عربية تحوي أحرفاً لا مقابل لها في الأجنبية، وعندما

(٢٩) المرجع السابق ص ٣٥٤.

يضعون أرقاماً مقابل الحروف العربية، وعندما يعملون على تحويل الكلمات الأجنبية إلى ألفاظ عربية (تويتر، الفيس بوك، فاكس)، واستخدام الأفعال منها مثل (فكَّس، وفسبك... إلخ)، والكتابة باللاتينية؛ فضلاً عن استبعادها للأحرف العربية وطمس المعاني أيضاً، فالثناء على أحدهم بقولنا: «أكثر الله من أمثالك» تتحول إلى «كثر الله من أمثالك» في حال كتابتها باللاتينية.

ومن هنا «كان الحفاظ على اللغة العربية الفصيحة حفاظاً على كياننا وهويتنا وثقافتنا، ذلك لأن تلك اللغة الهجينة تهدف إلى إنكار الموروث الحضاري القيّم المصوغ بالعربية الفصيحة، كما أنها تهدف إلى زيادة اتساع الهوة الاجتماعية بين طبقة اجتماعية صغيرة تتباهى بالثقافة الغربية والحرف اللاتيني، وبين شريحة واسعة في المجتمع تحافظ على إرثها اللغوي العربي العريق، وترى أن اللغة العربية مرتبطة بكيان الأمة وحضارتها ووجودها على المسرح العالمي»[٣٠].

وتدعو هذه الشريحة الواسعة من مؤيدي العربية الفصيحة إلى تلافي الثغرات الموجودة في لغة وسائل التواصل الاجتماعي متمثلة في[٣١]:

١- شيوع الأخطاء النحوية في العربية الفصيحة المستخدمة وركاكة أساليبها.

٢- شيوع الكتابة باللهجة المحلية وبالأحرف اللاتينية في المقالات والإعلانات وفي تقديم البرامج الإذاعية والتلفزية.

٣- كثرة استخدام المفردات الأعجمية في ثنايا الخطاب، وتنشر الصحف العربية أحياناً إعلانات كاملة باللغة الأجنبية، وثمة

(٣٠) الدكتور محمود السيّد - العربيزي ظاهرة خطرة على لغتنا العربية - مرجع سابق ص٥٧٣.

(٣١) المرجع السابق ص٥٧٢.

مجلات عربية وبرامج إذاعية وتلفزية وقنوات تحمل أسماءً وعناوين أعجمية مكتوبة بالأحرف العربية مثل قنوات MBC وقنوات ART وقنوات Orbit.

٤- تفشي الأخطاء الفادحة في المفردات والجمل والتراكيب والحوار والمناقشات، وفي مخارج الحروف ونطق الكلمات العربية بلكنة عامية أو أجنبية.

وإذا ألقينا نظرة على التعليقات الواردة في المواقع الإخبارية فإننا نلاحظ أن انفتاح الشابكة على اللغات المتعددة في العالم قد أحدث تأثيرات لغوية ظاهرة من أهمها شيوع أساليب لغوية وتعبيرية جديدة لا تنتمي إلى تقاليد اللغة العربية الأصلية، ومرجع ذلك كله إلى العولمة اللغوية وما ترتب عليها من لسانيات العولمة.

وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من هذه التعليقات زاخر بالأخطاء النحوية والأخطاء الإملائية والأسلوبية، وأخطاء الرسم والهجاء، وغلبة الأساليب العامية والركيكة على الأساليب الفصيحة.

ومن العلامات الفارقة في هذه التعليقات إهمالها شبه الكامل لعلامات الترقيم.

أما طبيعة الموضوعات في البحث فقد كانت الرياضة والتقنية عند الذكور، والطعام والأزياء والرشاقة عند الإناث[٣٢].

ومن يتأمل واقع هذه اللغة الهجينة يجد أن ثمة خطراً يهدد مستقبل اللغة العربية الفصيحة، وأنه لابد من وقفة مستأنية لعلاج هذه الظاهرة

(٣٢) الدكتور وليد العناني والدكتور يوسف ربابعة والدكتور إبراهيم حسين خليل- اللغة العربية والشابكة- دراسة في التواصل الشابكي- مرجع سابق ص ٢٠٨.

الخطرة ووضع الحلول المؤدية إلى التخفيف من حدتها ارتقاءً بواقع العربية الفصيحة نحو الأجمل والأكمل والأرقى.

خامساً - صُوىً على دروب الحل:

لقد جاء في التقرير الصادر عن اليونسكو عام ٢٠٠٣، وعنوانه «حيوية اللغات وتعرضها للاندثار»: «أن موقف أفراد المجتمع تجاه لغتهم واحد من أهم المعايير الأساسية للحكم على مدى حيوية لغة من اللغات ودرجة الخطورة التي تهددها».

وهو معيار دقيق لابد من الاحتكام إليه، ذلك أن السمة الغالبة - مع الأسف - على طريقة تعامل أهل العربية مع لغتهم هي سمة التفريط واللامبالاة والتنكر والتخلي والتقصير في خدمتها واستعمالها، وتهميشها في كثير من المجالات الحيوية(٣٣).

فأهل اللغة هم المسؤولون عن ضعفها وانعزالها، فإذا تحملوا مسؤوليتهم، وقاموا بواجبهم تجاه لغتهم نمت ونهضت وازدهرت، ولا يكون للعولمة ولا لوسائل الإعلام المنحرفة تأثير سلبي على لغتهم.

وثمة صوى يمكن أن يستهدى بها على درب معالجة هذه الظاهرة، ومن هذه الصوى:

١- بذل جهود تشريعية تجسدها قوانين جادة وفاعلة تعلي منزلة العربية وتعظمها في نفوس الناطقين بها في جميع مجالات الحياة.

٢- بذل جهود تنفيذية تضطلع بها المؤسسات الرسمية الحكومية، وإلزام الناس بها في الاستعمالات الرسمية على أقل تقدير.

---

(٣٣) عبد العزيز بن عثمان التويجري- تأثير الإعلام على اللغة العربية- مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الرابعة والثمانين- أبريل ٢٠١٨ ص١٢.

٣- تنظيم ورشات تثقيفية توعوية للمتعلمين وأولياء أمورهم لزيادة الوعي بأهمية اللغة العربية ودورها في حياة المواطن العربي وأمته العربية.

٤- التوعية اللغوية بأهمية العلاقة بين اللغة والهوية، وأن اللغة هي الطريق إلى مجتمع المعرفة والتقدم العلمي والاجتماعي والاقتصادي.

٥- توعية الأهل بضرورة مراقبة أبنائهم خلال استخدامهم للشابكة (الإنترنت) في البيوت.

٦- الطلب إلى وزارات التربية والتعليم في الوطن العربي وضع مطوية حول أخلاقيات استخدام التقانة في التواصل الاجتماعي.

٧- الطلب إلى وزارات التربية والتعليم في الوطن العربي إقامة دورات تأهيلية وتدريبية للمعلمين بخصوص استخدام التقانة في العملية التعليمية التعلمية.

٨- الطلب إلى وزارات التربية والتعليم في الوطن العربي التعميم على المعلمين كافة لاستخدام اللغة العربية السهلة والسليمة والميسرة في العملية التعليمية التعلمية، وليس العبء ملقى على كاهل معلمي العربية وحدهم.

٩- تأسيس بنية تحتية في المدارس تسمح باستثمار وسائل التواصل الاجتماعي الإلكترونية في التعليم ولاسيما في تعليم اللغة.

١٠- زيادة الإنفاق على البحث العلمي والتطوير ولاسيما ما يتعلق بمشروعات الترجمة الآلية، وبناء الذخائر اللغوية، وجعل الترجمة من العربية وإليها ضرورة قومية لتنويع مصادر المعرفة.

١١- تفعيل العمل التطوعي والسعي الحثيث لمعالجة التلوث اللغوي في المدن والشوارع في الوطن العربي.

١٢- تفعيل المسابقات وتخصيص الجوائز والمكافآت لمواقع التواصل الاجتماعي، ولاسيما المواقع على الشابكة (الإنترنت) المستخدمة للفصيحة في برامجها ومناشطها.

١٣- السعي إلى تخفيض الرسوم عن وسائل التواصل الاجتماعي إذا ما كانت مصوغة بالعربية الفصيحة.

١٤- السعي إلى إقامة دورات تدريبية لتعليم اللغة العربية للوافدين العاملين في دول الخليج العربي من الجنسيات غير العربية.

* * *

المصادر والمراجع

- الدكتور أحمد فتحية والأستاذة ليندا سموم- أثر العولمة والإنترنت على تعليم اللغة العربية وتعلمها في المرحلة الأساسية الدنيا وسط الضفة الغربية من وجهة نظر المديرين والمشرفين والمعلمين- المؤتمر الدولي السابع للغة العربية- دبي ٢٠١٨.
- آمال سعد الدين- ظاهرة العربيزي نتيجة طبيعية لتمازج الحضارات- جريدة الرياض العدد ١٥٣٥١ تاريخ ٥/ ٧/ ٢٠١٠.
- جمانة الشامي- العربيزي تشخيص موجع للعربية!! المؤتمر الدولي الرابع للعربية- المجلد التاسع- دبي ٢٠١٥.
- حكيمة حماد- اللغة الهجين واللغة المولدة- القطيف اليوم- ٢٠١٦.

- الدكتور خالد الكركي- اللغة العربية وتأثير الثورة الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي- مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الرابعة والثمانين- القاهرة- أبريل ٢٠١٨.
- زغرودة ذياب مروش- الأرابيش وأثرها على اللغة العربية الفصحى- المؤتمر الدولي السابع للغة العربية- دبي ٢٠١٨.
- زهية درويش- التهجين وانعكاساته على اللغة العربية في الجزائر- مجلة أقلام الهند- العدد الأول مارس ٢٠٢٠.
- سامية بادي والدكتورة سوهام بادي- تأثير لغة التواصل الإلكتروني على مستقبل الحرف العربي- المؤتمر الرابع للمجلس الدولي للغة العربية- المجلد السادس- دبي ٢٠١٥.
- سيد أبو الفضل سماوي وأحمد أميدوار- مجلة اللغة العربية وآدابها- السنة السادسة- العدد الحادي عشر طهران ٢٠١٦.
- صالح بن ناصر الشويرم- ظاهرة العربيزي- لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة- مركز الملك عبد الله بن سعود لخدمة اللغة العربية ٢٠١٤.
- عبد العزيز بن حميد الحميد- الشباب واللغة- مشكلة الهجين اللغوي- مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية- الرياض ٢٠١٩.
- الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري- تأثير الإعلام على اللغة العربية- مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الرابعة والثمانين- القاهرة أبريل ٢٠١٨.
- الدكتورة فوزية آل علي والدكتور علاء مكي- استخدام طلاب المدارس

الثانوية للغة العربية في وسائل التواصل الاجتماعي- المؤتمر الدولي السابع للغة العربية- دبي ٢٠١٨.

- الدكتور محمد رياض العشيري- العربيزي لماذا تحاربه غوغل وتهتم بالعربية الخالصة؟ BBC ٢٠١٢.
- محمد محمد داود- اللغة كيف تحيا؟ ومتى تموت؟ دار النهضة المصرية- ٢٠١٦.
- الدكتور محمد زكي خضر وآخرون- رصد واقع اللغة العربية في ميدان التواصل على شبكة الإنترنت والهاتف المحمول- اللجنة الوطنية للنهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة- مجمع اللغة العربية الأردني- عمان ٢٠١١.
- الدكتور محمود أحمد السيّد- قضايا راهنة للغة العربية- وزارة الثقافة السورية- دمشق ٢٠١٧.
- الدكتور محمود السيّد- العربيزي ظاهرة خطرة على لغتنا العربية- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- المجلد ٨٩ الجزء الثاني.
- الدكتور نادر سراج- خطاب الشباب ولغة العصر- الدار العربية للعلوم- بيروت ٢٠١٣.
- وزارة التربية السورية- المعجم المدرسي- دمشق ٢٠٠٧.
- الدكتور وليد العناني- الدكتور يوسف ربابعة- الدكتور إبراهيم حسين خليل- اللغة العربية والشابكة- دراسة في التواصل الشبكي- المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها- المجلد العاشر ٢٠١٤.

* * *

تكملة مادة لغوية

أ. د. ممدوح محمد خسارة(*)

(٢١)(**)

بَحَث

ما ورد من هذه المادة في (تاج العروس) نحو تسعة مداخل تضمُّ نحو ثلاثة عشر معنى، وهي:

- **بحث**: سأل.
- **ابْتَحَث وتَبَحَّث**: فَتَّش عن الشيء.

: لعب بالبَحْثة أو البُحَّيْثى (لعبة للأولاد).

- **اسْتَبْحَث**: بَحَث.
- **البَحْث**: طَلَبُ الشيء في التراب.

: أن يَسْأل عن شيء ويَسْتَخْبِر.

: المَعْدِنُ الذي يُبْحَث فيه عن الذهب والفضة.

: الحيَّة العظيمة.

- **البَحْثَة والبُحَّيْثى**: لُعْبة للأولاد [يبحث في التراب عما أُخفي فيه].

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(**) سلسلة دراسات تبحث في الكلمات المستجدَّة في العربية، بناء أو دلالة أو هما معاً، وتقترح إضافتها إلى المعجم العربي المُحَدَّث.

- **البُحاثة**: التراب الذي يُبْحث عما يُطلب فيه.
- **البَحُوث**: الناقة التي إذا سارت تَبْحَث التراب بأيديها أُخُراً.
- **البحيث**: السِّرّ.
- **الباحِثاء**: من جِحَرَة اليربوع.

وزاد المعجم الكبير عليها تسعة مداخل ودلالات مما يشيع في العربية المعاصرة، وهي:

- **باحَثَه الشيءَ**: بَحَث معه فيه.
- **تباحَث الرجلان**: تبادلا البَحْث.
- **البَحْث**: بذل الجهد في موضوع وجمع المسائل التي تتعلق به.
  : ثَمَرة الجهد المبذول في موضوع ونتيجته.
- **البَحْث المَيْدانيّ**: دراسة الكائنات الحية في بيئاتها المعتادة، أو بحث تُجْمَع بياناته خارج المختبر أو المكتبة أو العيادة، ج بحوث وأبحاث.
- **المَبْحَث**: الدَّعوى من حيث إنَّها يرد البَحْث عليها، أو على دليلها، ج مباحث.
- **مَباحِث أمن الدولة**: الجهاز الشرطيّ المسؤول بصفة أساسية عن منع الجريمة والكشف عنها.
- **مَبْحث العِلَّة الغائية**: أحدُ أقسام الميتافيزيقا [ما وراء الطبيعة] عند الفلاسفة.
- **آداب البحث والمناظرة**: قواعد تبيِّن وتنظِّم كيفية المناظرة وشروطها.

ولكن التداول اللغوي المعاصر زاد على ما سبق نحو اثني عشر مدخلاً تتضمن نحو أربعة عشر معنى، يقترح إضافتها إلى المعجم العربيّ المحدَّث، وهي:

١- **تباحثوا**: تفاوضوا أو تبادلوا الآراء والأفكار حول مشكلةٍ أو مسألةٍ بغرض الوصول إلى جلاء حقيقتها أو حَلٍّ لها.

وقد أورد المعجم الكبير: «تباحث الرجلان: تبادلا البحث». ولكن دلالة التباحث فيه هي التفاوض، وغالباً ما يكون بين مسؤولين أو وفود.

٢- **البَحْث**: دراسة أو مقالة تعالج موضوعاً علميًّا أو أدبيًّا... إلخ بغرض الوصول إلى حَلٍّ، لا مجرَّد استعراضِ أو سَردِ ما جاء حول مسألة أو مشكلة.

٣- **المَبْحَث**: ١"- مَطْلَب من جملة مطالب في كتابٍ أو فصل من فصوله، يقال: «جاء الفصل الثاني من الكتاب في مقدِّمة وثلاثة مباحث».

٢"- مسألةٌ موضوعُ بحث. يقال: (دارت معظم مداخلات الندوة حول مبحث العولمة).

٤- **الباحِث**: الكاتب في قضايا الفكر والمعرفة. يقال: (فلان باحِث في تاريخ العلوم).

٥- **البَحَّاثة**: مَنْ هو كثير البحث والتحقيق في قضايا الفكر والمعرفة، يقال: (فلانٌ بحَّاثة في الاجتماع).

٦- **المباحثات**: المفاوضات والمناقشات والمحاورات التي تدور حول مسألة وفيها.. يقال: (تواصلت مباحثات الوفود أياماً)، أو (أفضَت المباحثات إلى اتفاق حول ترسيم الحدود).

٧- **البَحْث العِلميّ**: الدراسة والتقصِّي والتحقُّق في مسألة، بغرض الكشف عن جديد، أو تطوير ما هو موجود، والجمع: بحوث.

٨- **مَرْكَز البحوث**: مؤسَّسة علميَّة وتطبيقية عليا، تعنى بالبحوث والمعارف العلمية المعمَّقة، التي ترمي إلى الكشف عن جديد أو تطوير ما هو موجود.

٩- **حَلْقة بَحْث**: ١"- دراسة في موضوع بغرض التدرُّب والتعلُّم.. يقال: (قدَّم الطالب حلقةَ بحث في حماسة أبي تمام).

٢"- مجموعة من الباحثين والخبراء، يُوكَل إليها إعداد دراسة معمَّقة حول موضوع ما، يقال: (قدَّمت حَلْقة البحث تقريرها عن أزمة النقل إلى الوزير).

١٠- **مناهج البحث**: طرائق تحصيل المعلومات والمعارف وتقصِّيها والاستدلال بها، يقال: (كان منهج البحث تاريخيًّا).

١١- **بِساط البَحْث**: مَعْرِض البحث، يقال: (طُرحت أزمة السكن العشوائي على بساط البحث).

١٢- **خارج البَحْث**: ما لا صلة له بالموضوع أو المسألة موضوعِ المحادثات أو المداولات، يقال: (كانت مداخلة العضو خارجَ البَحْث).

ولا ندَّعي أننا أوَّل من اقترح هذه الكلمات، فقد سبقتنا معاجم معاصرة إلى إيراد كثير منها.

وعملنا يرمي إلى عرضها على مجموعة اللغويين المختصِّين والمعنيِّين بشؤون اللغة، وعلى مؤسَّسة لغوية مرجعية عليا؛ للنظر فيها، وإقرار ما تراه منها.

* * *

(٢٢)

بَدَر

ورد من هذه المادة في (تاج العروس) نحو أحَدَ عشر مدخلاً تضمَّنَتْ نحو ستَّة وعشرين معنى، وهي:

- **بادَرَ مُبادرة وبِداراً**: عَجَّل إلى فِعْل ما يَرْغَب فيه.

= بادَر إلى الشيء: أسرع.

- **بَدَر**: بادَر.
- **أبْدَر**: طلع له البدرُ.
= أَبْدَر النخلُ: احْمَرَّ بُسْرُه.
- **ابْتَدر**: أسْرَع إلى الشيء.
:بَدَر إليه: عَجِل وأسْرَع.
= ابْتَدَر القومُ أمْراً وتَبادروه: بادَرَ بعضهم بعضاً إليه، أيُّهم يسبق إليه فَيَغْلِب.
- **البادِرة**: شَباة السيف.
: طَرَف النَّصْل.
: اللَّحْمَة بين المَنْكبِ والعُنُق.
= حُسْن البادِرة: البديهة.
- **البَدْر**: القَمَر المضيء.
: السيِّد.
: الغلام الممتلئ.
: الطَّبَق (مجاز).
- **البَدْرَة**: جِلْدَة السَّخْلة.
: كيس فيه ألف درهم أو سبعة آلاف أو عشرة آلاف.
= عَيْن بَدْرَة: حديدة النظر [قوِيَّته].
- **البَيْدَر**: الأَنْدَر، الكُدْس [مكان تجميع وتكويم الحنطة ونحوها].
- **المُبْتَدِر**: الأسد.
- **البَدْريّ**: السمين من الفِصلان [صغار الإبل] وجمعه البَدَاريّ.
= البَدْريُّ من الغيث: ما كان قُبَيْل الشتاء.

وزاد عليها المعجم الكبير لمجمع القاهرة نحو ثمانية مداخل في نحو خمسة عشر معنى وهي:

- **بَدَر القمرُ**: امتلأ.
- **بَدَر الشيءُ**: ظهَر.

= بَدَر بَدْرَةً: غَضِب واحْتَدَّ.

= بدر الأمرُ فلاناً عَجِل إليه واسْتَبق.

= بدرَ إلى كذا: سابَق.

- **بادَرَ فلاناً بكذا**: سابقه، عاجَلَه.
- **البادِر**: القمر ليلة كمالِه.
- **البادِرة**: حِدَّةُ الغضب.

: الغَضْبة السريعة.

: الخَطأ.

: البديهة.

: أول ما يتفطَّر من النبات.

= بادِرةُ الزمان: ما يَسْبِق من غوائله.

- **البَدَرَى**: المُبادَرة [الإسراع إلى السَّبْق].
- **المبادِرة**: اليمين عند الغضَب.
- **المبادَرة**: السَّبْق لتحقيق غرَض سياسي أو اجتماعيّ أو اقتصادي أو غيره من الأغراض الهامَّة.

وثمة ستة مداخل أدخلها التداول اللغوي، ويقترح إضافتها إلى المعجم العربي المحدَّث، وهي:

١ - **بَدَرَتْ منه كلمة**: سبَقَت بلا تَرَوّ.

٢- **تبادر إلى الذِّهن**: خَطَر فجأة.

٣- **البادِرة**: العلامة، والجمع بوادِر، يقال: (لوحظ بوادر أزمة مالية)..

٤- **المبادَرة في الحرب**: البَدْءُ بها من أحد الطرفين.

٥- **مبادَرة حُسْن نيَّة**: ممَارسة أو سلوك بدئيّ ليدلِّل على القبول وسلامة المَقْصِد.

٦- **زمام المُبادَرة**: القُدْرَة على تقديم مشروع أو مبادرةٍ، والبدء بها.

* * *

(٢٣)

شَعَب

ما جاء في تاج العروس من هذه المادة ممثلاً للمعاجم القديمة نحو اثنين وعشرين مدخلاً تضمنت نحو ثمانية وخمسين معنى، وهي:

- **شَعَب**: ظَهَر.
- **شَعَب فلاناً**: شَغلَه، صَرَفه [عن أمْرٍ].
- **شعَب البعيرُ**: اهتضَم الشَّجَر من أعلاه.
- **شعَب الأميرُ رسولاً إليه**: أرْسله.
- **شَعَب اللِّجامُ الفَرَس**: كفَّه عن جهده وقَصْده.
- **شَعَب إليهم**: نزع وفارق صَحْبَه.
- **شعَب الرجلُ أمره**: إذا شَتَّته وفَرَّقه.
- **أشْعَب الرجل**: مات.
- **شعَّب الزرعُ**: صار ذا شُعَب.
- **شاعبَتْ نفسُه**: مات.
- **انْشَعب عني فُلان**: تباعَدَ.

- **انْشَعب الرجلُ**: مات. فارق فراقاً لا يرجع.
- **تَشَعَّب**: تَفَرَّق.
- **تَشَعَّبَتْ أغصان الشجرة وانْشَعَبت**: انتشرت وتَفَرَّقت.
- **الشَّعْب**: الجَمْعُ والتفريق، والإصلاح والإفساد (ضد).

: البُعْد. البَعيد.

: الصَّدْع. التفرُّق. المتفرَّق.

: القبيلة العظيمة، أبو القبائل الذي تَنْتسب إليه والجمع شُعوب.

: الجيل.

: مَوْصل قبائل الرأس [شؤون عظم الرأس] والجمع شُعَب.

- **الشَّعَب**: بُعْدُ ما بين المَنْكِبين.

: تباعُد ما بين القرنَيْن.

- **الشِّعْب**: الطريق في الجبل. ما انفرج بين جبلين.

: مسيل الماء في بَطْن أرْضٍ.

: سِمَة للإبل في العُنُق.

- **الشَّعيب**: المزادة والرَّاوية السَّطيحة.
- **الشُّعْبة**: ما بين القَرْنَيْن.

: ما بين الغُصْنَيْن. ما تفرَّق من أغصان الشجر. طَرَف الغُصْن.

: الرُّؤبة، وهي قِطْعة يُصْلَح بها الإناءُ.

: الفِرْقة والطائفة من الشيء. القِطْعة (شُعْبة من مال).

: المَسيل في ارتفاع قَرارة رَمْل. المسيل الصغير.

: ما صغُرَ من التَّلعة والوادي، أي: عُدِل عنه.

: صَدْع في الجبَل يأوي إليه الطير.

: ما دون الشِّعْب. (والجمع فيها كلها، شُعَب وشِعاب).

- **المَشْعوب**: المَوسوم في العنق أو الفخذ.
- **الشِّعاب**: سمة في الفَخْذ.
- **الأشْعَب**: **ظَبْيٌ أشْعَب**: إذا تفرَّق قَرْناه.
- **الشَّاعبان**: المَنْكبان.
- **الشُّعَب** – شُعَب الفَرَس وأقطاره: نواحيه.
  – شُعَب الزمان: حالاته (مجاز).
  – الأصابع (مجاز).
- **شُعَب المرأة**: يداها ورجلاها (مجاز).
- **شَعُوب**: اسم المنيَّة.
- **شَعْبان**: شَهر بين رجب ورمضان.
- **المَشْعَب**: الطَّريق.
- **المِشْعَب**: المِثْقَب يُشْعَب به الإناء (أي يصلح).
- **الشَّعَّاب**: المُلَئِّم (مصلح الآنية).
- **الشِّعابة**: حِرْفة الشَّعَّاب (إصلاح الآنية).
- **شُعْبَى لك**: فديتك [دعاء له].
- **الشُّعوبيّ**: مُحْتَقِر العرب، والجمع شُعوبيَّة.
- **الشَّعْبيُّون والشعبانيُّون والأُشْعوب**: سُكَّان جبل (شَعَب) باليمن الذين نزلوا بالكوفة والشام وإفريقية.

وزاد عليها المعجم الوسيط ممثلاً للمعاجم المعاصرة ثمانية مداخل، وهي:

- **انْشَعب القول بصاحبه**: أخذ به من معنى إلى معنى.
- **الشَّعْب**: الجماعة من الناس تخضع لنظام اجتماعي واحد.
  : الجماعة تتكلم لساناً واحداً.

- **الشُّعَب والشِّعاب**: أطراف في الأداة، كالأصابع (شُعَب شوكة الطعام).
- **الشُّعْبة**: إحدى فَرْعي القصَبَة الهوائية، ج شُعَب.
- **الشُّعَيْبة**: مسلك هوائي مجهري يتفرع من الشُّعْبة داخل الرئة.
- **شُعَب الصدر**: مجاري النفس في الرئتين.
- **النَّزْلة الشُّعَبيَّة**: التهابٌ في أغشية مجاري النَّفس في الرئتين.
- **كثيرة الشُّعب**: كثيرة التَّفْريع.

وهي كما نرى، مداخل ومعان كثيرة. ولكن يقترح أن تستكمل بالمداخل والمعاني التي دخلت التداول اللغوي المعاصر، وذكرت بعضَها معاجم حديثة.

والمداخل المقترحة ثلاثة وعشرون تضمَّنت نحو ثلاثين معنى، وهي:

١- **شَعَّب**: فرَّع وقَسَّم، يقال: (شَعَّب المسألةَ إلى مسائل).

: قسَّم إلى شُعَب أو مجموعات. يقال (شعَّبت الكليَّة طلاب السنة الأولى لكثرتهم).

٢- **تَشَعَّب**: تفرعَّ، يقال: (تَشَعَّب الخلافُ إلى خلافات).

: مطاوع (شَعَّب). يقال: (شَعَّب البحثَ فتَشعَّبَ). (شعَّب الطلابَ فتشَعَّبوا).

٣- **التَّشْعيب**: تقسيم المجموع إلى شُعَب وفئات. يقال: (كثرة الطلاب تدعو إلى تشْعيبهم).

٤- **الشُّعْبَة**: ١"- دائرة من دوائر الدولة ذات مهام محدَّدة، قد تكون كبيرة، كالشعبة من الجَيْش، يقال: (شعبة التدريب، شعبة المخابرات...). أو صغيرة، يقال: (شعبة البريد، شعبة الخدمات).

٢"- مرتبة حزبية وُسْطى في بعض الأحزاب.

٣"- قِسْمٌ من أقسام مشفى، يقال: (شعبة الجراحة، شعبة الهضمية).

٤"- تَخَصُّص يختاره الطالب في دراسته الثانوية أو الجامعيَّة. يقال: (شعبة الآداب، شعبة العلوم).

٥"- مجموعة طلاب في صفٍّ دراسي واحد، يقال: (هو في الشعبة الأولى من الصف الثالث الابتدائي).

٦"- أحَد أقسام عالم الحيوان والنبات، ويضم طائفة أو أكثر.

٥- **مَجْلس الشَّعب**: المجلس النيابي، وهو سلطة تشريعية عُلْيا تمثل شعباً أو أمَّة.

٦- **قَصْر الشَّعْب**: مَسْكَن رئيس البلاد ومقَرُّه (في بعض الدول).

٧- **الشَّعْبيُّ والشعبيَّة**: ١"- صفة لما هو مشترك بين عامة الناس في مجتمع. يقال: (انتفاضة شعبيَّة).

٢"- مصدر صناعي يدل على حالة كَوْنِ شَخْصٍ محبوباً أو ذا حظْوة عند الناس. يقال:[ارتفعَتْ شعبيَّة الرئيس بعد الإصلاحات].

٨- **الأدب الشَّعبيّ**: ١"- النثر والشعر الذي يصور واقع حياة الشعب كما هي.

٢"- الشعر العامِّيّ أو الملحون، أو النَّبَطيّ أو الزَّجل.

٩- **الأحياء الشعبيَّة**: الأحياء ذات المساكن الرخيصة الثمن يسكنها ذوو الدخل المحدود غالباً.

١٠- **الأسواق الشعبيَّة**: الأسواق التي تُباع فيها بضائع رخيصة تناسب ذوي الدخل المحدود أو الفقراء.

١١- **الفُنون الشَّعبيّة**: الفنون المتوارثة عن الأسلاف من غناءٍ ورقصٍ وألعاب.

١٢- **التقاليد الشَّعبيّة**: ما توارثه أبناء شعب عن أسلافهم من مظاهر التعبير عن الفرح أو الحزن ونحوهما.

١٣- **العادات الشّعبيّة**: ما توارثه أبناء المجتمع وتناقلوه عن أسلافهم من طرائق السلوك في المناسبات، كطريقة الخِطْبة والأعراس والاحتفاء بالمولود أو الحاجّ...

١٤- **المُنْتَجات الشّعبيَّة**: السِّلَع والبضائع الرخيصة الثمن والقليلة الجودة غالباً.

١٥- **اللغة الشّعبيَّة**: اللغة الدارجة بين العامة، وغير المعيارية غالباً.

١٦- **الأغاني الشَّعبيّة**: أغانٍ عاطفية أو أهازيج يردِّدها عامَّة الناس في بلد معيَّن، في مناسباتهم الاجتماعية مثل: (العتابا والميجنة والدلعونا في بلاد الشام).

١٧- **الاسْتِفْتاء الشَّعْبيّ**: استرآء المواطنين في دولة، حول مسألة أو قانون، يقال: (يُنْتَخب الرئيس في اسْتِفْتاء شَعْبيّ).

١٨- **الزعيم الشّعبيّ**: شخص قياديٌّ يحبُّه الناس أو يؤيِّدونه.

١٩- **الشَّعْبَويَّة**: مصدر صناعي من (الشَّعْب)، وهي طريقة التقرُّب إلى العامَّة بطرح مبادئ أو شعارات مُزايِدة، بغرض الدعاية لفئةٍ أو شخص والترويج لهما. يقال: (فازت الأحزاب الشعبوية في أوربا).

٢٠- **الشَّعْبَويّ والشَّعبويَّة**: نسبة غير قياسية إلى (الشعب). وهي صِفة مَنْ يتقرَّب إلى العامة بطرحِ مبادئ أو شعارات مزايدة بغرض الدعاية.

٢١- **اللَّاشَعْبيَّة**: الأفكار أو الإجراءات والممارسات التي لا تَحْظى برغبة أو تأييد معظم أبناء المجتمع. يقال: (سنَّ مجلس النواب قوانين اقتصادية لا شعبيَّة).

٢٢- **الشِّعْب**: سلسلة من الصخر أو المرجان عند سطح البحر أو بالقرب منه.

٢٣- **الشُّعْب والشِّعْب**: المِذراة أصابعها من الحديد، يستعملها الفلاحون في أعمال الدِّراس.

: أداة على هيئة الشُّعبة بين الغصنَيْن، تكون من خشب أو حديد، توضع أمام (الكدَّانة)، يُربَط بها عودا المحراث أو العربة اللَّذان تجرُّهما دابَّة واحدة، وهي كالنِّير للدابتين.

(والكدَّانة كلمة من اللغة السريانية مشتقة من (كَدَن) بمعنى قَرَن، يقال: [كَدَن الثورَين للفلاحة]: إذا قرنهما).

* * *

(٢٤)

فَوَض

ورد من هذه المادة في تاج العروس نحو عشرة مداخل تضمَّنت نحو أربعة عشر معنى، هي:

- **فوَّض إليه الأمْرَ**: ردَّه إليه وجعله الحاكمَ فيه.
- **فوَّض المرأة تفويضاً**: زوَّجها بلا مَهْر.
- **فَوْضَى** = قومٌ فَوْضَى، كَسَكْرى: مُتَساوون لا رئيس لهم.
  = الناس فَوْضَى: متفرِّقون. شُركاء في الشيء.
  = أنعام فَوْضى: مخْتَلِطٌ بعضها ببعض.
  = أمرهم فوضَى: مُخْتَلِط.
- **الفَيْضَى** = أمرهم فَيْضى: مُخْتَلط.
- **فَوْضُوْضاء** = أمرهم فَوْضوضاء: إذا كانوا مختلطين، يتصرف كل منهم فيما للآخر، يلبس هذا ثوب هذا، ويأكل هذا طعامَ هذا..
- **فاوَضَه في الأمر**: جاراه.
- **المُفاوَضة**: المُساواة. المحادثة. المجاراة في الأمر.

: أن يشتركا في كل شيء في أيديهما.

= شَرِكة المفاوضَة: هي العامَّة في كل شيء.

- **تفاوضوا الحديثَ**: أخذوا فيه.
- **الفَوْضَة**: الاسم من المفاوَضة.
- **التَّفواضة**: بقية الحياة.

وزاد عليها (المعجم الوسيط) المعاصر من المداخل أو الدلالات ما يلي:

- **تَفَاوضا**: فاوضَ كلٌّ صاحبه.
- **الفَوْضويَّة**: نحِلة سياسية تقول بإلغاء الحكومة، وبناء العلاقات على الأسس الفردية الحُرَّة.
- **المُفاوَضة**: تبادُل الرَّأي من ذوي الشأن بغية الوصول إلى تسوية واتفاق.
- **المُفَوَّض= الوزير المفوَّض**: موظَّف سياسي يمثِّل دولته في بلاد أجنبية، ورتبته أقل من السفير وفوق القائم بالأعمال.
- **المُفَوَّضيَّة**: مَقَرُّ عمل الوزير المُفَوَّض.

ويقترح استكمال هذه المادة بسبعة مداخل تتضمن نحو عشر دلالاتٍ جديدة، وهي:

١- **الفَوْضَى**: اخْتِلال في أداء الوظائف، والمهام الموكَلة إلى أصحابها، وافتقارها إلى التنظيم والترتيب. تَسيُّب النظام والانضباط. ويتفرَّع عليها:

١"- الفَوْضى السياسية: اختلاط الأمور السياسية وعدم اتِّساقها وتكامُلها.

٢"- الفَوْضى الاقتصادية: الخلل في شؤون التجارة والصناعة ونحوها.

٣"- الفَوْضى الإدارية: تسيُّب العمل في إدارة شؤون مؤسسة أو دولة.

٢- **الفَوْضَويَّة**: أسلوب في الحياة أو العمل يفتقر إلى التنظيم والضبط والترتيب.

٣- **الفَوْضويّ**: من لا ينظِّم عمله وأشياءه.

٤- **المُفَوَّض السَّامي**: ١"- موظَّف كبير تَعْهَد إليه دولتُه بإدارة شؤون دولة أخرى تحت وصايتها، وكان يقال: (المفوَّض السامي الفرنسي في دمشق).

٢"- موظّف كبير تَعْهَد إليه الأمم المتحدة بالإشراف على منظمة من منظماتها أو مهمة من مهامِّها، يقال: (المفوَّض السامي لشؤون اللاجئين).

٥- **مفوَّضيَّة الأمم المتحدة**: ١"- منظمة تتبع هيئة الأمم المتحدة مختصَّة بمهمة من مهامِّها، يقال: (مفوَّضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين).

٢"- مَقَرُّ المُفَوَّضيَّة ومكاتبها.

٦- **فوَّضَهُ في الأمْر**: أنابَهُ، وَكَّلَه. وقد أجاز مجمع القاهرة تعدية الفعل فوَّض بـ(في)، والأصل تعديته بـ(إلى)، ووافقه في ذلك مجمع اللغة العربية في دمشق سنة ٢٠١٨ وزاد جواز تعديته بالباء. يقال: (فوَّضه في القيام بالوساطة)، بمعنى: فَوَّض إليه القيام بالوساطة. و(فوَّضت زيدًا بالأمر).

٧- **تَفْويض مُطْلَق**: إعطاء الصلاحيَة الكاملة لشخص أو هيئة بالتصَّرف فيما عُهِد إليهما، دون قيدٍ أو رجوع إلى المُفَوِّض.

* * *

عناصرُ تداوليّةٌ في الدَّرْسِ اللّغَويّ العربيّ:
الأحوالُ الشّاهِدةُ بالقُصودِ عندَ ابنِ جنّي

أ .د. عيسى علي العاكوب(*)

مدخلٌ إلى الموضوع:

تُعنَى التّداوليّةُ بدراسةِ اللّغةِ إبّانَ استعمالها language in use. وقد عُدتُ إلى الشّابكةِ في الـ Wikipedia، دائرةِ المعارفِ الحُرّة، لِأَجِدَ في شأن Pragmatics في الإنكليزيّةِ، أو التّداوليّة في العربيّة ما ترجَمَتُه:

هي فَرْعٌ مِن عِلْمِ اللّغةِ وعِلْمِ العلاماتِ يدرُسُ الطُّرُقَ التي بها يُسهِمُ السّياقُ في إنتاج المعنَى. وتشمَلُ التّداوليّةُ نَظَريّةَ الفِعْلِ الكلاميّ، والتّضمينَ التّحادُثيَّ، والتّحادُثَ المُتفاعِلَ، ومناهجَ أُخرى لِسُلوكِ اللّغة في الفلسفةِ، وعِلْمِ الاجتماع، وعِلْمِ اللّغة، وعِلْمِ الإنسان. وخِلافاً لِعِلْمِ الدِّلالةِ الذي يدرُسُ المعنَى الذي يكونُ اصطلاحيًّا أو «مُرمَّزاً» في لُغةٍ مُعيَّنةٍ، تدرُسُ التّداوليّةُ مسألةَ كيفَ لا يعتمدُ إرسالُ المعْنَى فقط على المعرفةِ النَّظْميّةِ واللّغويّة (ما يتّصِلُ بِالنّحوِ والمعجَمِ وغيرِهما مثَلاً) لِلْمُتحدِّثِ أو السّامع، بل يعتمِدُ أيضاً على سِياقِ التّفَوُّهِ أو التّلفُّظ، وعلى أيّة معرفةٍ موجودةٍ مِن قَبْلُ في شأن ذَيْنِكَ المتحادِثَيْنِ، وعلى القَصْدِ المستخْلَصِ للمتحدّثِ، وعلى

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، وأستاذ البلاغة والنقد في جامعة حلب.

ورد البحث إلى مجلة المجمع بتاريخ ١/ ٦/ ٢٠١٨م.

عَوامِلَ أُخَر. وبهذا الاعتبار، تُبيِّنُ التّداوليّةُ كيفَ يكونُ مستعمِلُو اللّغةِ قادرينَ على التّغلُّبِ على الغموض الظّاهر؛ لِأنّ المعْنَى يعتمِدُ على طريقةِ التّلفّظِ، ومكانِهِ، وزمانِه.. إلخ. وتُسمَّى القُدرةُ على فَهْمِ المعْنَى الذي قَصَدَه متحدِّثٌ آخَرُ الكِفايةَ التّداوليّة.

وقد حدّدَ بعضُهم سِتّةَ مجالاتٍ يَحفِلُ بها الدّرْسُ التّداوليُّ حِينَ قالَ: «تدرسُ [التّداوليّةُ] اللّغةَ عندَ استعمالِها في الطّبقاتِ المقاميّةِ المختلفة؛ أي: باعتبارِها: كلاماً محدَّداً، صادراً عن متكلِّمٍ مُحدَّد، ومُوجَّهاً إلى مُخاطَبٍ مُحدَّد، بِلَفْظٍ مُحدَّدٍ، في مقامٍ تَواصُليٍّ محدَّدٍ، لِتحقيقِ غَرَضٍ تَواصُليٍّ مُحدَّد» (التّداوليّةُ عندَ العُلَماءِ العرب، مسعود صحراوي، ص٢٦).

الأحوالُ الشّاهِدةُ بالقُصودِ عندَ ابنِ جِنّيّ:

العنصرُ التّداوليُّ الذي نتحدّثُ عنه هنا يسمّيهِ أبو الفَتْح عثمانُ بنُ جِنّيّ (ت ٣٩٢هـ) «الأحوالَ الشّاهِدةَ بالقُصود»، ويريدُ به الأوضاعَ المُشاهَدةَ التي صاحبَتْ إنتاجَ الكلام، وأسهمَتْ في تحديدِ قَصْدِ المتكلِّم مِنه. وقد ناقشَ ابنُ جِنّيّ الأحوالَ الشّاهِدةَ بِالقُصودِ في مجالَيْنِ هما: الوَضْعُ اللّغَويُّ أو إعطاءُ الأسماءِ لِلْمُسمَّياتِ، وفَهْمُ معاني الشّعر. وسنعرِضُ لِلْأمرِ في هذَيْنِ المجالَيْنِ:

أوّلاً- في مَجالِ الوَضْعِ اللّغويّ، أي: إعطاءِ الأسماءِ لِلْمُسمَّيات:

عرضَ ابنُ جِنّيّ لِمَسْألةِ السَّبَبِ في إعطاءِ العربِ أسماءً خاصّةً لبعضِ المُسمَّيات، فقال:

ثمّ لا أدفَعُ أيضاً أن تكونَ في بعضِ ذلك [إعطاءِ الأسماءِ للمُسمَّياتِ] أغراضٌ لهم، عَدَلوا إليه [الاسْم الخاصّ] لَها ومِن أَجْلِها. فإنّ كثيراً مِن هذه اللّغةِ وجدْتُه مُضاهِياً بأَجْراسِ حُروفِهِ أصواتَ الأفعالِ التي عُبِّرَ بِها عنها. ألا تَراهُمْ قالوا: «قَضَمَ» في اليابِسِ و«خَضَمَ» في الرَّطْب؛ وذلكَ لِقُوّةِ القافِ

وضَعْفِ الخاءِ، فجعلوا الصَّوْتَ الأقوى للفِعْلِ الأقوى، والصَّوْتَ الأضعَفَ للفِعْلِ الأضعَفِ.../ وقالوا: «قَطَّ الشّيءَ»: إذا قطَعَهُ عَرْضاً، و«قَدَّهُ»: إذا قطعَهُ طُولاً؛ وذلك لِأنّ مُنقَطَعَ الطّاءِ أقصَرُ مُدّةً مِن مُنقَطَعِ الدّال. وكذلك قالُوا: «مَدَّ الحَبْلَ» و: «مَتَّ إليهِ بِقَرابةٍ»، فجعَلُوا الدّالَ لِأنّها مجهورةٌ لِما فيه عِلاجٌ، وجعَلُوا التّاءَ لِأنّها مهموسةٌ لِما لا علاجَ فيه... نَعَمْ، وقد يمكنُ أن تكونَ أسبابُ التّسميةِ تَخفَى علينا لِبُعْدِها في الزّمانِ عَنّا. ألا ترى إلى قولِ سيبَوَيْهِ: «أو لَعلَّ الأوّلَ وَصَلَ إليه عِلْمٌ لم يَصِلْ إلى الآخِر». يعني أن يكونَ الأوّلُ الحاضِرُ شاهَدَ الحالَ، فعرَفَ السَّبَبَ الذي له ومِن أجْلِه ما وَقَعَتْ عليه التّسميةُ؛ والآخِرُ لِبُعْدِه عن الحالِ لم يعرِفِ السَّبَبَ للتّسميةِ (الخصائص ١/ ٦٥-٦٦).

وههنا توقّفَ ابنُ جِنّيّ عندَ عنصُرٍ تداوليّ خطيرٍ يتوقّفُ على معرفته أحياناً فَهْمُ سَبَبِ إعطاءِ الاسْمِ لِمُسمّاهُ. فإنّ الحائلَ بينَنا وبينَ العِلْمِ بأسبابِ إعطاءِ غيرِ قليلٍ مِن الأسماءِ لِلْمُسمَّياتِ هو جَهْلُنا «الأحوالَ الدّالّةَ على القُصودِ»؛ أي: الظّروفَ التي أحاطَتْ بذلك.

ثانياً- في مَجالِ فَهْمِ معاني الأشعار:

يقولُ ابنُ جِنّيّ إنّنا في محاولَتِنا فَهْمَ الأقوالِ المقولةِ قديماً نفتقِرُ إلى عنصُرٍ تداوليٍّ غائبٍ عنّا، شهدَتْهُ الجماعةُ مِن عُلَمائنا الذين دَوّنوا اللّغةَ، وكان لِمُشاهدتهم تعزيزٌ لِفَهْمِهم «فالغائبُ ما كانَتِ الجماعةُ مِن عُلَمائنا تُشاهِدُهُ مِن أحْوالِ العَرَبِ (ووُجوهها)، وتُضطَرُّ إلى معرفتِهِ مِن أغراضِها وقُصودِها: مِن استخفافِها شيئاً أو استثقالِهِ، وتقبُّلِه أو إنكارِه، والأُنْسِ به أو الاستيحاشِ مِنه، والرّضا به أو التّعجُّبِ مِن قائلِه، وغيرِ ذلكَ مِن **الأحوالِ الشّاهِدةِ بالقُصود**، بل الحالِفةِ على ما في النّفوس» (الخصائص ١/ ٢٤٥).

وإذا عرَفْنا أنّ التّداوليّةَ Pragmatics هي كما يقولُ العلّامةُ منيرُ البعلبكيّ

في المورِدِ الأكبر: «مبحَثٌ لُغَوِيٌّ يُعنَى بدِراسةِ العلاقةِ بينَ الكلماتِ أو التّعابيرِ أو الرّموزِ وبينَ مُستخدميها»، فإنّ ما ذكَرَه ابنُ جِنّيّ في المقبوسِ السّابق ينتمي إلى لُبابِ ما تعالجُه التّداوليّةُ الغربيّةُ الحديثةُ. وقد مَثّلَ ابنُ جِنّيّ لِتأثيرِ العُنصُرِ التّداوليّ المتحدَّثِ عنه هنا في فَهْمِ الأشعار التي لم يُتَحْ لنا أن نشهَدَ إنشاءَها وإنشادَها بِثلاثةِ أبياتٍ شعريّةٍ نذكُرُها هنا:

- يقولُ نُعَيمُ بنُ الحارثِ بنِ يزيدَ السَّعْديّ في وَصْفِ امرأةٍ:

تقولُ - وصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمينِها -: أَبَعْلِيَ هذا بِالرّحَى المُتقاعِسُ

ومِن حِكايةِ هذا الشّاعِرِ القائلِ أنّه عُقِدَ له النِّكاحُ على امرأةٍ ولَمّا يَدْخُلْ بِها، فمرَّتْ به في نِسْوةٍ وهو يطحَنُ بالرّحى لِضَيْفٍ نزَلُوا به، فقالَتْ: أَبَعْلِيَ هذا، تعجّباً واحتقاراً له. فقالَ الأبياتَ التي مِنها البيتُ المذكورُ. وأراد بِ«المُتقاعِسِ» الذي يُخرِجُ صَدْرَه ويُدخِلُ ظهْرَه، وهذه حالُ مَن يطحَنُ بالرّحَى.

ويرى ابنُ جِنّيٍّ أنّ قولَه في صَدْرِ البيتِ: «وصَكَّتْ وَجْهَها بِيَمينها» عنصُرٌ تداوليٌّ ضَروريٌّ لِتحديدِ القَصْدِ الدّقيقِ لِقولِ هذه المرأةِ في عَجُزِ البيت: «أَبَعْلِيَ هذا بالرّحَى المُتقاعِسُ». ويبدو هذا واضحاً في قوله: «فلو قالَ حاكِياً عنها: أَبَعْلِيَ هذا بالرّحَى المُتقاعِسُ؟»- مِن غيرِ أن يذكُرَ صَكَّ الوَجْهِ، لَأعلَمَنا بذلك أنّها كانَتْ مُتعجّبةً مُنْكِرةً، لكنّه لمّا حكى الحالَ فقالَ: «وصَكَّتْ وَجْهَها» عُلِمَ بذلك قُوّةُ إنكارِها وتعاظُمُ الصّورةِ لها» (الخصائص ١/ ٢٤٥).

ويرى عالِمُ العربيّةِ الكبيرُ هذا أنّ «الحالَ» التي يحدُثُ فيها القولُ ذاتُ تأثيرٍ كبيرٍ في إفهامِ القَصْدِ الدّقيقِ مِنه. ونراهُ يتحدّثُ عن دَرَجاتٍ مُتباينةٍ لهذا التّأثيرِ ناشئةٍ عن دَرَجاتٍ متفاوتةٍ في مُلابَستِنا الحدَثَ اللّغويّ. فقد نحضُرُ إنجازَ الحدَثِ اللّغويّ، وقد تُروَى لنا الأوضاعُ المحيطةُ بِهذا الإنجازِ بطَريقِ الرّوايةِ ونَقْلِ الخَبَر، وينشأ عن ذلك تفاوتٌ في إدراكِنا تمامَ القَصْدِ. يقولُ

ابنُ جِنّيّ مُعلِّقاً على البيت السّابقِ: «**هذا مَعَ أنّكَ سامِعٌ لِحِكايةِ الحال، غيرُ مُشاهِدٍ لها، ولو شاهَدْتَها لكُنْتَ بها أعْرَفَ، ولِعِظَمِ الحالِ في نفسِ تلكَ المرأةِ أَبْيَنَ**. وقد قيلَ: ليسَ المُخْبَرُ كالمُعاين. ولو لم يَنقُلْ إلينا هذا الشّاعِرُ حالَ هذه المرأةِ بقوله: «وصَكَّتْ وَجْهَها» لم نعرِفْ به حقيقةَ تعاظُمِ الأمْرِ لها» (الخصائص ١/ ٢٤٦).

- ما يُذكَرُ مِن أنّ الوليدَ بنَ عُقْبةَ بنِ أبي مُعَيْط الذي كان عاملاً لِعُثمانَ ﷺ على الكُوفة، وكان اتُّهِمَ بِشُرْبِ الخَمْرِ فأمَرَ الخليفةُ بِشُخوصِهِ إلى المدينة، خَرجَ في رَكْبٍ فنزَلَ يَسُوقُ بِهم، فقال:

قُلْتُ لَها: قِفي، فقالَتْ: قافْ ... لا تحسَبينا قد نَسِينا الإيجافْ

والنّشَواتِ مِن مُعتَّقٍ صافْ ... وعَزْفَ قَيْناتٍ علينا عزّاف

والشّاهِدُ هنا قولُ المرأةِ في صَدْرِ البيتِ الأوّل: «قافْ» بمعنى (إنّي واقِفةٌ، أو: وقفتُ) حيثُ استغنَتْ عن الكلمةِ بالحَرْف. ويرى ابنُ جِنّيّ أنّ فَهْمَ قولِ المرأةِ: «قاف» حِينَ قالَ لها: «قِفي» محتاجٌ إلى معرفةِ عنصُرٍ تداوليّ غائبٍ عنّا هنا، حيثُ يقولُ: «وليسَتْ كُلُّ حكايةٍ تُروَى لنا، ولا كُلُّ خَبَرٍ يُنقَلُ إلينا، يُشْفَعُ به **شَرْحُ الأحوالِ التّابِعةِ له، المُقترِنةِ - كانَتْ - به**. نَعَمْ ولو نُقِلَتْ إلَينا لم نُفِدْ بِسَماعِها ما كُنّا نُفيدُه لو حَضَرْناها. وكذلك قولُ الآخَرِ:

قُلْتُ لَها: قِفي لنا، قالَتْ: قافْ -

لو نَقَلَ إلَينا هذا الشّاعِرُ شيئاً آخَرَ مِن **جُمْلةِ الحال**، فقالَ مَعَ قولِه: «قالَتْ: قاف»: «وأمسَكَتْ بِزِمامِ بَعيرِها» أو: «عاجَتْهُ علَينا»، لَكانَ أبْيَنَ لِما كانوا عليه، وأدَلَّ على أنّها أرادَتْ: وقَفْتُ، أو توقَّفْتُ... **وإذا شاهَدَها وقد وقفَتْ عَلِمَ أنّ قولَها: «قاف» إجابةٌ له، لا رَدٌّ لِقَوْلِهِ وتعجُّبٌ مِنه في قولِهِ: «قِفي لنا»** (الخصائص ١/ ٢٤٦).

- يقولُ أبو خِراشٍ الهُـذَليُّ يَصِـفُ وقوعَـهُ فـي أيـدي قـومٍ مِـن أعدائـه أظهَرُوا له اللِّينَ لكي يتمكَّنوا مِنه، ولكنّه أيقنَ مِمّا بَدا له مِن ملامح وُجوهِهم أنّهم يُضمِرونَ له الشّرَّ معَ ما أبدَوهُ له مِن لِينٍ، ففَرَّ منهم:

رَفَوني وقـالوا: يـا خُوَيْلِـدُ لا تُـرَعْ فقُلْتُ - وأنكَرْتُ الوجوهَ - هُمُ هُمُ

ومعنَى البَيْتِ: «طَمْأنوني، وقالوا لي: لا تَخْشَ يا خُوَيْلِدُ، فقُلْـتُ - وقـد استدلَلْتُ عَلَى كَيْدِهم بمـا شـاهدتُه فـي وُجـوهِهم -: هُـمْ هُـمْ لـم يتغيَّـروا، وليس لِي أن آمَنَ إيقاعَهم به».

وقد علّقَ صاحِبُ الخصائصِ عَلَى ذلك بالقولِ: «أفلا تَرَى إلـى اعتبـارِه بِمُشاهَدةِ الوجوه، وجَعْلِها دليلاً عَلَى ما في النّفوس. وعلى ذلك قـالوا: رُبَّ إشارةٍ أبلَغُ مِن عِبارة» (الخصائص ١/ ٢٤٧).

وجَلِيٌّ هنا أنّ «إنكارَ الوجوه»، الذي عَنَى به الشّاعِرُ تعرُّفَه ما في قلـوبهم مِـن كراهيةٍ له مِن رؤيتِه وجوهَهم، عنصُرٌ تداوليٌّ يؤثِّرُ أثَرَه في فَهْـمِ قـولِ الشّـاعِرِ بعْـدَ ذلك: «هُمُ هُمُ، أي: هُمْ هُمْ لم تتغيَّرْ مُعاداتُهم إيّايَ معَ إيحائهم غيرَ ذلك.

وقد جَعَلَ ابنُ جِنِّيٍّ «مُشاهدةَ الأحوالِ» أساساً قويًّـا مِـن أُسُـسِ الإفهـامِ والفَهْم، وأَدْخَلَ ذلك في إطارٍ تَداوليٍّ كُلّـيٍّ ربّمـا لا يظفَـرُ المـرْءُ بِمِثْلِـهِ فـي أظهَرِ مُناقَشاتِ الدّرْسِ التّداوليِّ الذي يُقدَّمُ لنا في المترجَمـاتِ عـن اللّغـاتِ الغربيّة الحديثة، حَيْثُ يقول: «وبعـدُ، فالحَمّـالونَ، والحَمّـامِيّونَ، والسّاسـةُ، والوَقّادونَ، ومَن يليهم ويُعتدُّ مِنهم، يستوضحونَ مِن مُشاهَدةِ الأحوالِ مـا لا يحصِّلُهُ أبو عَمْرٍو مِن شِعْرِ الفرزدقِ، إذا أُخبِرَ به عنـه، ولـم يَحضُـرْهُ يُنشِـدُه. أوَلا تعلَمُ أنّ الإنسانَ إذا عَناهُ أمْرٌ فأرادَ أن يُخاطِبَ به صاحبَه، ويُنعِمَ تصويرَه له في نفسِه، اسـتعطفَه لِيُقبِـلَ عليـه، فيقـولُ لـه: يـا فُـلانُ، أيـنَ أنـتَ؟ أَرِنـي وَجْهَكَ، أقبِلْ علَيَّ أُحدِّثْكَ، أما أنتَ حاضِرٌ، يا هناهُ. فإذا أقبلَ عليه، وأصغَى

إليه، اندفَعَ يحدّثُه أو يأمُرُه أو ينهاه، أو نحْوَ ذلك. فلو كانَ استماعُ الأُذُنِ مُغْنياً عن مُقابلةِ العَيْنِ، لَما تكلّفَ القائلُ، ولا كلّفَ صاحِبَه الإقبالَ عليه، والإصغاءَ إليه. وعَلَى ذلك قالَ:

العَيْنُ تُبدي الذي في نَفْسِ صاحِبِها مِنَ العَداوةِ، أو وُدٍّ إذا كانا

... وقال لِي بعضُ مَشايخِنا رَحِمَهُ الله: «أنا لا أُحسِنُ أن أُكلِّمَ إنساناً في الظُّلْمة» (الخصائص ١/ ٢٤٦-٢٤٧).

مُشاهدةُ الأحوالِ عندَ عُلَماءِ العربيّةِ الأوائل:

أظهَرَ ابنُ جِنِّيٍّ أنّ هذا العُنصُرَ التّداوليَّ كان حاضِراً عَلَى نحوٍ واضحٍ في مُناقشاتِ عُلَماءِ العربيّةِ المُحقِّقِينَ أسبابَ الوَضْعِ اللّغويِّ لِكثيرٍ مِن الأسماءِ التي أُعطِيَتِ الأَشياءَ؛ وخَصَّ مُعارضةَ أبي بكْرِ بنِ السّرّاج (ت ٣١٦هـ) تماديَ أبي إسحاقَ الزّجّاج (ت ٣١١هـ)، ومُبالغتَه في حديثِ الاشتقاقِ، فقالَ ابنُ جِنِّيّ: «ولِهذا الموضِعِ نفسِه ما توقّفَ أبوبَكْرٍ عن كثيرٍ مِمّا أسرَعَ إليه أبو إسحاقَ مِن ارتكابِ طريقِ الاشتقاق. واحتجَّ أبو بَكْرٍ عليه بأنّه **لا يُؤمَنُ أن تكونَ هذه الألفاظُ المنقولةُ إلينا قد كانَت لَها أسبابٌ لم نُشاهِدْها، ولم نَدْرِ ما حديثُها**، ومَثّلَ له بقولِهم: «رَفَعَ عَقيرتَه» إذا رَفَعَ صوتَه. فقالَ له أبو بَكْرٍ: فلو ذَهَبْنا نشتقُّ لِقَولِهم «عَقَرَ» مِن معنَى الصّوت، لَبَعُدَ الأمْرُ جدًّا؛ وإنّما هو أنّ رَجُلاً قُطِعَتْ إحْدَى رِجْلَيْهِ، فرفعَها ووَضَعَها عَلَى الأُخرى، ثمّ نادَى وصَرَخَ بِأعْلَى صوتِه، فقالَ النّاسُ: رَفَعَ عَقيرتَه، أي: رِجْلَه المعقورة. فقالَ أبو بكر: فقالَ أبو إسحاقَ: لَسْتُ أدفَعُ هذا. ولِذلك قالَ سيبَوَيْهِ في نحوٍ مِن هذا: أو لِأنَّ الأوّلَ وَصَلَ إليه عِلْمٌ لم يَصِلْ إلى الآخِرِ. يعني ما نحنُ عليه مِن مُشاهَدةِ الأحوالِ والأوائل» (الخصائص ١/ ٢٤٨).

وفي هذا الشّأنِ نبّهَ ابنُ جِنِّيٍّ عَلَى أَمْرٍ نَجِدُنا نظَلُّ محتاجينَ إلى اعتبارِه

واعتدادِه إبّانَ تعامُلِنا معَ المفرداتِ والتّراكيبِ والمنجَزاتِ اللّغويّةِ المختلفة، ومُفادُه أنّ العُلَماءَ الذينَ دَوّنوا مُعْجَمَ اللّغةِ العربيّة في عَصْرِ التّدوينِ الأوّلِ لديهم عِلْمٌ إضافيٌّ بالأوضاعِ والاستعمالاتِ والسِّياقاتِ الحاضِنةِ لِلأقوالِ والكلامِ وغيرِ ذلك، وهو عِلْمٌ استأثَروا هم به بِسَبَبِ مُعاينتهم الأحوالَ الشّاهدةَ بالقُصودِ والمُرادات. ذلك لِأنّ المفرداتِ والألفاظَ المفيدةَ، أو الكلامَ، مَواليدُ مُحِيطٍ لُغَويّ مُركَّبٍ مِن عناصِرَ مختلفة، أُتيحَ لِعُلماءِ العربيّةِ الأوائلِ أن يتعرّفوها بالعِيانِ والمُشاهدةِ والملاحَظةِ الدّقيقةِ القاصِدةِ إلى المعرفةِ اليقينيّة. يقولُ صاحِبُ الخصائصِ في هذا المعنَى: «فلَيتَ شِعْري إذا شاهَدَ أبو عَمْرٍو، وابنُ أبي إسحاقَ، ويُونُسُ، وعيسى بنُ عُمَرَ، والخليلُ، وسيبَوَيْه، وأبو الحسَنِ، وأبو زَيْدٍ، وخَلَفٌ الأحْمَرُ، والأصمعيُّ، ومَن في الطّبقةِ والوقتِ مِن عُلَماءِ البلَدَيْنِ، وُجوهَ العربِ فيما تتعاطاهُ مِن كلامِها، وتقصِدُ له مِن أغراضِها = **ألا تستفيدُ بتلكَ المشاهدةِ وذلك الحضورِ ما تُؤدّيهِ الحِكاياتُ، ولا تضبِطُه الرّواياتُ، فتُضطَرَّ إلى قُصودِ العربِ، وغوامِضِ ما في أنفسها**، حتّى لو حَلَفَ منهم حالِفٌ عَلَى غَرَضٍ دلّتْه عليه إشارةٌ، لا عبارةٌ، لَكانَ عندَ نفسِه وعندَ جميعِ مَن يحضُرُ حالَه صادقاً فيه، غيرَ مُتّهَمِ الرّأيِ والنّحيزةِ والعَقْلِ» (الخصائص ١/ ٢٤٨).

ويُفهَمُ مِن هذا كُلِّه أنّ ابنَ جِنّيٍّ أَولَى هذا العنصُرَ التّداوليَّ قَدْراً كبيراً مِن الاهتمام، وجَعَلَ مِنه أساساً مِن أُسُسِ العِلْمِ بالمفرداتِ والتّراكيب، وأداةً مِن أدواتِ فَهْمِ كلامِ العرب. ويُفهَمُ مِنه أيضاً السَّبَبُ في أنّ الذين نزَلَ القرآنُ الكَريمُ بينَ ظَهْرانَيْهم كانوا يفهمونَ بِقَدْرٍ ما قُصودَ التّنزيلِ في مكوِّناتِهِ المختلفة؛ لِإحاطتِهم عِلْماً بالاستعمالِ اللّغويِّ العربيّ الذي جاءَ الذِّكْرُ الحكيمُ عَلَى طبيعةٍ تُحاكي طبيعتَه، ولِمعرفتِهم الكثيرَ مِن الأسبابِ الباعثةِ عَلَى استمطارِ سَحاب التّنزيل.

المُنجَزُ العربيُّ في عِلْمِ الاستعمالِ اللّغويّ أو التّداوليّة:

مِن هذا الذي قدَّمْناهُ في شأنِ تنبُّهِ ابنِ جِنِّيٍّ إلى هذا العنصُرِ التّداوليِّ الخطير، وهو قليلٌ مِن كثير، يتبيّنُ بالبُرهانِ المُؤيَّدِ أنّ العقلَ اللّغويَّ عندَ عُلَماءِ العربيّةِ الأوائل قد أحاطَ عِلْماً بعناصِرَ تداوليّةٍ كثيرةٍ في إنتاجِ الكلامِ وتلَقِّيه. وأنّ هذا العقلَ الذي عاشَ لِلعربيّةِ، وكَدَّ نفسَه في فَهْمِ كُلِّ ما يتّصِلُ بها، قد يكونُ عالَجَ عناصِرَ تداوليّةً في غايةِ الأهمّيّة، عناصِرَ أكثَرَ اتّصالاً بالعربيّةِ وأَهْلِها وبيئتِها. ولَعلَّ ما عَرَضْناهُ مِن تناولِ ابنِ جِنّيٍّ لِعُنصُرٍ تداوليٍّ واحِد يكونُ مُغْرِياً لِباحثينَ عَرَبٍ مُحقِّقِينَ مُتفانِينَ في خِدْمةِ العربيّة بِأن يُقْدِمُوا عَلَى جَمْعِ ما تفرّقَ في المصادرِ مِن مُعالَجاتٍ تداوليّةٍ أنتجَها العقلُ اللّغويُّ العربيّ. أمّا انتظارُنا عَلَى مائدةِ المترجَمِ لَنا مِن لُغاتِ الآخَرينَ، فسَيُبْقِينا في مرتبةِ «مَوْلَى المَولَى»، التي عَناها الفرزدقُ حِينَ هجا عبدَاللهِ بنَ أبي إسحاقَ فقالَ:

فلو كانَ عبدُ اللهِ مولًى هَجَوْتُه ولكنَّ عبدَ اللهِ مَوْلَى مَوالِيا

تذكيراتٌ واقتراحاتٌ:

١- أنّ انتظارَ الدّرسِ اللّغويِّ الغربيّ إلى العقودِ الأخيرةِ لكي يهتمَّ بالتّداوليّةِ، لا يعني أنّ مباحِثَ التّداوليّةِ مولودٌ غربيٌّ صِرْفٌ مُفاجئٌ، بل ما نجِدُه مِنها اليومَ دَرَجةٌ في سُلَّمٍ بَحْثيٍّ عالَميٍّ صاعِدٍ، سبقَتْها دَرَجاتٌ، وتعقبُها دَرَجات. وإنّ تأخُّرَ الدّرسِ اللّغويِّ الغربيِّ في تناوُلِ مَسائلَ مِن هذا القَبيلِ، لا ينبغي أن يفرِضَ علينا التّأخُّرَ في تَناولِ هذه المسائل.

٢- أنّ ما نحنُ في حاجةٍ ماسّةٍ إليه في الشّأنِ الذي نحنُ فيه أَمْرانِ: أن نقتُلَ تُراثَنا تبصُّراً وتأمّلاً وخُبْراً، وأن نجمَعَ إلى ذلك الخِبْرةَ بِما

أنتجَ الآخَرُ في المجالِ المشترَك. ثمّ تكونُ الخَلْفيّةُ المعرفيّةُ الثُّنائيّةُ أساساً لبحثٍ عميقٍ في مستودَعِ ما خلّفَهُ لنا الآباءُ الرّائعونَ.

٣- أدعو شُعَراءَ العربيّةِ بَدْءاً مِن الآنَ إلى تقديمِ إحاطاتٍ سَريعةٍ قَبْلَ قصائدِهم التي ستُنشَرُ، تُصوِّرُ شيئاً مِن «الأحوالِ الشّاهِدةِ» بقُصودِهم ومُراداتِهم. وأحسَبُ أنّ اعتمادَ ذلك سيُساعِدُ متلقِّي شِعْرِهم عَلَى فَهْمِه واستظهارِه وتقديرِه في الرّاهِنِ والآتي، وسيُعينُ الدّارسينَ عَلَى إتقانِ دَرْسِ أشعارِهم، والحُكْمِ الصّحيحِ عليها.

٤- أدعو مُدرّسي العربيّةِ في المستوياتِ المختلفةِ، ومؤلِّفي الكُتبِ المدرسيّةِ الخاصّةِ بتدريسِ العربيّةِ في الصّفوفِ المختلفة، إلى إعلامِ الطّلَبةِ قَدْرَ المستطاعِ بمُناسَباتِ إنشاءِ الأبياتِ والقصائد، والظّروفِ التي صاحبَتْ إنشاءَها وإنشادَها؛ لِما لذلك مِن تأثيرٍ في فهمِها واستظهارِها وتذوّقِها وتقويمِها التّقويمَ الصّحيح.

والحَمْدُ للهِ ربِّ العالَمين.

* * *

تجاربُ في إيقاعِ الشِّعْرِ حتّى نهاية العصر الأمويّ
التسميط والقواديس نموذجاً(*)

أ. د. فاروق اسليم(**)

تقديم:

عَرَفَ العصرُ العبّاسيّ تجاربَ كثيرةً لتطويرِ إيقاعِ الشعرِ العربيّ عَروضاً وقافيةً، وتنامى هذا الأمرُ حتّى بلغ الذروة بظهور فنّ الموشّحات الأندلسيّة. إنّ شيوعَ هذه التجارب الإيقاعيّة يُوجِّهُ النظرَ نحو البحث في جذور قديمة لها؛ لأنّ تطوّرَ الشعر لا يكون إلّا بتجارب قد تنجح، وتُكْتَبُ لها الاستمراريّة.

يهدفُ البحثُ في تجارب إيقاع الشعر العربيّ حتّى نهاية العصر الأمويّ إلى تأصيلِ جانبٍ من تاريخه وزناً وقافيةً، وذلك بجلاء مَظهرين مُهمّين من التجارب الإيقاعيّة، أشارَ إليهما القدماءُ على نحو يسيرٍ وسريعٍ، ولم يحتفلْ بهما المعاصرون، وهما: التَّسميط والقواديس.

إنّ جدّة البحث جعلت استقراءَ مادّته العلميّة مقصوراً على المعاجم القديمة وعلى مصادر الشعر ونقده، مع الحرص على الجمع بين التاريخيّ

(*) أُلقي هذا البحث في (ندوة الشعر وآفاق التجريب) التي أقامتها كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة البعث بتاريخ (٢٥-٢٦/ ٣/ ٢٠١٩).

(**) أستاذ في قسم اللغة العربية - جامعة حلب.

ورد البحث إلى مجلة المجمع بتاريخ ١٠/ ٧/ ٢٠١٩م.

والوصفّي في عرض المادّة العلميّة ومناقشتها، لاستنباط الأحكام التي انتهى إليها البحث في ظاهرتي التسميط والقواديس.

١- التَّسمِيْط:

يُراد بالتَّسميط لغةً لزومُ الشيء، أو تَعليقُه على السِّمط، وهو الخيطُ ما دام منظوماً فيه الخرزُ ونحوه. وهو مصدرُ قولِنا: سمّطتُ الشيءَ: إذا لَزِمْتُه أو علّقته على السِّمط[١]؛ فـ «السينُ والميمُ والطاءُ أصلٌ، يدلُّ على ضمّ شيءٍ إلى شيء وشدِّه به»[٢].

وللتسميط اصطلاحاً نوعان: أمّا النوعُ **الأوّل** فخاصّ بتسميط القصيدة كلّها، وقد عرّفه أبو القاسم الزجاجيّ (ت٣٣٧هـ) بقوله: «إنّما سُمِّيَ بهذا الاسم تشبيهاً بسِمْطِ اللؤلؤ، وهو سِلْكُه الذي يضمُّه، ويجمعُه مع تَفَرُّقِ حَبِّه، وكذلك هذا الشعرُ لمَّا كان مُفتَرِقَ القوافي، ومُتَعَقَّباً بقافيةٍ تضمُّه، وتردُّه إلى البيت الأوّل الذي بُنِيَتْ عليه في القصيدةِ صار كأنَّه سِمْطٌ مُؤَلَّفٌ من أشياءَ مُفترقَةٍ»[٣]. ومن الواضح أنّ الزجّاجيّ قد أسّس المعنى الاصطلاحيّ على المعنى اللغويّ إذ سوّغ تسميته بالتسميط: «تشبيهاً بسِمْطِ اللؤلؤ، وهو سِلْكُه الذي يضمُّه، ويجمعُه مع تَفَرُّقِ حَبِّه»، فهذا السلك هو قافية القصيدة كلّها. وهذا النوع من التسميط سلكه القدماء في مجال العروض والقوافي.

وأمّا النوع **الثاني** فخاصّ بتسميط بيت أو أبيات من النصّ الشعريّ؛ وقد عرّفه ابن فارس (ت٣٩٥هـ) بقوله: «فأمّا الشعرُ المسمّط فالذي يكونُ في سطرِ البيتِ أبياتٌ مَسْمُوطةٌ، تجمعُها قافيةٌ مُخالفةٌ، مُسمّطةٌ، مُلازمةٌ

(١) ينظر: لسان العرب وتاج العروس: سمط.

(٢) معجم مقاييس اللغة: سمط.

(٣) العمدة ص ٣٣٥.

للقصيدة»[٤]. ونجد توضيحاً لذلك في قول الشريفِ الجُرجانيّ (ت٨١٦هـ) معرّفاً التسميط: «تصييرُ كلِّ بيتٍ أربعةَ أقسام: ثلاثتُها على سَجْعٍ واحدٍ، مع مراعاةِ القَافية في الرابع، إلى أنْ تَنْقَضي القصيدةُ»[٥].

غير أنّ قول الشريف الجرجانيّ: «إلى أنْ تَنْقَضي القصيدةُ» ليس صحيحاً، لأنّ هذا النمط من التسميط لم يُستخدم إلّا في بيت أو أبيات من القصيدة. وهذا النوع من التسميط سلكه القدماء في مجال البلاغة العربيّة، لا مجال العروض والقوافي، مع أنّ صلته بمجال البلاغة موازية لصلته بالعروض والقوافي.

إنّ التسميطَ أو الشعرَ المُسَمَّط شبيهٌ بالأحجارِ الكريمة التي تُنظمُ مجموعاتٍ مُتتابعةً، يُشدُّ بعضُها إلى الآخر بسِمْطٍ ناظمٍ لها، وتُسمّى القصيدةُ منه بصيغةِ اسمِ المفعول (مُسمَّطَةً) من قولنا: سَمّطَ قصيدتَه[٦]، أو باسمٍ منسوبٍ إلى السِّمْطِ (سِمطيّة)[٧].

إنّ تسميطَ الشعر نوعان: نوعٌ يشملُ القصيدةَ كلَّها، وآخرُ يشملُ بيتاً أو بيتينِ أو بضعةَ أبياتٍ منها. وفيما يلي بيان لذلك:

١-١ تسميط القصيدة كلّها: أقدمُ إشارةٍ اصطلاحيّة إلى التسميط الذي يشملُ القصيدةَ كلَّها ذَكرَها الليثُ بنُ المظفّر[٨]، صاحبُ الخليلِ بنِ أحمدَ

(٤) معجم مقاييس اللغة: سمط.

(٥) التعريفات، ص٨٠-٨١.

(٦) ينظر: أساس البلاغة: سمط.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة: سمط.

(٨) هو الليث بن المظفّر - وقيل: ابن رافع - بن نصر بن سيّار، صاحب الخليل بن أحمد الفراهيديّ. قال عنه ابنُ المعتزّ(ت٢٩٦): كان الليثُ من أكتبِ الناسِ في زمانه، بارعَ الأدبِ، بصيراً بالشعر والأدب والنحو. وقال عنه الصفديّ (ت٧٦٤هـ): وكان الليثُ رجلاً صالحاً، مات الخليلُ، ولم يفرغ من كتاب العين، فأحبَّ أنْ ينفُقَ الكتابُ باسمه، =

الفراهيديّ (ت١٧٠هـ)، مؤلّفُ معجمِ (العين)، في قوله: «الشِّعرُ المُسَمَّط: الذي يكونُ في صدرِ البيتِ أبياتٌ مشطورةٌ أو منهوكةٌ مُقَفّاة، تجمعُها قافيةٌ مخالفةٌ لازمةٌ للقصيدةِ حتى تنقضيَ... فصدرُ كلِّ قَصيدةٍ مِصراعانِ في بيتٍ، ثم سائرُه في سُمُوط»[٩]. وفي هذا التعريفِ ضَرْبان من التسميط: أمّا **الأوّل** فيتشكّل من مجموعاتٍ لأبياتٍ مشطورةٍ، ولكلّ منها قافيةٌ خاصّةٌ بها، تُتْبَعُ بالقافيةِ الملازمة للقصيدة كلّها، وأمّا **الثاني** فمُمَاثلٌ الأوّلَ، غيرَ أنّ مجموعة الأبيات فيه تكون منهوكةً لا مشطورةً. والقصيدةُ في الضربين تُستهلُّ ببيتٍ مُصرّع، قافيتُه هي الملازمةُ للقصيدةِ كلّها.

اكتفى صاحبُ التهذيب، نقلاً عن صاحب (العين)، بالاستشهاد للتسميط بما يُناسبُ تسميطَ القصيدةِ من أبياتٍ مشطورة؛ إذ قال: «وقال امرؤ القيس قَصيدتين على هذا المثالِ، تُسَمَّيان[١٠] السِّمْطَينِ، فصدرُ كلِّ قَصيدةٍ مِصراعانِ في بيتٍ، ثم سائرُه في سُمُوط، فقال في إحداهما:

ومُسْتَلْئِمٍ كشَّفْتُ بالرُّمْحِ ذَيْلَهُ
أَقَمْتُ بعَضْبٍ ذي سَفاسِقَ مَيْلَهُ
فجَعْتُ به في مُلْتَقَى الخيْلِ خيْلَهُ
تركتُ عِتاقَ الطيرِ يَحْجُلْنَ حَوْلَهُ
كأَنَّ، على سِرْبالِه، نَضْحَ جريالِ»[١١]

= فسَمَّى لسانَه الخليلَ، فإذا رأيتَ في الكتاب: سألتُ الخليلَ، وأخبرني الخليلُ فإنّه يعني الخليلَ نفسَه. وإذا قال: قال الخليلُ، فإنّما يعني به الليث لسانَه نفسه.. ينظر: طبقات الشعراء، ص٩٦-٩٧، والوافي بالوفيات ٢٤/ ٣١٣.

(٩) تهذيب اللغة: سمط. وينظر: العين: سمط. وما فيه منقول عن (تهذيب اللغة).

(١٠) في الأصل: يُسمّيان. والمثبت من العباب الزاخر ولسان العرب: سمط.

(١١) تهذيب اللغة: سمط. وفيه: فجعتُ به ملتقي... يخجلن. تصحيف. والتصويب من =

ثمّةَ ملحوظاتٌ على ما جاء به (التهذيب) نقلاً عن (العين): **الأولى** أنّه «لم يذكرِ المُسمَّطةَ الأخرى»[١٢]، **والثانية** أنّه أسقطَ من السِّمطيّة المُستشهدِ بها بيتَها المُصرّعَ الذي ابتُدِئ به ليكونَ صدراً لها، والذي رويّه لامٌ مجرورة؛ وهو أصلٌ لا بدَّ منه لِتكتملَ لدينا صورةُ التسميط، وليكونَ الاستشهادُ بهذه السمطيّة مُطابقاً تمامَ المُطابقة لتعريفِ صاحب (العين) للتّسميط، **والثالثة** أنّ عدداً من أصحاب المعاجمِ قد أخذوا عن (العين) نصَّ هذه السمطيّة[١٣]، وأنّها لم ترِدْ في أيِّ مصدرٍ آخرَ من كتب التراث العربيّ.

في هذه السمطيّة مظهرانِ للتجريبِ الإيقاعيّ: أمّا **الأوّل** فهو استخدامُ الشاعرِ لمشطورِ البحر الطويل[١٤]، وفي هذا مُغايرةٌ تجريبيّةٌ إيقاعيّة؛ لأنّ البحرَ الطويلَ لم يردْ في الشعر القديم إلَّا تامًّا، وأمّا المظهر **الثاني** فيكمنُ في مُغايرةِ قافية الأقسمةِ الأربعةِ[١٥] للقافيةِ المُلازمةِ للقصيدةِ[١٦]، وفي هذا

= العين: سمط. **المستلئم**: الذي لبس لأمته، أي: أداة حربه كلّها. **ذيله**: أرادَ طرفَ ثوبِه أو درعِه الذي يَلي الأرض. **العضب**: السيف القاطع. **السفاسق**: طرائقُ طوليّةٌ على صفحة السيف كالخطوط الممدودة. **يَحجلُ الطيرُ**: ينزو في مَشيه أو يرفعُ رجلاً، ويتريّثُ في مشيه على أخرى. **سرباله**: درعِه. **النضْحُ**: الرشُّ الخفيف عمداً. **الجريال**: صِبغٌ أحمر.

(١٢) العباب الزاخر واللباب الفاخر: سمط.

(١٣) تُنظر مادة (سمط) في: تهذيب اللغة (الأزهريّ، ت٣٧٠هـ)، والعباب الزاخر واللباب الفاخر (الصاغانيّ، ت٦٥٠هـ)، ولسان العرب (ابن منظور، ت٧١١هـ)، وتاج العروس (الزبيديّ، ت١٢٠٥هـ). وفيها كلّها: وقال: الليث.

(١٤) عدا البيت الأوّل الذي نفترضُ وفقَ تعريفِ صاحب (العين) أنّ يكون بيتاً تامًّا ومصرّعاً. ويجوز لنا أنّ نجعلَه شطرين، فتكون القصيدة كلّها من مشطورِ الطويل.

(١٥) رويُّها مطلقٌ (لَ)، موصولٌ (ـه)، وفيه خروجٌ بإشباعِ حركةِ الضمّ (هُوْ)، وفيها ردفٌ بحرفِ لينٍ؛ الياء قبلها فتح (ذَيْلَه)، والواو قبلها فتح (حَوْلَه).

(١٦) رويّها مطلقٌ (لِ)، موصولٌ بإشباعِ حركةِ الجرّ (لِيْ)، مردوفٌ بحرف مدّ؛ ألف قبلها فتح (يَا).

تجريبٌ إيقاعيّ آخر؛ لأنّ القافيةَ كانتْ لا تردُ آنذاكَ إلّا وفقَ إيقاعٍ واحدٍ حرفاً وحركةً وبنيةً.

ثمّ جاء ابنُ رشيق (ت٤٥٦هـ) فأشارَ إلى نوعٍ من التسميطِ، فيه «يَبتدئ الشاعرُ ببيتٍ مُصَرَّعٍ، ثمّ يأتي بأربعةِ أقسمةٍ على غيرِ قافيته، ثمّ يُعيد قَسيماً واحداً مِنْ جنسِ ما ابتدأَ به، وهكذا إلى آخرِ القصيدة. مثالُ ذلك قولُ امرئ القيس، وقيلَ: إنّها منحولةٌ:

تَوَهَّمْتُ مِنْ هندٍ مَعَالِمَ أَطْلالِ عَفَاهُنَّ طُولُ الدَّهْرِ في الزَّمَنِ

مَرَابِعُ مِنْ هِنْدٍ خَلَتْ ومَصَايِفُ
يَصيحُ بِمَغْناهَا صَدًى وعَوَازِفُ
وغَيَّرَها هُوْجُ الرِّياحِ العَواصِفُ
وكلُّ مُسِفٍّ، ثمَّ آخَرُ رَادِفُ
بِأَسْحَمَ مِنْ نَوْءِ السِّمَاكَيْنِ هَطَّالِ

وهكذا يأتي بأربعةِ أَقْسِمَةٍ على أيِّ قافيةٍ شاءَ، ثمّ يُكَرِّرُ قَسيماً على قافية اللَّام»(١٧).

هذه السِّمْطيّة هي التي أغفلَ صاحبُ (العين) ذكْرَها، يؤيّد ذلك أنّ صاحبي (لسان العرب) و(تاج العروس) نَقَلَا خبرَ (العين)، وأضافا: «وأوردَ

(١٧) العمدة، ص٣٣٢-٣٣٣. **توهّمت**: تخيّلتُ. **عَفَاهنّ**: مَحَاهنّ. **المَغْنَى**: المنزلُ الذي خلا من أهله. **الصدى**: رَجْعُ الصوت وارتداده، وطائرٌ اعتقد الجاهليّون أنّه يخرج من رأس القتيل ويصيح إذا لم يُثأر به. **العوازف**: المصوّتون في المفاوز بالليل، ويُنسبُ ذلك إلى الجنّ. **المُسفّ**: السحاب الداني من الأرض. **أسحم**: سحاب أسود. **النَّوء**: سقوطُ نجمٍ وطُلوعُ آخر. والعربُ تُضيف الأمطارَ والرياحَ والحرَّ والبردَ إلى الساقط منهما. **السِّماكان**: نجمان نيّران.

ابنُ بَرّيّ[١٨] مُسمّطَ امرئ القيس: **توَهَّمْتُ...**»[١٩]. وقافيةُ هذه السمطيّة مطابقةٌ للسمطيّةِ الأولى تمامَ المُطابقة، غيرَ أنّ قافيةَ أقسمتِها الأربعةِ جاءت مغايرة للأولى[٢٠]؛ لكنّ الجمع بين السمطيّتين يسمحُ بأنْ نتصوّرَ للقصيدة السِّمْطيّة لدى امرئ القيس بناءً إيقاعيًّا وموضوعيًّا؛ أمّا **البناءُ الإيقاعيّ** فيكمنُ في أنّها تبدأ ببيتٍ مصرّعٍ، تتلوه خمسةُ أقسمةٍ، أوّلُها أربعةٌ، لها قافية مُغايرة، وآخرُها قسيمٌ من جنسِ قافيةِ ما ابتُدئتْ به القصيدةُ، ثمّ يَتَتابعُ التسميطُ خمسةَ أقسمةٍ بعدَ خمسةٍ، وتتنوّعُ قوافي الأربعة الأولى من كلّ منها، وتُوَحِّدُ بينها قافيةُ القسيم الخامس، وهي التي بُنيت القصيدةُ عليها. وفي ذلك تجديدٌ إيقاعيّ وزناً وقافيةً. وأمّا **البناء الموضوعيّ** فثمّة تقليدٌ فنّيّ واضحٌ به؛ فَقَدِ استُهلَّتْ السمطيّةُ الثانيةُ بموضوع مألوفٍ، هو وصفُ الأطلال التي خَلَتْ من أهلها، وغيّرتْ معالمَها هوجُ الرياح والأمطار، إضافةً إلى أنّ موضوعَ الفخر بالذات في السمطيّة الأولى يُشير إلى تعدّدِ موضوعاتِ القصيدةِ السمطيّة، ومن المحتمل أنّ يكونَ هذا التعدّد مُتَساوقاً مع تعددِ قافيةِ أربعةِ الأقسمةِ في كلّ دورٍ من التسميط؛ لذا لا نَستبعدُ أنْ تكون سمطيّتا امرئ القيس بعضاً من قصيدةٍ واحدة، وأنْ يكونَ اختلافُ قوافي الأقسمة مظهراً إيقاعيًّا للانتقال من موضوع إلى آخر.

---

(١٨) ابن برّي: هو عبد الله بن أبي الوحش بَرّيّ، أبو محمّد المقدسيّ الأصل، المصريّ الإقامة، الإمام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية؛ كان علّامة عصره، ونادرة وقته، ولم يكن للمصريّين مثله. توفّي سنة ٥٨٢. ينظر: وفيات الأعيان ٣/ ١٠٨-١٠٩، والوافي بالوفيات ١٧/ ٤٦-٤٨.

(١٩) لسان العرب وتاج العروس: سمط.

(٢٠) رويّها مطلقٌ (فُ)، موصولٌ (فُوْ)، وفيها تأسيس بألف ملتزمة، بينها وبين الروي حرف واحدٌ متحرّك (مصايف).

إنّ تعدّدَ الموضوعاتِ في القصيدة العربيّة القديمة تقليدٌ شعريّ، ابتكرَه الشعراء الذين يُنسبُ إليهم تقصيد القصائد قبل الإسلام، ومنهم امرؤ القيس[٢١]، وفي هذا إشارةٌ إلى مَيْلِه نحو التجريب في مجال بناء القصيدة موضوعيًّا، كما أنّ في تسميطِه الذي وَقَفْنا عنده ما يُشير إلى تجريبه في مجالِ إيقاعِ القصيدةِ أيضاً. وفيما يلي جدولٌ يَتضمّنُ إجمالاً للتجريب الإيقاعيّ بالتسميط لدى امرئ القيس:

تقليد بالوزن والقافية	١- الطويل التامّ (مطلع القصيدة المصرّع). ٢- للقصيدة قافية لازمة ورويّ لازمٌ أيضاً
تجديد بالوزن والقافية	١- مجزوء الطويل (في الأقسمة). ٢- مغايرة رويّ الأقسمة للقافية اللازمة للقصيدة حركةً ورويًّا وبُنيةً.

إنّ معرفتَنا للشائعِ في بناءِ إيقاعِ النصّ الشعريّ في زمن امرئ القيس وبعده يؤكّد أنّ له تَجريباً شعريًّا إيقاعيًّا مؤسّساً على ابتداعِ مجزوء الطويل، وعلى تنويعِ الرويّ حرفاً وحركةً: بَيْنَ رفعٍ وخفضٍ وبِنْيَةً، لكنَّ نسبةَ ذلك التجريب إليه مسألةٌ فيها نظرٌ لثلاثة أمور: **الأوّلُ** قولُ ابنِ رشيق عن السمطيّة الثانية: «وقيل: إنّها منحولة»، **والثاني** أنّ هذا التسميطَ لم يردْ في ديوانِ امرئ القيس، وإلى ذلك أشارَ الصاغانيّ مؤلّفُ (العُباب) بقوله عن المسمّط الأوّل: «ليس هذا المُسمّط في شعرِ امرئ القيسِ بنِ حُجرٍ، ولا في شِعْرِ مَنْ يُقال له امرؤ القيس سواه»[٢٢]. غيرَ أنّ هذا وذاك لا ينفيان إمكانيّةَ صحّةِ

(٢١) ينظر: المزهر ٢/ ٤٧٧. صحيحٌ أنّ امرأ القيس قد أسهم كثيراً في رسم معالم بناء القصيدة المطوّلة، لكن ابتكارَ التقصيد يرجع إلى شعراءَ سبقوه، منهم مُهَلْهِلُ بنُ ربيعةَ ولقيطُ بنُ يَعمرَ الإياديّ.

(٢٢) العباب الزاخر واللباب الفاخر: سمط.

نسبتِها إليه، و**الثالث** أنّ أبا العلاء المعريّ (ت٤٤٩هـ) قَوَّلَ امرأ القيس تعليقاً على تسميطٍ يُنسبُ إليه قَوْلاً ينفي نسبته إليه، ومنه قوله: «وإنّه لَقَرِيٌّ لم أَسلكْهُ، وإنّ الكذبَ لكثير، وأحسبُ هذا لِبعضِ شعراء الإسلام»[٢٣].

غيرَ أنّ قولَ ابنِ رشيق عن سمطيّة امرئ القيس التي استشهد بها (وقيل: إنّها منحولة) لا جزم فيه، أي: هو لا ينفي إمكانيّة أنّ تكون صحيحةَ النسبة إليه، كما أنّ عدمَ ورود السمطيّتين في روايات ديوان امرئ القيس ليس دليلاً كافياً لنفي نسبتِهما إليه؛ فقد وثّقَهما عددٌ من أصحابِ المعاجم، وهم علماء أجلّاء، ومؤلّفون ثِقات (الفراهيديّ أو الليث بن المظفّر – الأزهريّ – الصاغانيّ – ابن منظور – الزبيديّ)، إضافةً إلى استبعادِ أنْ يشتملَ ديوانُ أيّ شاعر جاهليّ على كلّ شعره، وإلى أنّ الرواة قد يُغفلون شيئاً من شعر صاحب الديوان لنفاسته[٢٤]، أو لأنّه لا يوافقُ الذوقَ العامّ الذي يُمثّلونه؛ وسِمطا امرئ القيس فيهما قدرٌ كبيرٌ من النفاسة، ومن مغايرة الذوق العامّ، وهذه المغايرة هي التي جعلت الرواةَ يهملون ما كان من الشعر الجاهليّ مبنيًّا على أكثرِ من حرفٍ للرويّ[٢٥].

أمّا نفيُ المعرّي التسميطَ عن امرئ القيس فمبنيّ على تعليل النفي بقول المعريّ على لسانه: «أبعدَ كلمتي التي أوّلها: أَلَا انعمْ صباحاً...

---

(٢٣) رسالة الغفران ص ١٤٤. **القَرِيُّ**: جمعُه أَقْرِيَةٌ، وهي طرائقُ الشعرِ وقوافيه.

(٢٤) من ذلك مقطّعة للشاعرة الخنساء في وصف سباق خيل جرى بين أبيها وأخيها، فقد قيل لأبي عبيدة: ليس هذا في مجموع شعر الخنساء؛ فقال: العامّةُ أسقطُ من أنْ يُجادَ عليها بمثلِ هذا. ينظر: الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٤٣.

(٢٥) يقول الشاطبيّ (ت٥٩٠هـ): «والعربُ تجعلُ القصيدة كلّها تارةً على رويّ واحد، وهو المشهور في أشعارها، وتارةً تجعله على حروف مختلفة... ولا يكون إلّا مزدوجاً». حاشية على شرح بانت سعاد ١/ ٤٥.

وقولي: خليليَّ مُرَّا بي... يُقالُ لي مثلُ هذا، والرجزُ من أضعفِ الشعر، وهذا الوزنُ من أضعفِ الرجز»[٢٦]. ويبدو هذا الحكم دقيقاً إذا نظرنا إلى بعض هذا السمط، ومنه[٢٧]:

يـــا قَـــومِ إنّ الهَـــوَى
إذا أصـــــابَ الفَتَـــــى
فـــي القلـــبِ ثـــمّ ارْتَقَـــى
فَهَـــدَّ بعـــضَ القُـــوَى
فَقَـــدْ هَـــوَى الرَّجُـــلُ

فهذا النمطُ من القولِ لا تصحُّ نسبتُه إلى امرئ القيس؛ لبعده الواضح عن شخصيّته وعن طرائقِ التعبير عنده وعن بيئته البدويّة ولغتها، وهو خليق بأنْ يكونَ كما وصفه المعريُّ على لسان امرئ القيس: «وأَحْسَبُ هذا لبعضِ شعراءِ الإسلام»، فهو شبيهٌ بما كان يقولُه الوليدُ بنُ يزيدَ الأمويّ، لا بما يمكن أنْ يقوله امرؤ القيس.

لكنّ الأمرَ في التسميط الذي نُصحّحُ نسبتَه إلى امرئ القيس مغايرٌ لما نفاه المعرّيُّ عنه؛ فمن جهة الموضوعِ كان امرؤ القيس مشهوراً بوصفِ المطر، فقد ماتنَ التوأمَ اليشكري في وصفه، ونعتَه الشاعرُ ذو الرُّمّة بأنّه أشعرُ مَنْ وصفَ الغيثَ[٢٨]، إضافة إلى أستاذيّته الظاهرة في وصفه للبرق والمطر والسيل في معلّقته[٢٩]، وفي ذلك ما يرجِّحُ نسبةَ مطلعِ السمطيّة إليه.

(٢٦) رسالة الغفران ص ١٤٤-١٤٥.
(٢٧) رسالة الغفران ص ١٤٤.
(٢٨) ينظر: ديوان امرئ القيس ص ١٤٤.
(٢٩) ينظر: الشعر والمطر، ص٢١-٤٦.

ويؤكّد هذا أنّ بعضَ مفرداتها (هند - الخالي - الدهر - أسحم هطّال) متداولة في شعر امرئ القيس الموثّق(٣٠).

وترجيحُ نسبةِ المطلعِ الطلليّ والمطريّ للسمطِيّة إلى امرئ القيس بناءً على موضوعِها ولغتِها يرجّحُ أيضاً توثيقَ الفخر الذي جاء بعده؛ لأنّ مرجعيّة توثيقهما واحدة، إضافة إلى أنّ لغةَ الفخرِ وصورَه وتراكيبه ليست بغريبة على زمن امرئ القيس وشعره. يُضاف إلى ذلك أنّ نَحْلَ نصوص مسمّطة لامرئ القيس يُشير إلى أنّه كان معروفاً بالتسميط، وأنّ هذا المنحولَ(٣١) قد نُسجَ على منوال نصوصٍ صَحيحةٍ، عُرفَ بها الشاعر، ومنها هذه السِّمطيّة التي وقفنا عندها.

وبناء على ذلك يمكنُ القولُ بأنّ امرأ القيس قدّم لنا ضرباً إيقاعيًّا تجريبيًّا من التسميط، يشملُ القصيدةَ كلّها، ويكونُ بإحداثِ تقفيةٍ لبضعةِ أقسمةٍ، مَسبوقةٍ ببيتٍ مُصرّعٍ، ومُتبوعةٍ بِقسيمٍ تُماثلُ قافيتُه قافيةَ البيتِ المُصرّع، وهي القافيةُ التي تُبنى عليها القصيدةُ، مع تكرارِ هذا النمطِ فيها، على نحو يتساوق مع الانتقال من موضوع إلى آخر، ومن فكرة إلى أخرى. وهذا الضرب لا يمكنُ أنْ يوجدَ عفوَ الخاطر، ولا هو وليدُ الارتجالِ وحده؛ لأنّه بناءٌ مُحْكَمٌ ومُقيّد بقيودٍ تَستدعي وجودَ قَصْديّة لابتداعِ إيقاعٍ جديدٍ مُغايرٍ لِمَا هو سائد.

وقد كان لهذا التجريبِ الإيقاعيّ تأثيرٌ شديدٌ في العصور اللاحقة؛ فالتسميطُ الذي ذكره المعريّ في (رسالة الغفران) ونَفَى نسبتَه إلى امرئ القيس

(٣٠) ينظر: ديوان امرئ القيس، ص١٢٨ و١٣١ و١٣٤ و١٣٨ لـ (هند، وهي أخته) و ص٢٧ و٢٨ لـ (الخالي) وص٤١ و٦٠ و٩٩ و١٠٩ لـ (الدهر) و ص٢٧ و٣٧ لـ (أسحم هطّال).

(٣١) ينظر: ديوان امرئ القيس ص ٤٥٧-٤٥٨.

هو نصّ إسلاميّ من وجهة نظر المعرّيّ، كما وجدت في عصور لاحقةٍ فنونٌ إيقاعيّة مختلفةٌ مبنيّةٌ على نوع التسميط الذي ابتكره امرؤ القيس، ولا سيّما فنّا الدوبيت والموشحات، إذ في كلّ منهما تجديدٌ في الإيقاع العروضي وفي القوافي يصنعُ مغايرةً للمألوفِ والشائعِ في الشعر العربيّ.

٢-١ تَسميطُ بيتٍ أو أكثرَ مِنَ القصيدة: أغفلَ الليثُ في تعريفه للتسميط هذا الضربَ من التجريب الإيقاعيّ القديم، ثمّ إنّ تَعْريفَي ابنِ فارس والشريفِ الجُرجانيّ له كانا غير دقيقين؛ إذ في كلٍّ منهما إشارةٌ إلى أنّ هذا النمطَ من التسميط يتشكّلُ من قصيدةٍ تامّةٍ، وهي إشارةٌ ضمنيّةٌ لدى ابنِ فارس، وصريحةٌ لدى الشريف الجُرجانيّ، ويؤكّد ذلك أنّ البيتين اللذين استشهدَ بهما الجُرجانيّ، ونسبَهما إلى شاعر مجهول - وهما مناسبان لتعريف ابن فارس أيضاً - يرجعانِ إلى قصيدةٍ مُطوّلةٍ للشاعرةِ الجاهليّة الهُذليّة جنوبَ أختِ عمرٍو ذي الكَلْب، ترثيه فيها، وهما قولها[٣٢]:

وَخَوْفٍ وردْتَ، وثَغْرٍ سَدَدْتَ وعِلْجٍ شَدَدْتَ عليهِ الحِبَالَا
ومَالٍ حَوَيْتَ، وخَيْلٍ حَمَيْتَ وضيفٍ قَرَيْتَ، يَخافُ الوِكَالَا

وهذه القصيدة لجنوبَ الهُذليّةِ من البحر المتقارب التامّ، غيرَ أنّ التسميط أضافَ إلى الإيقاع العامِّ للبحر إيقاعاً داخليًّا عَبْرَ تقسيمِ البيت أربعةَ أقسامٍ، فالبيتُ - هو السطر الشعريّ في تعريف ابن فارس - غَدَا أربعةَ أجزاءٍ متساويةٍ، ويمكنُ أنْ يُكتبَ على هذا النحو:

---

(٣٢) الفاضل في اللغة والأدب، ص٦٠-٦١. **العلج**: الرجلُ الشديد الغليظ. **الوِكال**: العجزُ والضعف. وينظر للقصيدة: شواعر الجاهليّة، ص٢٣٢-٢٣٦، وفيها بيت آخر مشابهٌ، لكنَّ التقفيةَ فيه حصلتْ في قسمين، في شطره الأوّل، وهو قولها:

وحيٍّ أَبَحْتَ، وحَيٍّ صَبَحْتَ غَداةَ الهِيَاجِ مَنايَا عِجَالَا

وَخَـــــــــــوْفٍ وردْتَ
وثَغْـــــــرٍ سَـــــــدَدْتَ
وعِلْـــــــجٍ شَـــــــدَدْتَ
عليـــــــهِ الـــــــحِبَالَا

وبهذا النمط من الكتابة للسطر (البيت) يُصبح المتقارب التامّ أربعةَ أقسمةٍ (أبيات – أسطر) منهوكةٍ، لثلاثتِها الأولى قافيةٌ خاصّة، وللرابعِ قافيةٌ أخرى، هي الملازمةُ للقصيدة. وهذا ضربٌ من التسميط فيه تجريب شعريّ من جهتين: **الأولى** ابتداعُ إيقاعٍ جديدٍ، هو منهوكُ المُتقارب[٣٣]، و**الثانية** مغايرة قافية الأقسمة الثلاثة المنهوكة (وردتَ – حميتَ) للقافيةِ المُلازمةِ للقصيدةِ (الحِبالا – الوِكالا)[٣٤].

ومن هذا القبيل في التسميط قولُ الخنساء في رثاء أخيها[٣٥]:

طَـــلّاعُ مَرْقَبَـــةٍ، مَنّـــاعُ مَغلَقَـــةٍ وَرّادُ مَشـــرَبَةٍ، قَطّـــاعُ أَقـــرانِ
شَـــهّادُ أَندِيَـــةٍ، حَمّـــالُ أَلوِيَـــةٍ قَطّـــاعُ أَودِيَـــةٍ، سِـــرحانُ قيعـــانِ

وللبيتِ الثاني حضورٌ في مَوْضعين آخرين في شعر الخنساء، مع اختلافٍ يسيرٍ في اللفظ والترتيب، وهما قولها[٣٦]:

حَمّـــالُ أَلوِيَـــةٍ، قَطّـــاعُ أَودِيَـــةٍ شَـــهّادُ أَنجِيَـــةٍ، لِلـــوِترِ طَلّابـــا

وقولها[٣٧]:

---

(٣٣) من المعروف أنّ البحر المتقارب يكون تامًّا أو مجزوءاً، ولم يأتِ منهوكاً.

(٣٤) نلحظ تنويعاً لحرف الرويّ (التاء واللام) مع وحدة الحركة (الفتح)، كما نلحظ لزومَ الدالِ في منهوكات البيت الأوّل، ولزوم الياءِ في منهوكات البيت الثاني.

(٣٥) ديوان الخنساء، ص٣٣٥.

(٣٦) السابق، ص٩٢.

(٣٧) السابق، ص٣٠٦. والبيت من قصيدة من أربعة وثلاثين بيتاً.

حَمّـالُ أَلوِيَـةٍ، هَبّـاطُ أَودِيَـةٍ شَـهّادُ أَندِيَـةٍ، لِلجَـيشِ جَـرّارُ

والأبياتُ في كلّ ما سبقَ من البسيط التامِّ، غيرَ أنّ قوافيَ منهوكاتِ كلِّ بيتٍ جاءتْ مجرورةً منوّنةً، وهذا مغايرٌ لمعياريّة القوافي من جهةِ أنّها لا تأتي منوّنة.

ولذلك البيت الثاني حضور لدى عدد من الشعراء الجاهليّين، مع اختلاف يسير في اللفظ والترتيب، ومنهم تأبّط شرًّا وأبو المُثلّم الهذليّ[٣٨]، ممّا يشير إلى أنّ هذا الضرب من الإيقاع له انتشارٌ يُؤذن بإمكانيّة وجود قَصديّةٍ إلى صنعه، تؤكّدها أربعةُ أبياتٍ مُسمّطةٌ، من قصيدة للفارعةِ بنتِ شدّاد المرّية، تَرْثِي أخاها، وهي قولها[٣٩]:

شَـهّادُ أَندِيَـةٍ، رَفّـاعُ أبنيـةٍ شَـدّادُ أَلويَـةٍ، فَتّـاحُ أَسـدادِ
نَحّـارُ راغِيَـةٍ، قَتّـالُ طاغِيَـةٍ حَـلّالُ رابِيَـةٍ، فَكّـاكُ أَقيـادِ
قَـوّالُ مُحكَمَـةٍ، نَقّـاضُ مُبرَمَـةٍ فَـرّاجُ مُبهَمَـةٍ، حَبّـاسُ أَوْرادِ
حَـلّالُ مُمْرِعَـةٍ، حَمّـالُ مُضْـلِعَةٍ قَـرّاعُ مُفْظِعَـةٍ، طَـلّاعُ أَنجـادِ

إنّ هذا الضرب من التسميط يسمحُ بإعادةِ صياغة البيت (السطر الشعريّ) كتابيًّا ليغدوَ أربعةَ أبيات (أسطر)، وبذلك يصبحُ البيتُ من البحر البسيط التامّ أربعةَ أبياتٍ منهوكة، على هذا النحو:

شَـهّادُ أَندِيَـةٍ
رَفّـاعُ أبنيـةٍ
شَـدّادُ أَلويَـةٍ

(٣٨) ينظر: ديوان تأبّط شرًّا وأخباره، ص١٣٧، وشرح أشعار الهذليّين، ص٢٨٥.

(٣٩) الأغاني ١٢/ ١٣١. وتنظر القصيدة مجموعة من عدّة مصادر في (شواعر الجاهليّة ص ٢٨٨-٢٩١)، وبعضها مختلف في نسبته. **الراغية**: الناقة. والرغاء: صوت الإبل. **الأوراد**: الجماعة التي ترد الماء. **المُمْرِعة**: الأرض المخصبة. **المُضْلِعة**: المُثقِلة للأضلاع. **الأنجاد**: الأماكن العالية.

فَتّـــــاحُ أَســـــدادِ

إنّ التجريبَ الإيقاعيّ وَزْناً وقافيةً واضحٌ في هذا التسميطِ، إضافةً إلى استمرار مظاهر التقليد فيه. وفيما يلي جدولٌ، تُجمَلُ فيه مظاهرُ التقليد والتجديد في تسميط بيت أو بيتين أو بضعة أبيات من النصّ الشعريّ:

تقليدٌ بالوزنِ والقافيةِ	١- المتقارب التامّ والبسيط التامّ. ٢- للقصيدة قافية لازمة ورويّ لازمٌ أيضاً
تجديدٌ بالوزنِ والقافيةِ	١- منهوك المتقارب ومنهوك البسيط. ٢- مغايرة رويّ الأقسمة للقافية اللازمة للقصيدة. ٣- تنوين رويّ الأقسمة.

فهذا التسميطُ يكونُ بإحداثِ تقفيةٍ داخلَ بيتٍ شعريّ أو أكثرَ، ضمنَ القصيدةِ، على أنْ يُختمَ البيتُ بالقافية التي بُنيت عليها القصيدة. وهذا الضربُ من التسميط وليدُ انفعالٍ شديدٍ، يُولّد إيقاعاً مُضافاً إلى الإيقاع العروضيّ العامّ للقصيدة. ويرجّح هذا الظنّ أنَّ شواهدَ هذا الضربِ من التسميطِ مجالُها الرثاءُ وحده، وفي ذلك ما يناسبُ النَّوْحَ الجماعيّ الذي كانت النساء تقوم به قبل الإسلام.

وقد كان لهذا الضربِ من التجريبِ الإيقاعيّ حضورٌ مستمرٌّ في الشعر العربيّ إلى أنْ بلغَ الغايةَ الفنيّة، فأصبحَ تقليداً مُتَّبعاً عَمْداً وقَصْداً، حتّى بَنَى عليه أصحابُ البديعيّات بعضَ أبياتِهم، كقول صفيّ الدين الحلّيّ (ت٧٥٢هـ) في كافيّته البديعيّة في المدائح النبويّة[٤٠]:

فالحقُّ في أُفقٍ، والشِّرْكُ في نَفَقٍ والكُفْرُ في فَرَقٍ، والدِّينُ في حَرَمِ

(٤٠) ديوان صفيّ الدين الحلّيّ، ص٦٩٥. والمعنيّون بالبلاغة يقصرون التسميط على ما كان البيت فيه على أربعة أقسام، ثلاثة على سجع واحد، بخلاف قافية البيت، ومنهم الباحث البلاغي عيسى العاكوب. ينظر: المفصّل في علوم البلاغة العربيّة، ص٦٩٥.

ابتدعَ الشعراءُ قبلَ الإسلام تجاربَ إيقاعيّةً مهمّـةً، فـي الـوزن والقافيـة، وكان بعضُها وليدَ وعيٍ وقصدٍ إلى مغايرة المـألوف، يشـملُ القصـيدةَ كلّهـا، وكان بعضُها الآخرُ وليدَ انفعالٍ شديدٍ وعميقٍ، صنعَ المغـايرة الإيقاعيّـة فـي بيت أو أكثر من النصّ الشعريّ. وقـد أدرك نقّـاد الشـعر ذلـك، ووضـعوا لـه مصطلح التسميط، كما وضعوا له تعريفاً يشمل نوعيه، وكان لهـذا التجريـب الإيقاعيّ استمراريّةٌ في العصور اللاحقة، فعكف عليه الشـعراء، وبنَـوا عليـه نصوصاً شعريّةً تامَّةً، كما كان له تأثير في ولادة فنون شعريّة مستحدثة.

٣ – القواديس:

القواديس لغةً بِنيـةٌ لغويّـةٌ مولّـدةٌ؛ لأنّ الفصـيحَ المُعبّـر عـن ذلـك هـو: أقداسٌ جَمْعُ قَدَسٍ، لا قواديسُ جمعُ قَادوسٍ. يقـول الصـفديّ (ت٧٦٤هـ): «يقولون لبعض الآنية: قادوس، ويجمعونه على قَوادِيس. والصوابُ: قـدَسٌ والجمعُ أقْداس، قال أبو إسحاق الزَّجَّـاج: إنّمـا سُـمّيَ السَّـطْلُ قَدَسـاً؛ لأنّـه يُتطهَّرُ به، ويَتَوَضَّأ منه. والقُدْس: الطُّهْرَة»(٤١).

أمّا القواديس اصطلاحاً فلم أجـد أحـداً ذكـرَ هـذا المصـطلح غيـرَ ابـنِ رشيق، مع أنّه أشارَ إلى شيوع تسميته في زمانـه، إذ قـال: «ومـنَ الشـعرِ نـوعٌ غريبٌ، يُسَمُّونَه القَواديسَ، تَشبيهاً بقَواديسِ السَّانية؛ لارتفاعِ بعضِ قوافيه في ناحيةٍ، وانخفاضِها في الجهة الأخرى»(٤٢)(*). والصِّلَةُ واضـحةٌ بـين دِلَالتـي القواديس لغويًّا واصطلاحيًّا من جهة التتابع بين رفع وخفض.

---

(٤١) ينظر: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ص٤١٣.

(٤٢) العمدة، ص٣٣١. **قواديس السانية**: دلاء النـاعورة التـي ترفـع المـاء مـن البئـر أو النهـر. والسانية: هي الناقة التي يُستقى عليها.

(*) لعل الصحيح كما ورد في بعـض نسـخ (العمدة) «القواديـسي» بالياء علـى النسـبة إلـى «القواديس» على وجه التشبيه. ولذلك كـان مـن المناسـب اسـتعمال «القواديسـي» بيـاء النسبة حيث ورد في هذا البحث. = [المجلة].

وهذا المصطلحَ مُولّدٌ، وهو نتاجُ بيئةٍ شعبيّة، عَرفتْ هذا الضربَ الغريبَ من الشعر، واستعارتْ له من ألفاظِ البيئةِ ما يُعبّرُ به عن مضمونه. ومعروفٌ لدينا أنّ لفظةَ (قادوس) ما تزالَ تُستعملُ في بيئاتنا حتّى يومنا هذا للدلالة على الأداة التي يُمتحُ بها الماءُ من الآبار ونحوها.

وفنّ القواديس يُعبّرُ عن تجربةٍ شعريّةٍ مؤسّسةٍ على جعلِ عيبٍ شعريّ عروضيّ أصلاً صحيحاً لبناءِ النصّ الشعريّ، وهذا العيبُ هو الإقواءُ، «وأكثرُ العلماءِ يُسمّونَ اختلافَ إعراب القوافي إقواءً، وهو غيرُ جائزٍ للمُولّدين، وإنّما يكونُ في الضَّمّ والكَسْرِ، ولا يكونُ في الفتح»[٤٣]، أي: له قافيةٌ مرفوعةٌ، وأخرى مخفوضةٌ.

هذا هو الشائعُ والمشهورُ في الإقواء، وهو عيبٌ شعريّ مُتّفقٌ عليه لدى العرب قبلَ الإسلام، وكانوا يُسمّونَه إكفاءً، ويحرصونَ على تَجاوزِه؛ فمن المعروف عن النابغة أنّه أقوى في بيتين، في قصيدته الداليّة، **المجرورة القافية**، وهما قوله في البيت الثالث[٤٤]:

زَعَمَ البَوارحُ أنّ رِحْلَتَنا غداً وبِذَاكَ خَبّرنا الغُدافُ الأسودُ

وقوله في البيت الثامن عشر يصف المتجرّدة:

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنّ بَنَانَهُ عَنَمٌ، يَكادُ من اللّطافَةِ يُعْقَدُ

وقد حُكي عن النابغة أنّه كان «يُكفئُ الشعر، حتّى قدمَ المدينة على الأوسِ والخزرجِ، فأنشدَهم، فقالوا: إنّك تُكفئ الشعرَ. قال: وكيفَ ذلك؟ فجعلوا يُخبرونه، ولا يفهمُ ما يُريدون. فقالوا له: تَغنَّ بِشِعرِكَ، فتغنّى به، ومدّدَه، ففَهِمَ، فقال: لستُ أعود»[٤٥]. وقيل في رواية: إنّه لم يأبه لهم حتى

(٤٣) العمدة ص ٣١٢. وينظر: مصطلحات نقديّة من التراث الأدبيّ العربيّ ص ٦٢.

(٤٤) ينظر: ديوان النابغة الذبيانيّ، ص٨٩ و٩٣. وقيل مثل.

(٤٥) الموشّح، ص ٤٦. وينظر: الشعر والشعراء ١/ ٩٥ و١/ ٢٧٠. ورويَ في (ديوان النابغة =

أسمعوه إيّاه في غناءٍ، فانتبه. وأرجع ابن سلّام الجمحيّ هذا الذوق لدى أهل يثرب إلى أنّ **أهل القرى ألطف نظراً من أهل البدو**(٤٦). ومثل ذلك ذوق أهل البوادي في ملاحظتهم الإقواء في شعر بشر بن أبي خازم الأسديّ(٤٧).

وفي هذا وذاك ما يدلّ على وجودِ وعيٍ نقديٍّ لدى العرب قبل الإسلام أنَّ الإقواء يُمثّلُ خللاً، تضطربُ به الذائقةُ الفنّيّة، فتعوقُ التلقّي على نحو ما، وإنّ وعيَهم لمثل هذا العيبِ هو الذي جعلَ، في ظنّي، شاعراً مثل أبي عامر بن أبي الأخنس الفَهْميّ يفخر بأنّه «**مُقيمُ القوافي**»(٤٨)؛ لأنّ فخره باتّساق قصائده وانسجامها يُشير إلى وعيِه أهمّيةَ إقامةِ القوافي لتحقيق التأثيرِ في المُتلقّي، كما أنّ في تعبيره عن الكلّ (القصائد) بالجزء (القوافي) يُشيرُ إلى وعيه الأهمّيّةَ الخاصّة لها في تحقيق الانسجام في بناء النصّ الشعريّ.

وقد حرصَ الشعراء بعد الإسلام على مراعاةِ هذا الذوق العامّ، وعلى الأخذِ به، ثمّ تنامَى الأمرُ إلى درجةِ حُكْمِ النقّادِ بأنّ الإقواءَ «غيرُ جائزٍ للمولَّدين»(٤٩). لكن هذا لم يمنع وجودَ تجارب شعريّة غايرت ذلك الذوق العامَّ المألوف، وأبدعت نصوصاً جعلت العيبَ أصلاً، وهو ما نجده لدى شاعرين من قريش، وفيما يلي بيان لذلك:

= الذبيانيّ ص٨٩-٩٠) أنّ أهل يثرب قالوا له: «قد أحسنت - يا أبا أُمامةَ - لولا أنّك أقويتَ وأكفأتَ... فلم يعرف ما عابوا عليه، فألقوا على فمِ قينةٍ لهم شعره هذا، وقالوا لها: مُدّيه، فقالت: **رائحٌ أو مغتدي**، ثمّ قالت: **وبذاكَ خبّرنا الغُدافُ الأسودُ ويكادُ من اللطافةِ يُعْقَدُ** ففطنَ، ولم يَعُدْ يقوي».

(٤٦) ينظر: طبقات فحول الشعراء ص ٦٦-٦٧.

(٤٧) ينظر: الشعر والشعراء ١/ ٩٥ و٢٧٠، وطبقات فحول الشعراء، ص٦٦-٦٧، والموشح ص٨٠-٨١. وقد يقعُ الإقواء في التصريع. ينظر: العمدة، ص٣٢٩.

(٤٨) شرح أشعار الهذليين، ص٦٠٤.

(٤٩) العمدة، ص٣١٢.

٢-١ الإقواء عفواً وأصلاً: ثمّة شاعرٌ قرشيٌّ مكِّيٌّ غايرَ الذوقَ الشعريّ العامَّ بنصٍّ جعلَ فيه عيبَ الإقواءِ أصلاً لرويّ القافية، وهو أبو زَمْعَةَ الأسودُ ابن المطّلب، وكان قد قُتِلَ له يومَ بدرٍ ثلاثةٌ من ولده: زَمْعَةُ بنُ الأسود وعقيلُ بنُ الأسود والحارثُ بنُ زَمْعَةَ، وكانت قريش قد ناحتْ على قتلاها في بدرٍ، ثمّ منعت ذلك كيلا يشمتَ المسلمون بهم.

كان الأسود «يُحبُّ أنْ يبكي على بَنِيْهِ، فبينما هو كذلك إذ سَمِعَ نائحةً من الليل، فقال لغلامٍ له، وقد ذهبَ بصرُه: انظرْ، هَلْ أُحِلَّ النَّحْبُ؟ هل بَكَتْ قريشٌ على قتلاها؟ لَعَلّي أبكي على أبي حَكيمةَ - يعني زَمْعَةَ - فإنَّ جَوْفِي قد احترقَ... فلمّا رَجَعَ إليه الغلامُ قال: إنَّما هي امرأةٌ تبكي عَلَى بعيرٍ لَها، أَضَلَّتْهُ»(٥٠)، فقال الأسودُ(٥١):

أَتَبْكِي أنْ يَضِلَّ لها بَعيرٌ ... ويَمْنَعُهَا مِنَ النَّومِ السُّهُودُ
فَلا تَبْكِي على بَكْرٍ، ولكنْ ... على بَدْرٍ تَقَاصَرَتِ الجُدُودُ
على بدرٍ، سَرَاةِ بَنِي هُصَيْصٍ ... وَمخْزُومٍ، ورَهْطِ أبي الوَلِيدِ
وَبَكِّي إنْ بَكَيْتِ على عَقيلٍ ... وبَكِّي حارثاً أَسَدَ الأُسُودِ
وبَكِّيْهِمْ، ولا تَسْمِي جَميعاً ... وما لِأَبي حَكِيْمَةَ مِنْ نَدِيدِ
أَلَا قد سَادَ بَعْدَهُمُ رِجالٌ ... ولولا يومُ بَدْرٍ لم يَسُودُوا

قال ابنُ هِشَامٍ مُعلّقاً على الأبيات: «هذا إقواءٌ، وهي مشهورةٌ في

(٥٠) السيرة النبويّة ٢/ ٢٠١.

(٥١) السابق ٢/ ٢٠١. **السُّهود**: الأرق. **البَكْر**: الفتيّ من الإبل. **على بدر**: على أهل بدر. **الجُدود**: الحظوظ. **بنو هُصيص**: بطن عظيم من قريش، منهم بنو مخزوم. **أبو الوليد**: هو عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس الأمويّ، قائدُ قريش في بدر. **ولا تَسَمي**: ولا تسأمي. **النديدُ**: الشبيه والمِثْل.

أشعارهم»[٥٢]. وفي هذا القولِ لابن هشام حُكْمان: **الأوّل** فنّيّ، وهو نعتُه اختلافَ حركةِ الرويِّ، بَيْنَ رَفْعٍ وخَفْضٍ بأنّه إقواء، و**الثاني** توثيقيّ، وهو نَعتُه الأبياتَ بأنّها مشهورةٌ في أشعارهم، أي: هي من أشعارِ قريشٍ المُوثّقة.

أمّا الحُكْمُ بتوثيقها فيؤكّده أنّها مُثبتةٌ لَدَى عَالِمَيْن من أعلمِ الناسِ بأخبار قريش وأنسابِها وأشعارِها، وهما المُصْعَبُ الزُّبيريّ القرشيّ (ت٢٣٦هـ) في كتابه (نسب قريش)، والزبيرُ بنُ بكّار الزُّبيريّ القرشيّ (ت٢٥٦هـ) في كتابه (جمهرةُ نسب قريش وأخبارها)[٥٣].

وأمّا الحكمُ بوجودِ إقواءٍ في الأبياتِ فكان سبباً في ظنّي لاختيارِ أبي تمّام (ت٢٣١هـ) ثلاثةً منها (١، ٢، ٦) فحسب، وهي التي قوافيُها مرفوعةٌ[٥٤]. وهذا الاختيارُ يُمثِّلُ ضرباً من الإصلاحِ للشعر وَفْقَ الذوقِ السائد والقواعدِ التي أضحتْ ناظمةً للقوافي، في زَمَنِ أبي تمّام. وقد لَقِيَ اختيارُ أبي تمّام قبولاً لدى آخرين، فأثبتوه في مؤلّفاتهم، ومنهم أبو عُبيد البكريّ (ت٤٨٧هـ) في (سِمْطِ اللآلي)، وابنُ أبي حديد (ت٦٥٦هـ) في (شرح نهج البلاغة)، وابنُ سعيد

(٥٢) السابق ٢/ ٢٠١. وأضاف ابن هشام (السابق ٢/ ٢٠٢): «وقد أسقطنا من رواية ابن إسحاق ما هو أشهر من هذا». وإسقاطُ ابنِ هشام من هذا الشعر ما هو أشهر ممّا أثبت يرجّح أنّه فعل ذلك لأسباب تتّصل بقولٍ شديد الإيذاء للمسلمين. وبناء على ذلك يمكن أن نفترض أنّ تجربة القواديس لدى أبي زَمعة كانت أكثر ممّا وصل إلينا منها.

(٥٣) ينظر على التوالي: نسب قريش ص٢١٩، وجمهرة نسب قريش وأخبارها ١/ ٢٧٣. والرواية فيهما متماثلة، وفيها اختلافٌ لفظيٌّ يسيرٌ مع ما جاء في السيرة النبويّة لابن هشام، وتماثلٌ في ترتيبِ الأبيات وضَبْطِ حركة القوافي رفعاً وخفضاً. كذلك رويت ستّة الأبيات المذكورة في مصادر كثيرة، منها: أنساب الأشراف ١/ ١٧٢، والأغاني ٤/ ٢٠٨-٢٠٩، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٦٤، ومعجم البلدان: بدر.

(٥٤) شرح ديوان الحماسة ٢/ ٣٣٩-٣٤١.

المغربي (ت٦٨٥هـ) في (نشوة الطرب في تاريخ جاهليّة العرب)[٥٥].

نحن أمامَ نَمَطين من القَبولِ للأبيات: أمّا **الأوّل** فأثبتَها كما أنشدَها قائلُها بقوافٍ مرفوعةٍ ومجرورةٍ، وأمّا **الثاني** فحذفَ القوافيَ المجرورةَ لِيُبقِيَ النصَّ خالياً من عيب الإقواء. لكنّ المعروف أنّ الإقواءَ يقعُ في بيتٍ أو بيتين متباعدين من قصيدةٍ أو مقطّعة، لكنّه لا يشطرُ النصّ الشعريّ شَطْرين على النحو الذي نجدُه في مقطّعةِ أبي زَمْعَةَ، فهي ثلاثةُ أبياتٍ مرفوعة، بينها ثلاثةٌ مجرورةٌ.

يُضاف إلى هذه المغايرة العَدَديّة لعيبِ الإقواء أنّ لحركةِ القوافي بينَ رَفْعٍ وخَفْضٍ، في أبيات أبي زَمْعَةَ، علاقةً واضحةً بمضمونها؛ فثلاثةُ الأبياتِ المجرورةِ تتّجه في بكائها نحوَ بُطونٍ قُرشيّةٍ مُحدّدةٍ ونحوَ أشخاصٍ مُحَدّدين، بعضُهم مِنْ أبناءِ الشاعر، ممّا يُشيرُ إلى أنّ خَفْضَ الرويّ فيها قد يكونُ علامةً على إحساسٍ أعمقَ بهولِ المُصاب. أمّا البيتان اللذان استُهِلّتْ بهما المقطّعة فيُمثلان تمهيداً يَستدعي البكاءَ، وجاء البيتُ الخاتمُ تعبيراً عن الأسف؛ لأنّ مَنْ قُتلَ في بدر جَعَلَ السيادةَ تُنْقلُ إلى مَنْ لا يَستحقّها. وفي هذا وذاك ألمٌ وأسفٌ، لكنّهما لا يَرْقيان إلى مستوى الأسى الذي عبّرتْ عنه القوافي المجرورةُ.

بناء على ذلك نرى في مقطّعة أبي زَمْعَةَ نمطاً تجريبيًّا استدعَتْه تِلقائيّةٌ، لا قصدَ فيها ولا عمدَ، عبّر فيها الشاعر عن تجربةٍ إنسانيّة عميقةٍ، بقوافٍ شعريّة وسّعتْ دائرةَ الإقواءِ عَدَدِيًّا، لتجعلَ من العَيْبِ أصلاً تُبنَى عليه قوافي النصّ الشعريّ، مع ملاحظة أنّ هذا التجريب ظلّ تقليديًّا من جهة التقيّد بوزن عروضيّ واحد متعارفٍ عليه، هو البحر الوافرُ التامّ.

---

(٥٥) ينظر على التوالي: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ٢/ ١٢٣، وشرح نهج البلاغة ١٣/ ١٠-١١، ونشوة الطرب في تاريخ جاهليّة العرب ١/ ٣٥١-٣٥٢.

لكنّ هذا التجريبَ لم يلقَ في ظنّي قبولاً لأمرين: **الأوّل** مغايرتُه للذوق العامّ الذي كان يتّجه نحو التقعيد والتأصيل في إيقاع الشعر وزناً وقافيةً، لا نحو التجديد، و**الثاني** مضمونُه الباكي على من قُتلَ من مشركي قريش.

٢-٢ الإقواءُ عَمْداً وأصلاً: إنّ فرادةَ نصّ أبي زَمْعةَ الإيقاعيّة في جعلِه عَيْبَ الإقواء أصلاً لبناء النصّ الشعريّ، دون قصدٍ منه، لا تَنْفِي استمرارَ وجودِ هذا النمطِ من التجريب بعده، يؤيّدُ ذلك قولُ ابنِ رشيق بعد تعريفه لمصطلح القواديس: «وأوَّلُ مَنْ رأيتُه جاء به طلحةُ بنُ عبدِ الله العَوْفِيّ[٥٦]، في قولِه، وهي قصيدةٌ له مشهورةٌ طويلةٌ:

كَمْ للدُّمَى الأَبْكَارِ بِالْـ ـخَبْتَيْنِ مِنْ مَنَازِلِ
بِمُهْجَتِي للوَجْدِ مِنْ تَذْكَارِها مَنَازِلُ
مَعَاهِدٌ رَعِيْلُهَا مُثْعَنْجِرُ الهَوَاطِلِ
فَمَا نَأَى سَاكِنُهَا فَأَدْمُعِي هَوَاطِلُ

وهو من مَرْبُوع الرَّجَزِ، تعمَّدَ فيه الإقواءَ، وأوطأَ في أكثرِه قَصْداً، كما فَعَلَ في البيتينِ الأوَّلَيْنِ من هذه»[٥٧] الأبيات.

يُفهَم من هذه الإشارة لابن رشيقٍ أنّ التجريبَ بتتابعِ خَفْضِ القوافي ورَفْعِها في هذه القصيدة جاء عَمْداً، إضافةً إلى الإيطاء في أكثرها قصداً؛ وبذلك أضافَ الشاعرُ، إلى التنوّعِ في حركات القوافي رَفْعاً وخَفْضاً

(٥٦) هو طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ القرشيّ. قاضٍ جوادٍ، من سروات قريش، وهو طلحةُ الندى. توفّي في المدينة نحو سنة ٩٧هـ. ينظر: نسب قريش ص٢٧٣، وجمهرة نسب قريش ١/ ٣٥٢-٣٥٤، والمحبّر ص١٥-١٥١ و٣٥٥، والوافي بالوفيات ١٦/ ٢٧٦-٢٧٧.

(٥٧) العمدة، ص٣٣١-٣٣٢. **الخَبْت**: الوادي، وما اطمأنّ واتّسع من الأرض. **رَعِيلها**: المتقدّم من قطع السحاب. **مُثعنجِر**: سائلٌ.

بالإقواء، أضافَ تكراراً للَّفظ بالإيطاء، ومنه (منازِلِ – منازِلُ)، وفي ذلك تجاوزٌ لأبي زَمْعةَ من جهتين: القصديّة إلى التجريب، وإضافة الإيطاء إلى الإقواء مع جعلِ كلٍّ منهما أصلاً، لا عيباً في النصّ الشعريّ.

ويبدو أنّ هذا الضرب من الإيقاع التجريبيّ، مع غرابته المغايرة للذوق العامّ، قد أضْحَى في زمن ابنِ رشيق، في القرن الخامس الهجريّ، شائعاً إلى درجة تخصيصه بمصطلحٍ شعريّ خاصٍّ، هو القواديس. وفيما يلي جدولٌ، يتضمّنُ موجزاً لتجريب القواديس الإيقاعيّ لدى الشاعرين: الأسودِ بن المطّلب وطلحةَ بن عبد الله القرشيّين:

تقليدٌ بالوزنِ والقَافية	١ – الوافر التامّ ومجزوء الرجز. ٢ – للقصيدة قافية لازمة ورويّ لازمٌ أيضاً.
تجديدٌ بالوزنِ والقافية	١ – تنوع حركة الرويّ بين خفضٍ ورفع. ٢ – الإيطاء

أمّا قولُ ابنِ رشيقٍ بأنّ طلحةَ بن عبد الله العوفيّ هو المبتدعُ لهذا الضربِ من التجريب الإيقاعيّ فمردودٌ بمعرفتنا أنّ أبا زَمْعَةَ الأسودَ بنَ المطّلب الأسديّ القرشيّ هو المُبتدعُ الأوّل لهذا الضرب التجريبيّ، وَفْقَ ما وصل إلينا من النصوص والروايات. ونظراً إلى أنّ طلحةَ بن عبد الله العوفيّ ينتمي إلى قريش وإلى بيئتها الحجازيّة نرى أنّ تجريبَه الشعريّ الذي عُرِف بالقواديس هو امتدادٌ لابن قبيلته وبيئته أبي زَمْعَةَ القرشيّ.

إنّ أبا زَمْعَةَ القرشيّ هو أوّل من تُنسَبُ إليه مقطّعةٌ شعريّة، فيها تجريبٌ إيقاعيّ، جُعِلَ فيه عيبُ الإقواء، دون عمدٍ، أصلاً لبناء نصّ شعريّ، وإنّ هذا النمطَ من التجريب الذي بدأ في العامِ الثاني للهجرة على نحو ارتجاليّ أصبحَ بعد عقودٍ فنًّا مقصوداً لذاته لدى الشاعر طلحةَ بنِ عبد الله العوفيّ،

وإنّ ابنَ رشيق وضعَ له مُصطلحَ القـواديس، لأنّ حركـةَ قوافيـه تتنـاوبُ بـين رفعٍ وخفضٍ، ولأنّه أصبحَ فنًّا معروفاً في زمنه.

ونظـنُّ أنّ هـذا التجريـب الإيقـاعيّ شـاعَ فـي دوائـر مجتمعيّـة وشـعبيّة محدّدة، لكنّه لم يلقَ قبولاً لدى عامّة الشـعراء، وأنّ علمـاءَ الشـعر ومصـنّفي كتبِ الأدب القدماء لم يحتفلوا به، فأُهْمِلَ إلى درجة أنّه لم يصل إلينا منه إلّا مُقطّعةٌ واحدةٌ، وأبياتٌ من قصيدةٍ واحدةٍ.

خاتمة ونتائج:

تبيّن في قراءتنـا لفنّـي التَّسـميط والقـواديس أنّ للشـعراء العـرب، قبـلَ العصر العبّاسيّ، تجاربَ شعريّةً، اتَّجهتْ نحوَ التجديد في الإيقاع الشـعريّ، وَفْقَ الآتي:

١- تجريبٌ إيقاعيٌّ يشملُ القصـيدةَ أو المقطّعـةَ كلّهـا، وآخـرُ يَخـتصُّ بأبياتٍ منها.

٢- ابتكرَ امرؤ القيس في تجريبه الإيقاعيّ مشطورَ الطويـل، وابتـدعتْ جَنُوبُ الهذليّةُ منهوكَ المتقارب، كمـا ابتـدعتِ الخنسـاءُ السـلميّة والفارعةُ المُرّيّة وغيرهما منهوكَ البسيط.

٣- في التسميط مغايرةٌ بين قوافي الأقسمة والقافية الملازمة لكلّ نصّ شعريّ، تنوّعت بها القوافي حرفاً وحركةً وبنيـةً، علـى نحـو يُغـايرُ أفقَ التوقُّعِ لدى المُتلقّي، ويبعثُ فـي نفسـه ألوانـاً مـن الإحسـاس الجمـاليّ مُغـايرةً للـنمط المـألوفِ برتابتـه، وفـي ذلـك مـا يُفسّـرُ الحضورَ الواسع للتسميط في العصور التالية، كما يُفسّرُ لنا أثره في ظهور فنونٍ إيقاعيّة أخرى.

٤- جعـلَ أبـو زَمْعَـةَ، غيـرَ واعٍ، عيـبَ الإقـواء أصـلاً فـي تجريـب

القواديس، وأضافَ إليه طلحةُ بنُ عبد الله الإكفاءَ عمداً وقصداً، لكن ذلك لم يَلْقَ قبولاً لدى عامّة الشعراء ولا لدى علماء الشعر والمصنّفين فيه.

إنّ في تجريبِ التسميط والقواديس جذوراً لمظاهرِ التجديدِ الإيقاعيّ الواسعِ في العصر العبّاسيّ وما بعده، كما أنّ فيه جذوراً لشعرِ التفعيلة المعاصر، تتمثّل في تجاوز البيت (السطر) الشعريّ ليغدوَ أكثرَ من بيتٍ (سطرٍ)، وفي تلوينِ القافيةِ، وفي تنويعِها حركة ورويًّا وبنيةً.

* * *

المصادر والمراجع

- أساس البلاغة، الزمخشريّ (٥٣٨هـ)، قراءة وضبط وشرح: محمّد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ١٤٣٠-٢٠٠٩.
- **الأغاني**، الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق عبد عليّ مهنا، ط٢، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٢-١٩٩٢.
- **أنساب الأشراف**، البلاذريّ (ت٢٧٩هـ)، تحقيق محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربيّة، دمشق، ج١، ١٩٩٧.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ)، ج ١٩، تحقيق عبد العليم الطحاوي، وزارة الإعلام، الكويت، ١٤٠٠-١٩٨٠.
- **تاريخ الطبريّ**، الطبريّ (ت٣١٠هـ)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦١

- **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف**، الصفديّ (ت٧٦٤هـ)، حقّقه وعلّق عليه وصنع فهارسه السيّد الشرقاوي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٧-١٩٨٧.
- **التعريفات**، الجرجاني (ت٨١٦هـ)، حقّقه وقدّم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣-١٩٩٢.
- **تهذيب اللغة**، الأزهريّ (ت٣٧٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والأنباء والنشر، ١٩٦٤-١٩٦٧.
- **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، الزبير بن بكّار (٢٥٦هـ)، حقّقه وقدّم له عبّاس هاني الجرّاخ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠١٠.
- **حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام** (ت٧٦١هـ)، عبد القادر بن عمر البغداديّ (ت١٠٨١هـ)، تحقيق نظيف محرّم خواجة، دار فرانتس شتاينر، فيسبادن، ألمانيا الاتحاديّة، ١٤٠٠-١٤١٠=١٩٨٠-١٩٩٠.
- **ديوان تأبّط شرًّا وأخباره**، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلاميّ، ١٤٠٤-١٩٨٤.
- **ديوان امرئ القيس**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠.
- **ديوان الخنساء: دراسة وتحقيق**، تحقيق إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، المنصورة، ١٤٠٨-١٩٨٦.
- **ديوان صفيّ الدين الحلّيّ**، دار صادر-دار بيروت، بيروت، ١٣٨٢-١٩٦٢.
- **ديوان النابغة الذبياني**، رواية الأصمعيّ من نسخة الأعلم، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

- **رسالة الغفران**، المعرّي (ت٤٤٩هـ)، حقّقها وشرحها محمّد عزّت نصر الله، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٦٨.
- **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، البكريّ (ت٤٨٧هـ)، تحقيق وشرح محمّد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩-٢٠٠٨.
- **السيرة النبويّة**، ابن هشام (ت٢١٨هـ)، تحقيق محمّد نبيل طريفيّ، دار صادر، بيروت، ١٤٢٤-٢٠٠٣.
- **شرح أشعار الهذليّين**، صنعة أبي سعيد السكّريّ، تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨٤-١٩٦٥.
- **شرح ديوان الحماسة**، التبريزيّ (ت٥٠٢هـ)ـ تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجاريّة الكبرى، القاهرة، د. ت.
- **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي حديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي وشركاه، ١٣٨٥-١٣٨٧=١٩٦٥-١٩٦٧.
- **الشعر والشعراء**، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦.
- **الشعر والمطر عند امرئ القيس**، فاروق اسليم، مجلّة التراث العربيّ، عدد مزدوج (١٢٠-١٢١)، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق ٢٠١١.
- **شواعر الجاهليّة: دراسة نقديّة**، رغداء مارديني، ط٢، دار الفكر- دار الفكر المعاصر، دمشق - بيروت، ١٤٢٩-٢٠٠٨.
- **طبقات الشعراء**، ابن المعتزّ (ت٢٩٦هـ)، تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦.
- **طبقات فحول الشعراء**، محمّد بن سلّام الجمحيّ (ت٢٣١هـ)، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدنيّ، القاهرة، ١٩٧٤.

- **العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصاغانيّ** (٦٥٠هـ)، تحقيق فير محمّد حسن، منشورات المجمع العلميّ العراقيّ، بغداد، ١٣٩٨-١٩٧٨.
- **العُمدة في محاسن الشعر وآدابه**، ابن رشيق القيروانيّ (ت٤٥٦هـ)، تحقيق محمّد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨-١٩٨٨.
- (كتاب) **العين**، الفراهيديّ (ت١٧٥هـ)، تحقيق مهدي المخزوميّ وإبراهيم السامرّائيّ، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩-١٤١٠.
- **الفاضل في اللغة والأدب**، المبرّد (ت٢٨٦هـ)، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، ١٩٥٥.
- **لسان العرب**، ابن منظور الإفريقيّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.
- **المحبّر**، ابن حبيب (ت٢٤٥هـ)، تحقيق إيلزة ليختن شتيتر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ت.
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، السيوطيّ (ت٩١١هـ)، تحقيق محمّد أحمد جاد المولى وزميليه، دار الفكر ودار الجيل، بيروت، د. ت.
- **مصطلحات نقديّة من التراث الأدبيّ العربيّ**، محمّد عزّام، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥.
- **معجم البلدان**، ياقوت الحمويّ (ت٦٢٢هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.
- **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، بتحقيق وضبط عبد السلام هارون، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ١٤٢٣-٢٠٠٢.
- **المفصّل في علوم البلاغة العربيّة: المعاني والبيان والبديع**، عيسى عَلي العاكوب، مديريّة الكتب والمطبوعات الجامعيّة، جامعة حلب، ١٤٤٠-٢٠١٨.
- **الموشّح**، المرزبانيّ (ت٣٨٤هـ)، تحقيق عليّ محمّد البَجاويّ، دار نهضة مصر، ١٩٦٥.

- **نسب قريش**، المصعب الزبيريّ (٢٣٦هـ)، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.
- **نشوة الطرب في تاريخ العرب**، ابن سعيد الأندلسيّ (ت٦٨٥هـ)، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمّان، ١٤٠٢-١٩٨٢.
- **الوافي بالوفيات**، ١٤٢٠-٢٠٠٠، الصفديّ (ت٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

* * *

العين والأثر
في ما نظمه الشعراء في العصر الحديث
من وحي الصور

أ. د. محمد رضوان الداية(*)

كان في جملة التجديد الذي طرأ على الشعر العربي في العصر الحديث التفاتُ الشعراء إلى ما صنعه الإنسان واخترعه من الأدوات والآلات، ونتائج مُحْدَثات العلوم وتطبيقاتها، فوصفوا ذلك وصفاً حسياً، ونبهوا على فوائده، وحثوا أبناء الأمة على اللحاق بركب المدنية لتطوير أساليب الحياة، والمشاركة في الحركة الحضارية المتجددة باستمرار؛ وهكذا وجدنا من الشعراء (والكتاب أيضاً) مَنْ ذكر الطائرة والبارجة والمنطاد، والسيارة، والقمر الصناعي، والحوّامات والجرارات، وقد ذكروا الكهرباء والأدوات الناشطة بها، وذكروا آلات الحرب الحديثة (وقد دخل العالم في حربين عالميّتين) إلى غير ذلك ممّا وسَم العصر الحديث، وتغلغل فيه، وغيّر من أساليب الحياة وأدواتها، أو جدَّد فيها.

وكان لاختراع (التصْوير) وتطوير آلاته، وشُيوع «التقاط»(١) الصُّور

(*) أستاذ الأدب والنقد في جامعة دمشق سابقاً.

ورد البحث إلى مجلة المجمع بتاريخ ٢٠/ ٢/ ٢٠١٩م.

(١) قال المعجم الوسيط (ل ق ط): لقط المنْظَرَ أو الصورة: صَوّرها بآلة التصوير الشمسيّ؛ =

الشخصيّة وغيرها أثرٌ في أشعار الشعراء؛ ونستطيعُ أن نقول: إنّ الشعر الحديث التفت إلى ظاهرة التصوير، ونتج عن ذلك نصوصٌ شعريةٌ بين التفَةِ والمقطوعة والقصيدة الموجزة، والقصيدة المُطوّلة. واستمرت هذه الحركة منذ انتباهِ الشعراء الأوائل الذين عاصروا أوّليّات التصوير إلى أواخر القرن العشرين.

وهي نصوصٌ أدبيةٌ لافتةٌ، وهي صالحةٌ للدرس، والتحليل، واستخلاص النتائج. لقد ارتبط في هذه النصوص الأدبي بالفني؛ والاجتماعيُّ بالشخصيّ، وسجّل ظاهرةً أدبيةً اشترك فيها كثيرٌ من الشعراء: كلٌّ على أسلوبه، ومن خلال رؤيته الشخصية والأدبية والاجتماعية والنفسية.

ثمّ قلّ الاهتمام بهذه الظاهرة تدريجاً، وأخذت وسائلُ التواصل الحديثة مجالها، وحلّت محلّها؛ وخَفَتَ صوت شعرِ الصورة، وكادت الظاهرةُ أن تنتهي.

ومن أواخر ما قرأت من شعر الصور، في دواوين الشعراء المعاصرين قطعةٌ من بيتين اثنين لنديم محمد[٢] كتبهما تحت صورته[٣]، وهما:

يا سائلي كيف حالي فصُورتي ترْجماني
أعيش فيها نَطوقا لكنْ بغير لسانِ

يقول: إنّ الصورة تتحدث إلى الناظر إليها بلسان الحال لا بلسان المقال؛ وكأنّ في الصورة رسالةً يبعث بها الشاعر إلى مَنْ يراها من قريبٍ أو صديق، أو غريب.

= والتقط: لقط، وقال إنّ هذا الاستعمال (مُحدَث) ونقل هذا الاستعمال، المعجم الأساسي، والمعجم المدرسي.

(٢) نديم محمد (١٩٠٧-١٩٩٤) شاعر سوري، صدر له ديوان (آلام)، ثم صدرت دواوينه مجموعةً: الأعمال الشعرية الكاملة. (نديم محمد شاعر العناكب والمواكب - منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق ٢٠١٧).

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة (نديم محمد) ٣: ٣٥٦.

(١)

ظهر التصوير الشّمسيُّ في القرن التاسع عشر، ومَرّ بعددٍ من مراحل التحسين والتطوير، وعُرفت طرائق للتصوير بأسماء أصحابها مثل: «داغير» و«تالبوت». وفي سنة ١٨٥٠ أنجز الفرنسي «نادار» صُوَراً متميزة لشخصياتٍ مشهورةٍ في عهد نابليون الثالث، إلى شخصياتٍ أخرى بارعةٍ أسهمتْ في فن التصوير حتى بلغ الغاية[٤].

ولما كانت الصورة الشمسية تظهر[٥] على الورق الخاص من تناسق الأضواء والظلال (أو: الأبيض والأسود كما يقال أيضاً) أنشد خليل مطران[٦] قطعةً كتبها على صورةٍ له أهداها إلى أحد أصدقائه، ربط فيها بين الصورة (الظاهرة) والسريرة، قال[٧]:

مثاليَ هذا مُنبئٌ عن سريرتي ... شهادَتهُ حقٌّ عليَّ مُبينُ
حَبَوتُ به خلًّا يُوَفِّي بصونه ... كرامةَ وُدّي، والوفي أمينُ
مشى النور فيه والظلالُ تحُفه ... صوادق في التشبيه ليس تمينُ[٨]
دمي منه يجري في الغصون ومهجتي ... يُحَسُّ لها تحت السكون حنينُ

ودخل عالمُ الصّورة وفنُّ التصوير المجالَ اللغوي، والأدبيّ، والعلميّ. وعُرِّبت مفرداتٌ من أدوات هذا الجديد، وترجمت أخرى، ودخل ذلك كله

(٤) انظر للتوسع: الموسوعة العربية (دمشق) المجلد السادس ٥٢٢-٥٢٣.

(٥) استعملوا في الصورة الشمسية فعل: ظهَّر الصورة؛ أي: استخرجها على الورق من الأصل السلبي (NEGATIVE). ولم أجدها في المعاجم الثلاثة: الوسيط، والأساسي، والمدرسي، وقالوا: طبع الصورة.

(٦) خليل مطران (١٨٧١-١٩٤٩) من كبار الشعراء والكتاب في العصر الحديث، له ديوان مطبوع (٤ أجزاء) ومؤلفات ومُترجمات. ولُقِّبَ بشاعر القطرين (الأعلام ٢: ٣٢)

(٧) ديوان الخليل ١: ٢٥٨، ومجلة المعرفة العدد ٥١٩ ص ١٤.

(٨) ليس تمينُ: لا تكذب.

عالم الأدب: نثره وشعره؛ وكان لأهل العلم (ونخصُّ المجامع اللغوية وما يلحق بها بمزية) أثرٌ في اتساع ساحة اللغة من هذا الجانب، وفي نشوء حركة تلقائية كانت (الصورة) والحديث عنها أساساً لها ومنطلقاً، واتساعاً.

وما لبث التصوير الضَّوئيُّ أنْ أصبح واحداً من الفنون الجميلة، وتعززت مكانته مع التقدم العلمي في فنّ التصوير، وأدواته، وتقنياته المختلفة، وظهور مصوّرين بارعين مبدعين(٩).

وهكذا كان لدخول فنّ التصوير حياة الناس آثارٌ مختلفة، فقد أسبغَ على حياتهم ظلالاً جماليةً، وكان لهم من قبلُ عهدٌ بالنحت والنقش والتصوير اليدويّ بأدواته المختلفة، وكان ذلك مقصوراً على فئةٍ قليلةٍ في المجتمع، واهتم الناس للصورة في حجمها الصّغير المألوف، وكبروا منها نسخاً، وعلقوها في بيوتهم ومكاتبهم تذكاراً أو استئناساً، أو استحْساناً، أو تزييناً لغرفة الضيوفِ أو غرفة الجلوس.. إلخ.

وصارت الصّورة نائبةً عن «الشّخص» من قريبٍ غائب، أو صديقٍ ودود، أو حبيبٍ حميم، أو شخصيةٍ عامة.

واهتموا لصُورِ الكبراء في المجتمع كأهلِ السياسة الكبار، والأدباء، والشّعراء، والفنّانين ذوي الجدارة والأثرِ في الحياة الفنية والاجتماعية.

وما لبثت الصورة أن أخذت أبعاداً أخرى، وصارت جزءاً من التوثيق الإداري والقانونيّ: تُلصَقُ أو تثبّتُ على الهويّة الشّخصية (البطاقة

(٩) «... رافق انتشار فن التصوير الضوئي واستخدام السلبيات، وتحسين أساليب طبع الصُّور وتكبيرها، ظهورُ اتجاهات متعددة في تجويد العمل الفني. وانقسم المصورون الضوئيون إلى محترفين وهواة، وتنوّعت تجاربهم، وظهرت إلى الوجود عدة مدارس فنيّة، تسعى كل واحدة منها إلى إثبات توجهها في عالم التصوير..» مادة التصوير الضوئي في الموسوعة العربية ٢٤: ٥٢٤- ٥٢٥».

الشخصية) وجواز السّفر، وبطاقة العمل، ودفتر الأسرة إلى غير ذلك.

وأُتيحَ للفرد – مع انتشارِ آلات التصوير الشخصية – أن يلتقط الصور على ما يشتهي، واتسعت الدائرة لتصوير الاحتفالات والاجتماعات، والالتفات إلى الطبيعة لتصوير الأشياء الجميلة، والغريبة، والمُعجبة من صغير دقيقٍ كالوردة، والزنبقة، والفراشة؛ والواسع الكبير كالحديقة، وضفةِ النهر، وقمة الجبل، والشارع الواسع، والقصر المُنيف.

وما لبثت صنعة التصوير أن انتشرت في البلاد العربية في أوقات متقاربةٍ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد أن اكتمل هذا الفن، واستبْحَر، وصار مهنةً معروفةً، وهوايةً شائعةً، وكانت عملية التصوير تتمُّ في حوانيت خاصة مُهيأة لذلك. ولمّا صار للصورة حاجةٌ وضرورةٌ استكمالاً للأوراق والمعاملات الرسمية، وتمادت رغبات الناس في الحصول على صورةٍ شخصيةٍ ظهر المصور الجوّال الذي يحمل نوعاً من آلات التصوير ينتقل معه؛ وكان يعالج ورق التصوير بالمواد الكيماوية الخاصّة في غرفة سوداء صغيرةٍ في تلك الآلة نفسها(١٠).

(٢)

ومثلما دخل فنّ التّصوير بمفرداته ومعطياته المختلفة عالم اللغة والعلوم والفنون دخل عالمَ الأدب، واختصّ الشعرُ بمزيةٍ؛ فإنّ الصورة - على الوجوه الكثيرة التي ذكرتُها – صارت منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر مادةً غنيةً يَمُدُّ الشعراء أيديهم إليها في نصوصٍ شعريةٍ تدخل عالم الأدب من باب واسع. لقد صارت ظاهرة التصوير هذه مستوحًى

(١٠) وبرع في هذا النوع من التصوير في دمشق والمدن الأخرى نفرٌ من الأرمن، حتى إن تلك الصور الملتقطة بالآلات المحمولة نُسبت إليهم.

للشعراء. بدأ ذلك ببيتين من الشعر في وصف الصّورة، أو في استيحاء معنًى أو فكرةٍ، أو ملمحٍ منها، وكان هذا متابعة لمقطعاتٍ شاعت في دواوين متأخري الشّعراء من العصر العثماني استرسالاً لشيوع المقطوعة التي كثرت مع العصر العباسي الثاني، وأسهمت في ظهور فنّ الرّباعيّات.

ونقرأ في شعر أبي الحسن الكَسْتيّ البَيروتي[١١]:

جزى الله عني الشمسَ خيراً فإنها أراحت بتصوير الحبيبِ فؤادي
وصِرْتُ إذا ما فات ألقاه حاضراً بجَيبي، على وَفقِ الهوى، ومُرادي[١٢]

ومن طرائف أخبار التفات الشعراء والأدباء من وقتٍ مبكرٍ إلى أشعار الصّور ما نَشَرتهُ جريدة (الصحافي التائه) من إسهامِ خمسة شعراء في نظمِ قطعةٍ واحدةٍ في وصفِ صورة فتاة. قال الخبر[١٣]: «منذ سنواتٍ عديدةٍ كان المرحوم إبراهيم الحوراني[١٤] في زيارة الفيكونت فيليب دي طرّازي[١٥] صاحب (تاريخ الصحافة العربية)، ومدير دار الكتب الكبرى، ومُتحف الآثار

(١١) أبو الحسن قاسم بن محمد الكسْتيّ البيروتي (نحو ١٨٤٠-١٩٠٩): أديب كاتب شاعر مصنّف مشارك في العلوم الشرعية، اشتغل بالتدريس. وله ديوانان: مرآة الغريبة، وترجمان الأفكار، وهما مطبوعان، وله كتبٌ أخرى. (الأعلام ٥: ١٨٤).

(١٢) ترجمان الأفكار: ٢٠٠. كذا، والصحيح ١٨١ = [المجلة].

(١٣) المثالث والمثاني ٢: ٩ - ٨. وقد أثبت مؤلف الكتاب المذكور (حليم دموس) صورةً بالزنكوغراف لهذه الأبيات بخطوط أصحابها، وتوقيعاتهم.

(١٤) إبراهيم بن عيسى الحوراني (١٨٤٤-١٩١٦): باحث أديب من أهل حمص، ولد في حلب، وانتقل إلى دمشق، ومات في بيروت. له مؤلفات ومترجمات مطبوعة، وديوان شعر. قال الزركلي: لم يُطبع. (الأعلام ١: ٥٦-٥٧).

(١٥) فيليب بن نصر الله دي طرازي: مؤرخ الصحافة العربية، ومن أعضاء مجمع دمشق، له: تاريخ الصحافة العربية (٤ أجزاء) وكتب أخرى كثيرة. ونسبته إلى جَدّةٍ له كانت طرّازة (الأعلام ٥: ١٦٩).

في بيروت، فرأى الحوراني رسماً صغيراً لكريمة[١٦] الفيكونت الآنسة حنينة[١٧] نزيلة باريس اليوم، وكانت يومئذ في سنّ العاشرة، فكتب على الرسم هذا البيت:

حُنينـــةٌ صـــوَّرها ربهـــا بديعـــةً كـــالقمرِ المســـفرِ[١٨]

فاطَّلع عليه العلامة الشيخ سعيد الشرتوني[١٩] فكتب البيت التالي:

قـد كتـب الحسـن علـى وجههـا يـا أعـيُنَ النـاس: قفـي وانظـري!

واطَّلع عليها الأستاذ العلامة: عبد الله البستاني[٢٠] فكتب هذا البيت:

فوجْهُهـــا قـــال لأحـــداقها: إنّـــيَ فتـــانٌ، ألا فاسْـــحَري!

واطَّلع على الثلاثة شاعر الفيحاء: خير الدين الزركلي[٢١] فكتب:

قـــدْ أوحَـــتِ الشّـــعرَ لأربابـــهِ لمـــا بـــدتْ كالمَلـــكِ الأطهـــرِ

واطَّلع على الأربعة صديقنا شاعر البردوني حليم أفندي دَمُّوس[٢٢]

---

(١٦) كريمة الرجل: ابنته.

(١٧) الآنسة في اللغة: الفتاة الطيبة النفس والحديث، المحبوبُ قربُها، وحديثها يؤنس. واقترحها عبد الله البستاني للفتاة التي لم تتزوّج. وتبنى ذلك المجمع اللغوي بمصر، وأوردها المعجم الوسيط (أ ن س).

(١٨) حنينةٌ هنا بالتنوين لمناسبة الوزن، فالبحر من السريع.

(١٩) سعيد بن عبد الله الشرتوني (١٨٤٩-١٩١٢): لغوي باحث، له مؤلفات في الأدب واللغة. واشتهر من مؤلفاته معجم: أقرب الموارد (في جزأين وذيل). (الأعلام ٣: ٩٨).

(٢٠) عبد الله ميخائيل البستاني (١٨٥٤-١٩٣٠): لغوي، أديب، من أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق، له مؤلفات، ومترجمات مطبوعة. (الأعلام ٤: ١٤٠).

(٢١) خير الدين بن محمود الزركلي (١٨٩٣-١٩٧٦): شاعر، كاتب، أديب، مؤلف، اشتغل مدة بالديبلوماسية؛ وخلده كتاب (الأعلام). وله ديوان شعر مطبوع، وكتب أخرى في التاريخ وغيره. (من ترجمته الذاتية في الأعلام ج ٨، وكتاب: علم الأعلام «مواضع متفرقة»).

(٢٢) حليم بن إبراهيم دمّوس (١٨٩٦-١٩٥٧): متأدب، له نظم كثيرٌ في بعضه إجادة، له ديوان حليم (ط)، والمثالث والمثاني (ط)، وكتب أخرى. (الأعلام ٢: ٢٧٠).

المقيم حالياً في بيروت، فهنأ والدها خاتماً الأبيات بقوله:

عاشـــت لفيليـــبَ ســـليلِ العُـــلا مَـــنْ ذِكـــرُهُ كـــالأرَجِ العـــاطرِ!».

(٣)

استعمل الشعراء مفردات متعددةً للدّلالة على الصّورة الشّمسيّة، وهـي: صورة، ورسم، ومِثال، وتمثال، وخيال، وظِلّ، وطيف.

فالصّورة تدلّ على الشّكل، والهيئة، والحقيقة، والصفة، والمثال: صـفة الشّيء، والتمثال: الصورة، ويقال التمثال في الشيء المصنوع مشبّهاً بخلـقٍ من خلق الله تعالى. وفي المعجم الوسيط: المثالُ: صورة الشيء التـي تُمثِّـل صفاته، والصّورة في الثوب وغيـره. والرّسْـمُ: الأثـر، والمرسـوم. والرّسـم: تمثيلُ شيءٍ أو شخصٍ بالقلم ونحـوه. وفـي تـاج العـروس (خ ي ل): خيَّلـه فتخيّل مثل صوَّرَه فتَصوَّر. والخيالُ من شيء تراه كالظلّ، والخيال: شـخص الرجل وطلعته. والطيف: الخيال.

وأطرَفَ نجيب الحداد[٢٣] حين جعل الصورة خيـال الخيـال، فقـد قـال عن نفسه إنه للضّنى الذي يُعاني منه: خيالُ خيال لا يكاد يَبِين. وكتب تحـت صورةٍ له هذين البيتين[٢٤]:

قد كان لـي جسـمٌ رسـمْتُ خيالـهُ حِرصـاً عليـهِ قبـلَ يـومِ زوالـهِ

واليوم أوشك أن يزول من الضّنى فأنـا لكـمْ أهْـدي خيـال خيالـهِ!

وكتب مفتي الشام محمود الحمزاوي هذين البيتين تحت صورته، وذكر

(٢٣) نجيـب بـن سـليمان الحـداد (١٨٦٧-١٨٩٩): أديـب شـاعر صـحفي، لـه مسـرحيات وروايات، وديوان شعر سماه: تذكار الصبا. (الأعلام ١٢:٨).

(٢٤) تذكار الصّبا: ص: ١.

فيهما الظلّ والصورة، قال[٢٥]:

أيهـــا النـــاظرُ ظـــلّ صـــورتي ذا أنـا مـن حيـث نفسـي، ذا أنـا!
وإذا لاحظـــت منـــي صـــورتي فأنـــا بـــاقٍ ومـــالي مَـــنْ فنـــا!

ذكر الشاعر بقاء الصورة، بعد فناء (وفاةِ) صاحبها.

وسمّى أحمد شوقي الصورة شخصاً على المجاز، وسمّاه ظلاً أيضاً، حين رأى أنها تنوبُ عنه عند صديقهِ الذي أهدى إليه صورته، قال[٢٦]:

سعتْ لك صورتي وأتاك شخصي وسـار الظـلُّ نحـوك والجهـاتُ
لأنّ الـروح عنـدي وهـي أصـلٌ وحيثُ الأصلُ تسْعى الملحقـاتُ
وهبهـا صـورةً مـن غيـر روحٍ ألـيسَ مـن القبُـولِ لهـا حيـاةُ؟!

فذكر شوقي مفردات: الأصل، والشخص، والظلّ، والصورة، والملحق.

وأورد مصطفى الغلاييني كلمة (الطيف) للدلالة على الصّورة، على سبيل المجاز، قال[٢٧]:

رَبيـتُ علـى وُدّ الأحبـة ناشـئاً وشبَّ فـؤادي وهـو للحـبِّ عابـدُ
فإن حال بُعـدُ الـدار بينـي وبينكم فطيفي على ما في الضمائر شـاهِدُ

(٢٥) مفتي الشام العلامة محمود بن محمد نسيب الحمزاوي (١٨٢١-١٨٨٧): مفتي الـديار الشامية، وأحد العلماء المكثرين من التصانيف، وكان فقيهاً أديباً شاعراً، وكان آيةً في فن الرماية: (الأعلام ٧: ١٨٥). ولمحمد وائل الحنبلي رسالةٌ جامعيةٌ عنوانها: مفتي الشـام العلامة محمود الحمـزاوي: حياتـه ومكانتـه العلميـة وآثـاره - معهـد الفـتح الإسـلامي ٢٠٠١-٢٠٠٢.

والشعر مكتوب في مقدمة البحث تحت صورة الحمزاوي بحـروف الطباعـة نقـلاً عن الأصل.

(٢٦) ديوان شوقي ٢: ٢٠٤.

(٢٧) ديوان الغلاييني: ٢٧٤.

وفي (المعجم الوسيط) إفاضةٌ مناسبةٌ في الكلام على التصوير[٢٨] الذي طرأ في العصر الحديث، وفيه (ص و ر): «صَوّرَهُ: رسمه على الورق ونحوه بالقلم أو بالفرجون[٢٩] أو بآلة التصوير، وصوّره: جعل له صورة مُجَسّمةً. والمُصَوّر: مَنْ حرفته التصوير. والمُصوّرة[٣٠]: آلة تنقل صور الأشياء المجسمة بانبعاث أشعةٍ ضوئية من الأشياء تسقط على عدسةٍ في جزئها الأماميّ، ومِنْ ثَمّ إلى شريطٍ أو زجاجٍ حسّاسٍ في جزئها الخلفيّ، فتطبع عليه الصّورة بتأثير الضوء فيه تأثيراً كيماوياً».

* * *

(٤)

واستفاد محمد الخضر حسين[٣١] من عالم التصوير الشّمسيّ، فالتقط حال الصّورة السالبة negative، وإيحاءاتها، وألقاها على رجلٍ قال فيه: إنه يقلب الهدى ضلالةً والضّلالة هدًى، وكتب عبارة (زجاجات المصوّر) فوق

(٢٨) المعجم الوسيط (ص و ر). وانظر المعجم الأساسي، والمعجم المدرسي (ص و ر) ونصّ في الوسيط على أن التعريف من مصطلحات مجمع اللغة العربية.

(٢٩) ذكر المعجم الوسيط الفِرجَوْنَ في دَرْج مادة (ص و ر) للقلم الذي يرسُم الرسام به أو يُصوّر؛ ولم يذكر الكلمة في (ف ر ج)، واقترح حليم دمّوس لما يُرْسَم به: قلم المصور بدلاً من الدارجة: «فرشاية المصور».

- وللكلام على «الفرجون» تفصيل في كتابي: «الجديد معجم أسلوبي حضاري»: مادة (ف ر ج ن) ومادة (ف ر ش ى)، وثمة المصادر والمراجع.

(٣٠) لم تشع كلمة (المصورة) في الاستعمال، وقالوا: آلة التصوير، واستعملوا الأجنبية: كاميرا. وكان د. أحمد زكي رئيس تحرير مجلة العربي الأول يكتبها بالقاف: قمرة، وأصل معناها في الأجنبية الحُجرَة: (camera).

(٣١) الإمام محمد الخضر حسين التونسي (١٨٧٦-١٩٥٨): عالم إسلامي، أديب، باحث يقول الشعر، من أعضاء مجمعي دمشق والقاهرة، تولى مشيخة الأزهر، عمل في سورية ومصر، وله مؤلفات كثيرة، منها ديوانه: خواطر الحياة. (الأعلام ٦: ١١٣-١١٤).

هذين البيتين[٣٢]:

عذرتك إذ صورتَ في نفسك الهدى ضلالاً، وصورت الضلال رشادا!
فإنّ زجاجات المصور تقلب السـ ـسوادَ بياضاً والبياضَ سوادا

وأراد بـ(زجاجات المصوّر): المواد الكيماوية، التي يُعالج بها ورق التصوير، ويعكس الصورة السالبة (negative) إلى موجبة: (positive).

وقابل بعض الشّعراء بين الأصل والصّورة، وقدّم كل واحدٍ فيهم رؤيته لهذا الملمح بين الاعتبار، والتذكر، والتشوّق، والتحسُّر، وموافقة الصورة الأصل أو مخالفتها قليلاً أو كثيراً، والتعجّب من ثبات الصّورة على الورق، واستكشاف ملامح في شخصيته لم يكن ينتبه إليها.

وأورِدُ ما قاله نجيب الحدّاد، مثلاً، عن الأصل والصّورة في واحدةٍ من القطع التي نظمها من وحي الصّورة[٣٣]:

رأَوا بكفي صورة ضَممْتها من شغفي
قالوا: «لقد ضممْتَها جداً، ولما تشتفِ»
فقلت: «لو أني ضَممْـ ـتُ أصلَها لم أشتفِ[٣٤]
فكيف عن بُعدٍ بها أشفى، وناري تنطفي»؟

وعبر محمد الأسمر[٣٥] عن الفكرة على وجهٍ آخر، فقال:

كبَّرْتَ للصورة في حُسنها فكيف لو أبصرت من صوّروا؟[٣٦]

---

(٣٢) خواطر الحياة: ٨٩. - ولم أجد للشاعر نظماً من وحي الصُّورة في ديوانه.
(٣٣) تذكار الصبا: ٩٨.
(٣٤) اشتفى بكذا: نال به الشفاء، (أو: طلب به الشفاء).
(٣٥) محمد الأسمر (١٩٠٠-١٩٥٦): شاعر وكاتب ومؤلف، له عدد من الدواوين، ومؤلفات مختلفة، ومنها (ديوان الأسمر)، وهو مطبوع.- معجم المؤلفين ٣:١٣٦.
(٣٦) ديوان الأسمر: ٣٣٣-٣٣٤.

وكلمتا الأصل والصّورة تقتربان من كلمتي: العين والأثر، فالعين: ذات الشيء ونفسه، والبناء الشاخص، أو الشّخص الماثل، والأثر: بقية الشيء وما يدل على وجوده.

وفي شعر ابن عَبْدون الأندلسي[٣٧] من مطلع قصيدةٍ له[٣٨]:

الدهرُ يفجعُ بعد العين بالأثرِ فما البكاءُ على الأشباحِ والصُّورِ؟

وحديث الشعراء المعاصرين عن خلود الصورة بعد صاحبها أو أصلها يشبه كلاماً قديماً عن بقاء الخطّ بعد كاتبه، واشتهر هذا البيت حتى إنّ الناس كتبوه في ألواحٍ وعلقوه إعجاباً بما فيه:

الخطّ يبقى زماناً بعد كاتبه وكاتب الخطّ تحت الأرض مدفونُ!

على أنّ المدوّن في المصادر والمراجع[٣٩]:

الخطّ يبقى زماناً بعد كاتبه ولا محالة أنّ الخطَّ ينْدَرسُ!

وأورد مطران طرابلس غريغوريوس الرابع الحداد كلمة (يبقى) في دَرج بيتين له في الغرض، ووضعهما تحت صورته[٤٠]:

---

(٣٧) عبد المجيد بن عبدون الفهري (قبيلة) اليابُري (بلداً) (توفي ٥٢٩هـ-١١٣٤م): كاتب، شاعر وعالم بالتاريخ، والحديث، واسع العلم بالشعر. جُمع له ديوان صغير. (انظر تاريخ الأدب العربي - عمر فروخ - ٥: ١٩٧-٢٠١).

(٣٨) لابن بدرون كتاب سمّاه: (كمامة الزّهر وفريدة الدهر) في شرح قصيدة ابن عبدون، وهي في رثاء بني الأفطس حكام دويلة بطليوس أيام دول الطوائف بالأندلس. وعُرِفَ الكتاب أيضاً بـ(البسّامة).

(٣٩) البيت من دون نسبة في: الدر الفريد وبيت القصيد (٤: ٨٤) ونقله في: مجمع الحكم والأمثال في الشعرالعربي ٣: ٥٥٢.

(٤٠) مع مجموعة صور وردتْ في كتاب: تاريخ الصحافة العربية لفيليب دي طرازي (غير مرقمة الصفحات).

إلـى أهلـي أسـوق الآن رسـمي ليبقـى بيـنهم تـذكارُ حُبـي
ونفسـي قـد وقفـتُ علـى وَلاهُـم ورسـمي شـاهدٌ زكَّـاهُ قلبـي

ووقـف بعـض الشـعراء عنـد (فـنّ التصـوير) نفسـه تنبيهـاً علـى أثـره الحضاري والاجتماعي والنفسي؛ لقـد أتـاح التصـويرُ الشمسـيّ الاحتفـاظ بتذكارٍ صامتٍ وكأنه ناطقٌ، وصورةٍ مـن ورقٍ وكأنهـا خيـالٌ سـاحِرٌ، وصـلة موصولة بين مُقتني الصّورة وصاحبها، وكأنهما يلتقيان ويتحاوران.

ونقرأ من شعر أبي الحسن الكسْتي البيروتي[٤١]:

جزى الله عني «الشّمس» خيراً فإنّها أراحـت بتصـوير الحبيـب فـؤادي
وصِرتُ إذا ما فات ألقـاهُ حاضـراً بجيبي على وَفق الهـوى ومـرادي

فقد صارت الصورة بديلاً مؤقتاً، وسَلوى حاضرةً، وردّ الشـاعر الفضـل إلى الصّورة الشّمسية. وقال في قطعةٍ أخرى[٤٢]:

يا بدرُ مـا صـوَّرَتكَ الشـمس عـن عبـثٍ وإنمـا كـان هـذا الأمـر مقصـودا
خافتْ على الحسْنِ من شيء يغيِّـرُهُ فأثبتتهُ ليبقـى - الـدهرَ - موجـودا

وفي هذا ما يدعى: حُسنَ التعليل من علم البديع.

وفي سياق ثناء معروف الرصافي[٤٣] على مصور متقن سمّاه فـي قطعـة في ديوانه وقف عند (فن التصوير نفسه) في استطرادٍ قاصد. وعَنـوَن للقطعـة بـ (المصوّر البارع) قال[٤٤]:

---

(٤١) ترجمان الأفكار: ١٨١.

(٤٢) ترجمان الأفكار: ١٨٢.

(٤٣) معروف بـن عبـد الغنـي الرصـافي (١٨٧٧-١٩٤٥): شـاعر العـراق فـي عصـره، ومـن أعضاء مجمع دمشق، له ديوان شعر، ومنظومات ومؤلفات كثيـرة. (الأعـلام ٧: ٢٦٩)، والرصافي من الشعراء الذين أكثروا من نظم القطع من وحي الصّور.

(٤٤) ديوان الرصافي: ٥١٣.

إن فـنّ التصـوير قـد صـار فيـه (أسـعدٌ) بارعـاً بغيـر نظيـرِ
حمـل (الشـمس) للأنـام بكـفٍّ وبـأخرى صـناعة التصـويرِ
وأتـى يبـدعُ البـدائع للنـا سِ بفـنٍّ مـن الرّسـوم خطيـرِ
لـم يفتـه مـن صـورة المـرء حتـى مـا بهـا مـن علائـمِ التفكيـرِ
فتراهـا كأنهـا ذاتُ فكـرٍ هـي عنـهُ تهـمُّ بـالتعبيرِ
وتـرى عنـد حُزنهـا ذات حُـزنٍ وتُـرى فـي السـرور ذات سـرورِ
لـك يـا (أسـعد) الفخـارُ ولا زِلـ ـتَ جـديراً بـالفخرِ جِـدَّ جـديرِ!

والنص بالغ الدقة في التعبير عن براعة المصّور: في حسن التقاط الصورة، وفي حسن اختيار لحظة التقاطها. ونفذ الشاعر إلى الملامح التي تثبت على الورق من سمات الوجه، ودقائق تفصيلات أجزائه؛ ولاحظ تثبيت الصور لحال المصَوَّر (صاحب الصورة) من سمات الحزن أو الفرح أو الشرود[٤٥] أو غير ذلك من الملامح.

والصورة - على صمتها - توحي إلى حاملها بأمورٍ عن صاحبها، وتُخيلُ لحاملها أكثر من معنًى تحتمله، أو تصل إليه على وجهٍ من الوجوه.

- ووصف قسطندي داوود أحد المصورين بـ(المصور الفنان) وقال فيه[٤٦]:

قـالوا لنـا إنّ النوابـغ بيننـا عـزُّوا وليـس بقطرنـا فنـانُ
فأجبتهم: «كـلا! ففـي مصـرٍ فتًى عشـق الطبيعـة والهـوى كتمـانُ
يختصـها بحنانـه وجنانـه فسـرى لـه منهـا هـوًى وجنـانُ
إن صـوَّرت يـده ففـي تصـويره كـلُّ الطبيعـة مـا بهـا نُقصـانُ..»

(٤٥) قال في المعجم الوسيط: الشُّرود، شُرود الذهن. (وفي علم النفس): عدم الانتباه إلى الظروف المحيطة، أو الملابسات الطارئة (مج).

(٤٦) الشعر في مجلة أبولو - (ديسمبر ١٩٣٤ ص: ٥٦٢). وقال في المقدمة: من قصيدة مهداة إلى الفنان المصري: شعبان زكي. عزّوا: قلّوا. والجَنان: القلب.

لقد حظي المصور من الشعراء، وغيرهم، بلقب «الفنان»، وفي تعريفات المعجم الوسيط (ف ن ن): «الفنان: مَنْ مَهر في تذوّق الجمال أو تحصيله، أو إبداعه، كالشاعر والكاتب، والموسيقي والمصور، والممثل...» (مج).

– وتحت عنوان «الرسام الخالد»، ومعه صورتان شمسيتان لمصورين معاصرين له، قال حليم دمّوس[٤٧]:

صوّرتني يا صاحبي بتفننٍ فجعلتني أثراً على الأوراقِ
أنت المخلد في المثال لأنني أنا ذاهبٌ لكنّ فنك باقِ!

* * *

(٥)

وفي أشعار الصّور نوع يجري فيه الحوار بين الشاعر وبين نفسه، ما نُطلق عليه: الحوار الذاتي، في هذه النصوص يصوّر الشاعر حاله لمشاهد الصورة، ويتذكر من أمر نفسه ما يخطر له، ويشكو من بعض ما كان من حياته، أو ينظر إلى الغد الذي لا يعرف ما يكون فيه. وهي نصوصٌ تغلب عليها عاطفة الشجن، وتسيطر عليها ظلال الذكريات؛ يستنبط الشاعر منها ملامح مختلفة من الفرح والسّرور والبهجة، أو من الألم ومظاهر المعاناة، أو التأمّل. لقد صارت الصّورة مُنفرجاً للشّاعر ليوضّحها أو ينطقها بما يشاء، أو يُفرغ شحنةً عاطفية كامنة.

وفي شعر خليل مطران[٤٨]:

مثاليَ هذا منبئ عن سريرتي شهادته حقٌّ عليَّ مبينُ

(٤٧) المثالث والمثاني ١: ١٣٦–١٣٧.

(٤٨) ديوان الخليل ٢: ١٤.

(*) هكذا أحالَ الكاتب، وقد أحال في ذلك قبل على الديوان ١: ٢٥٨ = [المجلة].

وكتب الخطاط نسيب مكارم[٤٩] تحت صورته بخطه من نظمه[٥٠]:

ألا إنما شخصي غريبٌ برَسْمه كذاك شبابي في الحياة غريبُ
فيا رسمُ ها إنا غريبان هاهنا «وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسِيبُ»[٥١]

والشطر الأخير مضمّن، وهو من بيتٍ لامرئ القيس.

- وكتب أنور العطار[٥٢] من نظمه، في صباه، على صورةٍ له، وهو في نحو الثالثة عشرة بيتين، وأهدى الصورة إلى ابن عمٍّ له[٥٣]:

إنما نحن في الحياة إلى حيـ ـنٍ شباباً وفتيةً وكهولا
نتمنى الحياة بعد تمنٍّ وهي ليست إلا متاعاً قليلا!

- وعلى غلاف مسرحية (ذي قار) صورةٌ لناظمها الشاعر عمر أبو ريشة[٥٤]

---

(٤٩) نسيب بن سعيد مكارم (١٨٨٩-١٩٧١): ترجم له في الأعلام، قال: خطاط لبناني مُتفنن، برع في الكتابة الدقيقة (على حبة الأرز مثلاً) إلى غير ذلك. (الأعلام ٨: ١٨).

(٥٠) في المثالث والمثاني ١: ٢٩.

(٥١) في الشعر تورية بين النسيب (ذي النسب والقرابة، وبين اسم نسيب). وتمام البيت لامرئ القيس:

فقلت له إنا غريبان هاهنا وكلّ غريب للغريب نسيبُ

(٥٢) أنور العطار (١٩٠٨-١٩٧٢) قال الزركلي (الأعلام ٢: ٢٩): شاعر رقيقٌ، من أدباء المدرسين، دمشقي المولد والوفاة. له عدد من المؤلفات، وديوان: ظلال الأيام، وصدر بعد وفاته: ديوان علمتني الحياة (أو: رباعيات العطار).

(٥٣) الشعر في رباعيات أنور العطار: ٢٥٢، والصورة مؤرّخة بقلمه في ١٧ صفر الخير سنة ١٣٤٣هـ، وولادة الشاعر كانت ١٣٣١هـ-١٩١٣م كما ثبت على يد ابنه.

(٥٤) عمر بن محمد شافع أبو ريشة (١٩٠٨-١٩٩٠): من كبار شعراء العرب في العصر الحديث. قال فيه د. شوقي ضيف: إن التصوير أساس فنه، وهو تصوير يدٍ صناع تعرف كيف تضمّ الخط إلى الخط، واللون إلى اللون، والضوء إلى الضوء، والظل إلى الظل (دراسات في الشعر الحديث: ٢٥٦). وصدرت أشعاره مجموعة في ديوان من جزأين - وزارة الثقافة - دمشق. «صنعة د. فايز الداية وزميليه». وصدرت مع الديوان دراسة مستقلة عن أبي ريشة من تأليف د. فايز الداية.

بلباسٍ عربي بدويّ، وتحتها هذان البيتان:

يـــا فـــؤادي ألا تـــزال كئيبـــاً شـاكياً باكيـاً علـى غيـر جـدوى؟
لا تكـــن ظالمـــاً فإنـــك إن مـــتّ تركـــت الآلام مـــن غيـــر مـــأوى!

وهذا موقف نجده عند الشعراء المتقدمين في السنّ عادةً، ولكن الشاعر صوّر نفسه على تلك الحال.

وفي ديوان محمد البـزم[٥٥] ثلاثـة أبيـات عنوانهـا «علـى رسـم ميّـت»، وعلى الرغم ممّـا فـي تقـدير الشّـاعر سـنوات عمـره بــ (تسـعين وعشـرين) الظاهر أن الشاعر نظمها لصورته، وهي:

صحبْتُ بنات الدّهر تسعين حجةً[٥٦] وعشرين ما أنكرت من شأنها أمـرا!
إلى أن قضتْ مني الليـالي مُرادهـا ففارقتها جذلان لا أشتكي الهجرا
ولمـا أبـت إلا ادّكـاراً لصـحبتي تركتُ لها رسمي، وقد تنفع الذكرى!

– وكتب فوزي المعلوف[٥٧] من نظمه ثلاثة أبياتٍ تحت صورته، قال[٥٨]:

كلُّ هذي الحياة وهمٌ وهذا الرســـمُ وهـــمٌ، ومـــا أنـــا غيـــرُ وهـــمِ

(٥٥) محمد بن محمود البزم (١٨٨٤–١٩٥٥): من أعضاء مجمع دمشق. قال فيه صديقه الزركلي: «كان واسع المعرفة باللغة، كثير المحفوظ من الشعر والنثر، حسن الترسل في إنشائه، نقاداً عنيفاً..». له مقالات أدبية ونقدية، وكتاب على نسق «الغفران» للمعري لم يتمه، وله ديوان شعر مطبوع (الأعلام ٧:٩١)، وصدرت مقدمة ديوانه في وزارة الثقافة بدمشق. وتصدر دراسة عنه بعنوان «محمد البزم» في مجمع اللغة العربية بدمشق لمحمد رضوان الداية.

(٥٦) كذا في الديوان المطبوع: (تسعين)، وأظن وقوع سهوٍ من ناشري الكتاب: (كأن يكون الأصل: خمسين، أو: ستين)، وخط بعض أوراق الديوان (وأكثرها جذاذات وأوراق عارضة) غير دقيقة الرسم، وقد اطلعت عليها.

(٥٧) فوزي عيسى إسكندر المعلوف (١٨٩٩–١٩٣٠) قال فيه الزركلي: شاعر لبناني، رقيق (الأعلام ٥: ١٦٣).

(٥٨) المثالث والمثاني ١: ١٩٣. ونظم المعلوف قطعته سنة ١٩٢١م.

غيــرَ أنّ الرســومَ تبقــى طــويلاً وأنــا أمَّحــي بروحــي وجســمي
فاحفظوا الرسم عندكم واذكروا منْ صــيرتهُ النــوى برقــة رســمِ

وهذا نوع من التشاؤم مبكر، وقد أشار الشاعر إلى فكرة خلود الرسم أو الصورة بعد فناء (أو وفاة) صاحبها.

– وخاطب الشّاعر حليم دمّوس صورته في قطعةٍ نظمها بعد خمسة عشر عاماً من تاريخ التقاط الصّورة، وكتب تحتها، مُبيّناً أثر الزمن الذي يغير من الجسد حتى يبلغ غايته(٥٩):

بين جسمي وبين روحي فرقٌ واضحٌ للعيان كالصبح ظاهرْ
أنت يا رسمُ لا محالة باقٍ ومثالي مع الأحبة حاضرْ

– وقد يجد الشاعر في صورته ما يدعوه إلى أن يعلن تشاؤمه، وهذا وديع عقل(٦٠) في مقدمة ديوانه يقول عند صورته(٦١):

دعوت الموت ينقذني وقومي فإن لم يرْض قومي متُّ وحدي!
واغبط كلّ من قد مات قبلي واندُبُ كلَّ منْ قد مات بعدي

وتكون الصّورة مادّة إهداء، واستهداء: يكون ذلك بين المحبّين، ويكون بين الأصدقاء والأصحاب، ويكون بعد تعارفٍ جديدٍ بين اثنين، وما شابه ذلك.

---

(٥٩) المثالث والمثاني ١: ٦٣، وتاريخ الصورة سنة ١٩١٠م.
– أذكر بالمناسبة أن الأستاذ معروف زريق صنع لوحةً أثبت عليها صُوَرَهُ الملتقطة منذ طفولته؛ لكل سنة صورة تُثبَتُ إلى جانب سابقتها، فكأنه يؤرخ لنفسه بالصورة واختلاف أحوالها (تبعاً لاختلاف أحواله). وكان مدرساً بارعاً، ومؤلفاً. وكان بيني وبينه صداقة ومودة. (ترجم له الدكتور نزار أباظة في تتمة الأعلام في نسخة جديدة معدةٍ للطبع. وفي دار الفكر ملف عن سيرته.

(٦٠) وديع بن شديد بن بشارة عقل (١٨٢٢–١٩٣٣) قال الزركلي: صحفي لبناني، له نظم حسن، له ديوان شعر وأربع روايات تمثيلية، وهي جميعاً مطبوعة. (الأعلام ٨: ١١٢).

(٦١) ديوانه: ٤.

– استهدى المستشرق عبد الرحمن نيكل من الدكتور عمر فروخ[٦٢] صورةً، وطلب إليه أن يكتب تحتها شعراً من نظمه فكتب[٦٣]:

أبَيتُ على الدّنيا ثرائي وغبطتي وعِشْتُ عزيزَ النّفس في طلب العلمِ
وإنّ امرءاً يَلقى من العلم منصفاً يهون عليه ما يلاقي من الظلمِ

وقد انصرف الشاعر عن الصورة إلى حقيقة النفس وعلوّ مطالبها.

– والصورة المهداة من أحمد يوسف[٦٤] هي تذكار دائمٌ لصديقه، فقد قال[٦٥]:

هذه صورتي تمثل عهداً هو شرحُ الشباب في عنفواني
فادّخرها فإن يوماً سيأتي فيه تخشى الفراق بعد التداني
وإذا غاب عن عيونك رسمي فالتمسني فيها فأنت تراني

يقول: إن غاب شخصي عنك، فانظر إلى صورتي... تجدني!.

واغتنم أحمد مظهر العظمة[٦٦] إهداء صورته إلى صديقه عمر بهاء الأميري، وعلل الابتسامة الظاهرة في تلك الصورة فقال[٦٧]:

---

(٦٢) عمر عبد الله فروخ (١٩٠٦–١٩٨٧): باحث في الآداب والتاريخ والفكر الإسلامي واللغة، وكاتب، وأستاذ جامعي متفوّق، ومؤلف بارع. كان عضواً في أكثر من مجمع لغوي، واشتهر بكتب كثيرة منها: التبشير والاستعمار، وعبقرية العرب في العلم والفلسفة، وتاريخ الأدب العربي، وله ديوان شعر عنوانه: فجر وشفق (عمر فروخ: كتاب الأمة).

(٦٣) فجر وشفق: ١٣٧.

(٦٤) أحمد يوسف (١٩١٢–١٩٧٢): شاعر فلسطيني من الطيبة (أعمال طول كرم)، له ديوان مطبوع (مقدمة محققة الديوان: ميّ يوسف).

(٦٥) ديوان أحمد يوسف: ١٨٩.

(٦٦) أحمد مظهر العظمة (١٩١١–١٩٨٢): باحث وشاعر، حقوقي له كتبٌ وشعر، ورأسَ تحرير مجلة التمدّن الإسلامي (إتمام الأعلام:٥٦).

(٦٧) دعوة المجد (ديوان العظمة): ٦٧.

لقد بَسَمتْ روحي لروحك حينما توافقت الآلام من ضلة البشرْ
فجاء خيالي باسماً بمودّتي وليس ببِشْرٍ باسماً يا أخي عمرْ

ونظم خليل مردم بك[٦٨] بيتين رقيقين، كتبهما تحت صورةٍ له، أهداها إلى صديق غادر دمشق[٦٩] قال:

يا مُزمع السير بُلغت المنى مهلاً يؤدِّ حقًّا من التوديع قلبانِ
زوّدْتُك الروحَ ذكرى الودّ إذ أزفت ساعات سيرك فاقبلْ رسم جثماني

وفي ديوان الرصافي أكثر من قطعة في موضوع الصور، منها واحدةٌ بعث بها مع صورته إلى العلامة عبد القادر المغربي، قال[٧٠]:

إلى المغربيّ الحبرِ أهديْتُ صورتي تذكرهُ مني صداقةَ صادقِ
وتؤذنهُ بالودّ وهي خيالةٌ ورب خيالٍ مؤذنٍ بالحقائقِ
وإنّ لعبد القادر الفضلَ كلَّهُ بما أوضحت أقلامه من حقائقِ
فتى العلمِ زانته العلومُ بنورها كما زانها منه بِحُسْن الخلائقِ

* * *

(٦)

وقد تهيج الصّورة للشاعر هواجس أو ذكريات، أو تُحرِّك فيه مشاعر كانت كامنةً، أو هادئةً؛ أو لعلها تستثير فيه تداعيات قويّةً من الماضي القريب، أو الماضي البعيد، فلا يكتفي بالبيت أو البيتين أو القطعة، ويسْترسِلُ وراء أحلامه، أو ذكرياته، أو هواجسه فيطول النصُّ، ومن هذا

(٦٨) خليل مردم بك (١٨٩٥-١٩٥٩): أديب كاتب، شاعر، مؤلف، رأسَ مجمع اللغة العربية، له عدد من المؤلفات وديوان شعر مطبوع. (الأعلام ٢: ٣١٥).
(٦٩) ديوان خليل مردم: ٣١٠.
(٧٠) ديوانه: ٥٠٣.

الملمح قصيدةٌ لإبراهيم ناجي[٧١] عَنوَن لها بكلمة (الصورة) قال:

رَســـمَ الحبيـــب الأولِ «دعني» لحسنك أجتلي
بنـــــواظرٍ مقروحـــــةٍ بـــالنومِ لـــم تتكحـــلِ
دعهـا تعـبٌ سـناك فهـ ... ـــيَ شـقية لـــم تنهـــلِ
بالصـــبر بـــالآلامِ هـــل حملتـــكَ، إلا أنملـــي؟
إنـــي أغـــارُ مـــن الظـــلا ... مِ وأنتمـــا فـــي منـــزلِ
فهنـاك قلـبٌ لـم يخـنْ عهـــداً ولـــم يتبـــدّلِ
يلقى ضياءك في السـجو ... دِ كعابـــدٍ فـــي هيكـــلِ

*** ***

يا رسمُ من أعطى الهوى مفتـاحَ قلبـي المقفـلِ؟
فـي حبـه فنـيَ الصّـبا وشَـبابُ أيـامي بَلِـي
يـا ويـحَ مـا ضَـيعت فيـ ... ـهِ مـن قليـلٍ مُخجـلِ
ماضـيَّ ضـاع ولـو قـدَرْ ... تُ لجـدتُ بالمسـتقبلِ

*** ***

يـا رَسْـمُ كـم مـن ليلـةٍ أبكـي وأسـتبكيك لـي!
قـل هـل ترَكتـك مـرّةً بالـــدمع غيـــرَ مبلـــلِ
حتـى رجعـتَ مخادعـاً ومضـيتَ جـدّ مضـللِ
أرنـــو لـــدمعي باديـــاً فـــي وجهـــك المتهلـــلِ
فأخـــالُ عينـــكَ هزَّهـــا شكوى الغريب المُهمـلِ
فبكـتْ وتلـك دموعهـا هـذي تسـيل وذي تلـي

(٧١) ابراهيم ناجي (١٨٩٨-١٩٥٣): طبيب مصري، شاعر، من أهل القاهرة، له مؤلفات، ودواوين شعرية (الأعلام ١: ٧٦)؛ له المجموعة الشعرية الكاملة، والأبيات من٨ إلى ١٧ وردت منفردة في ديوان ناجي على الصفحة: ١٨٥.

يا رسْمُ كم معنًى حمَلـ ... ـتَ لناظرِ المتأمـلِ؟
تلـك الشـفاه الحانيـا ... تُ علـى أرقّ مقبـلِ
عـمّ انفـرَجن إذ ابتسمـ ... ـن، أعـن عتـابٍ مرسـلِ
أم عـن قسـامةِ هـاجرٍ في الناعمين مـدَلل[٧٢]؟
تلـك العيـونُ الرّاميـا ... تُ سـهامَهنَّ بمَقتـلِ
كم هِجن أشجان الشجيّ ونلـنَ مـن قلـبٍ خلـي!

تكررتْ عبارة «يا رسْمُ» مع رؤوس مقاطع القصيدة أربع مرّات، وجاءت أشبه بمحاورةٍ داخليّةٍ فيها تصوير للماضي، وتشخيصٌ للحاضر، وصار «الرّسم» وهو الصّورة، مثالاً أو تمثالاً، بُعثت فيه الحياة، وصلح لأن يدخل الشّاعر معه في حوار، ويقلب معه صفحات ملوّنة بألوانٍ شتى من الذكريات.

* * *

(٧)

من الجوانب التي اهتمّ بها «شعر الصّورة»: وصف الصّور المتحرّكة، كما كان يُطلق عليها عند ظهورها، وهي في الأجنبية: السينما[٧٣]، والكلمة العربية المقابلة لها: الخيالة.

---

(٧٢) القسامة: الحسن والجمال.

(٧٣) في معجم (المورد الوسيط) ٢٢٣ - ٢٢٤ «cinema»: فيلم سينمائي، وصالة أو دار للسينما، وصناعة السينما، والفن السينمائي.

– وقال في معجم (المنهل) مثل ذلك في مادة cinema: ٢٥٠

– وذكر أحمد شوقي السينما بعبارة: لوح الخيال، وهو يصف مشهداً للغواصة لوزيتانيا التي أصيبت في الحرب الأولى:

رأيت على لوح الخيال يتيمةً قضى يوم (لوسيتانيا) أبواها
فيالك من حاكٍ أمينٍ مصدقٍ وإن هاج للنفس البكا وشجاها

ديوان شوقي (١:١٦٣ - ١٦٤)

ومرّت الصور المتحركة من حيث الصلة بين الصورة والصوت في النصف الأول من القرن العشرين بمرحلتين؛ فقد بدأت الخيالة صامتةً: إنما هي صُوَرٌ تتحرك وَفق سرعةٍ معينةٍ، وترتيبٍ خاصّ، فتخيلُ للمشاهد أنها تصفُ الأحداث التي سبق تصويرها كما وقعت.

وحين زار حافظ إبراهيم دمشق استقبله أهل العلم والفكر والثقافة والسياسة، وكان ممّن احتفى به شعراً خليل مطران، وحليم دمّوس. ووافق وجود حافظ في دمشق فيضانُ نهر بردى. وفي (المثالث والمثاني) صورةٌ لفيضان النهر مع القصيدة التي قال فيها[٧٤]:

يا حافظَ الشعر صافح ضفتي بردى ... واسمعْ على مثله تحنان حُورانِ[٧٥]

كأنه اهتزّ للبشرى ففاض جوًى ... بالأمس، واليوم يجري جري جذلانِ

وكتب الشاعر نفسه تحت صورة لنهر بردى يجتاز الغوطة[٧٦]:

ذكرتُ ربيعكِ في الغوطتين ... ونهرك ينساب بين الشجرْ

وأنت كحسناءَ لاحت جمالاً ... وماست دلالاً بأسْنى العبرْ

وكتب عند صورة المسجد الأموي[٧٧] يخاطب دمشق:

ومسجدُك الأمويّ الرّحيبُ ... تشعُّ جوانبهُ بالسُّورْ

وكتبتُ تحت صورةٍ لبعض نواعير حماة:

كلما أنَّتِ النواعير قالت: ... «من كمثلي على الفراق ينوحُ؟»[٧٨]

---

(٧٤) المثالث والمثاني ٢:٢٤٨.

(٧٥) التحنان: الحنين الشديد، والحوران جمع الحُوار: ولد الناقة ساعة تضعه أمه خاصة، أو من حين يولد إلى أن يفطم ويفصل عن أمه، (وحينها هو: فصيل).

(٧٦) المرجع السابق ١: ٨٠.

(٧٧) المرجع السابق ١: ٨١.

(٧٨) العامّة يقلبون الهمزة عيناً خطأ ويقولون: عنت، و: عنين، وصوابه بالهمز.

أحتـــوي مَـــنْ أُحِبُّـــه لحظـــاتٍ ثـم يمضـي وفـي الفـؤاد جـروحُ

وفي ديوان خليل شيبوب قصيدةٌ بعنوان (الصور المتحركة) نظمها في الأول والثاني من شباط (فبراير) ١٩١٨[٧٩]. وفي هذه المدة كانت السينما صامتةً، فإنّ أول فلمٍ ناطقٍ ظهر سنة ١٩٢٧ في أمريكا[٨٠]. وكانت مصر أول دولةٍ عربيةٍ صنعت الأفلام، ومن الدول الأولى في العالم في صناعة السينما.

وقصيدة (شيبوب) من ستة وثلاثين بيتاً: مقدمة هي مدخلٌ ذو صلة (٤ أبيات)، وخاتمةٌ هي مراجعة وتأملٌ (١١ بيتاً)، وما بين المقدمة والخاتمة وصفٌ للسينما: الصّور المتحركة.

وأول القصيدة إشارةٌ إلى الوعظ الذي يحتاج إليه الإنسان، ممهداً بالمقدمة إلى الكلام على (السينما) أو الصّور المتحرّكة، أو الخيالة[٨١] كما قيل فيها، وإن لم تشع في الاستعمال.

قال في البيت الأول:

---

(٧٩) ديوان خليل شيبوب: «الفجر الأول»: ١٦٩.

- وهو شاعر سوري دخل مصر في شبابه الأول، واستوطن الإسكندرية، وشارك في الحركة الأدبية، وكان يُعدّ خليفة خليل مطران (مقدمة محقق الديوان - محمد رضوان الداية).

(٨٠) انظر مادة (السينما) في الموسوعة العربية ١١: ٤٧٦. واسم الفلم «مغني الجاز» لشركة وارنر.

(٨١) الخيالة هي الكلمة التي اعتمدها مجمع القاهرة لـ(السينما): الوسيط (خ ي ل)، وكانت لجنة دار العلوم قد وضعت قبل ذلك كلمة الخيالة هذه لكلمة cinema الأجنبية. وقال الشيخ محمد الدسوقي في معجمه النفيس (تهذيب الألفاظ العامية): ٢: ٣٢٥: «إن تلك اللجنة وضعت كلمة (الخيالة) للسينما، وقال: الخيالة كل ما تراءى لك من الصور، وهو أقرب إلى معنى السيناتوغراف، وقد رأيناها أقصر وألطف من: الصور المتحركة، ووضع لها المرحوم محمد بك دياب كلمة الخيال».

عظونا فبعض الوعظِ قد يُسْمِعُ الصُمّا وداووا نفوساً بيننا دنِفتْ سقما[٨٢]

ثم ذكر هذا الاختراع الجديد، ونثر بعض المفردات المناسبة مما شاع في الاستعمال، أو أورده هو ابتداءً فسمّى (الفلم) مُلعباً، وسمى الصور المتحركة: رسماً، وذكر الظلمة والنور إشارة إلى ما عُرف بـ (الأبيض والأسود) الذي تتشكل منه الصور، وجعل السينما (فناً) من الفنون، وذكر (المأساة) من نوع الأفلام، والدّعابة والتفكه الذي قالوا فيه (كوميديا)، وهي الملهاة؛ ونبه على جرأة الصّور المتحرّكة في تقديم المرأة على غير المُعتاد آنذاك.

وفي القصيدة:

إذا ضاق صدري واسْتشفت جوانحي لواعج في الأشياء من دونها حُمّى[٨٣]
تفنّنتُ في أسباب لهويَ نافيا بما شملت ألوانها عنِّيَ الهمّا
وأحسنها في ما ترى العين ملعبٌ – ولا ملعبٌ – يبدو لنا ماثلاً رسما
فيعكس فيه النور يحملُ عالماً يروح ويغدو سارياً فيه مهتمّا
وتبدو حياةُ الناس ما بين ظلمةٍ ونورٍ فأسْتجلي وقائعها وهما
وقد تظفر العينان منه بمشهدٍ دُعابته عمَّنْ يرى تدفعُ الهمّا
وتظفرُ منه في مآسٍ مثيرةٍ شجونَ فؤادٍ تُثقل الرّوحَ والجسما

فالخيالة تعرض ملاهي تدفع الهمّ، ومآسي تثقل الروح والجسد، وتقدّم مشاهد تُخيّل إليك الدنيا بأشخاصها ومواقعها، وحدائقها وأحداثها.

ونبه الشاعر على أهمية (بدعة العلم) هذه، و(رائعة الفنّ)؛ ثم استرسل في الكلام على أشياء من «مضامين» (الأفلام)، ومما قاله:

حوادث هذا العيش مما بدا لنا وممّا اختفى تجلى وقد أُحكمت نظما

(٨٢) دنف المريض: ثقل عليه المرض (وأشفى على الموت).
(٨٣) اللواعج: جمع اللاعج: الهوى المُحرِق.

مُنوعـةٌ تغـري بمـا شـاءت الفتـى فيغرى أديباً كان أم جاهلاً فـدْما[٨٤]

وفي أبيات الختام، وفيها اعتبارٌ، وتأملات في الحياة، قال مشبهاً النـاس فـي حركة الحياة الحقيقية بشخوصِ دار الخيالة (دار السّينما) على تلك (السّتارة)[٨٥].

أفـتش حـولي لا أرى غيـرَ معشـرٍ أرقاء أسرى ذاك عيشُـهمُ حتمـا[٨٦]

كـأنهم ذاك السـتار ومـا بـدا به من شخوصٍ تشبه الدّمّ واللحمـا!

وجاءت المرحلة الثانية حين صارت الخيالة صوراً متحركة ناطقـةً (سـينما ناطقة). وفي ديوان الشـاعر محمـد العيـد آل خليفـة[٨٧] قصـيدةٌ نظمهـا بعـد أن شاهد شريطاً سينمائيًّا عربيًّا ناطقاً، وعنـوَن للقصـيدة بعبـارة «لـوح الخيـال»[٨٨] وجاء في التقديم لها: «قصيدة في وصف السينما الناطقة بالعربية نظمهـا الشـاعر بعد مشاهدته فلم «أنشودة الفؤاد»[٨٩]، والقصيدة مؤرخة بسنة ١٩٣٢م.

وجـاءت القصـيدة فـي سـبعة وعشـرين بيتـاً، فـي مقطعـين متواصـلين، فالأول يتحدّث عن هذا الاختراع الذي يجمع الماضي والحاضـر وينقـلُ مـا يُدهش في أربعةَ عشر بيتـاً، ثـمّ التفـت إلـى الفلـم العربـيّ (أنشـودة الفـؤاد) فتحدّث عنه واستطرَد.

وأورد الشّاعر عبارات ومفردات ذات صلة بالصورة و«الفلم» ممـا كـان

---

(٨٤) الفدْمُ: ثقيل الفهم، العييّ.

(٨٥) صارت كلمة الستارة لستار المسرح، وكلمة الشاشة للستارة التي تُلقى عليها ظـلال الأفـلام؛ ثم قيلت من بعدُ في شاشة التلفاز. وانظر في المعجم الوسيط: الستار؛ والشاشة.

(٨٦) كأنه يقول: استعبدتهُم الحياةُ، فهم كالأرقاء.

(٨٧) محمـد العيـد آل خليفـة (١٩٠٤-١٩٧٩): مـن أعضـاء جمعيـة العلمـاء المسـلمين الجزائريين، اشتغل بالتعليم، وشارك في الحركة الوطنيـة، لـه ديـوان شـعر مطبـوع (ديـوان محمد العيد محمد علي خليفة) طبع في الجزائر (تكملة معجم المؤلفين: ٥٣٤-٥٣٥).

(٨٨) ديوانه: ٢٤-٢٥. كذا، والصحيح ٢٧-٢٨ = [المجلة].

(٨٩) أنشودة الفؤاد: فلم مصري غنائي، وهو أول فلم ناطق بالعربية.

شائعاً، وقد سبق أنّ (أحمد شوقي) استعمل عبارة «لوح الخيال» للسينما. قال محمد العيد:

أنتِ دنيا ما أنتِ لوح خيالِ ... ما على العلمِ غايةٌ بمُحالِ
أنتِ دنيا عريضةٌ من بلادٍ ... وعبادٍ وأبحرٍ وجبالِ
بين حاليْ: سعادةٍ وشقاءٍ ... وزمانيْ: وداعةٍ وقتالِ
في ملاهيك جدَّ للعين ولـ ... ـأذن ضروبٌ من الرؤى والأمالي

لقد أمتعتِ (الصورة المتحرّكة) العين والأذن، ولعلّ الاختراعات كما قال تنصف سائر الحواسّ، وقال: إنها جمعت جيلاً إلى جيل، وقدّمت للمشاهد الجديد وقرّبت إليه البعيد، وعرضت عليه الغريب، ثم قال في التفاتةٍ ذكية:

وكأني أرى شريطك عرْضاً ... فيه فُضَّتْ صحائف الأعمالِ
عظْ به يا جماد من كان حيًّا ... فمَقالُ الجَمادِ فصلُ المقالِ

وردّد ما قاله الشعراء في الصورة التي تخلد صاحبها؛ بأسلوبٍ جديد، وفكرةٍ بارعة:

هوّنَ الموتَ عالمٌ لك فيه ... كلّ حيٍّ مُخلدٌ بمثالِ
والتقى حاضرُ الزمانِ بماضـ ... ـيهِ كأنْ لم يكن بهِ من زوالِ

وألمح إلى فوائد تقدّمها «السينما»:

ووعى الناس ألسناً منك شتى ... في مغازٍ علميةٍ ذات بالِ

وفي القسم الثاني من هذه القصيدة المهمّة حديث عام عن «أنشودة الفؤاد» تحرّكت فيه مشاعر متشابكة: من الدّهشة للفنّ والإعجاب بالفلم، ومن الالتفات إلى المشرق العربيّ (مصر وسائر البلدان)، وطمح إلى أن يعود المجدُ العربيّ الذي سجله التاريخ، ونستطيع أن نُعيد مثله؛ وصبغ الشاعر قصيدته بصبغٍ عربيٍّ، وأضفى عليها حماسةً صدّاحة الصوت؛ وأذكرُ من آخر القصيدة قوله:

نسـمٌ مـن جوانـب النيـل أفشـى نغـمُ النيـل تحـت جـنحِ الليـالي
نـمّ عـن مائـه النميـر وعمـا حوْلـهُ مـن مـآثرٍ وخـلالِ
عُـرف الشـرق مشـرقاً مـن قـديمٍ وجديـدٍ علـى الفـلا والـتلالِ
وكـأني بـهِ أطـلَّ علـى الغـر ... بِ مع الشمس ضاحكاً عـن لآلـي
وكـأني بـالغرْب أذْعـنَ للشـر ... قِ، اعترافـاً بمـا لـه مـن كمـالِ

لقـد اسـتوفى الشّـاعر كلامـه علـى براعـة اختـراع الصّـورة، والصّـورة المتحرّكة، والصورة المتحركة الناطقـة، ووقـف عنـد فلـم «أنشـودة الفـؤاد» الذي جمع الصّوت والصّورة، واستطرد إلى مآثر العرب قديماً، وأثنـى علـى مصر وتشوّق إليها، وربط بين بلاد المغرب العربيّ والمشرق، ونظر إلى غـدٍ تعود فيه الحضارة العربية الإسلامية وتسُود.. ولا يغيبُ عن البال أنّ الشّـاعر نظـم قصـيدته فـي ظـلّ الاسـتعمار الفرنسـي، ومـن خـلال نشـاطِ العلمـاء الجزائريّين الذين يجاهدون بالكلمة، وبكلّ مُستطاع، ويهيئون لما سيأتي بعد بضع(*) وعشرين سنة من تاريخ هذه القصيدة(٩٠).

ولـم يكن المنظر الحسنُ هو وحدهُ الذي يلفت نظرَ الشـاعر، فقـد يقـف عند المنظرِ الشّجيّ المُحزن، كالذي نجده في قصيدةٍ لعلي الشرقي(٩١)، فقـد وصف طرفاً مما رآه فـي شـريطٍ «سـينمائيٍ» عـن أحـداث الحـرب العالميـة الثانية، وقال في ذلك:

(*) كذا، والصحيح «نيّف»؛ لأنَّ ما بين تاريخ القصيدة (١٩٣٢م) وانطلاق الثورة الجزائريـة (١٩٥٤م) اثنتان وعشرون سنة، والاثنتان مما يُقال فيه «نيِّف» لا «بضْع». على أن وقـوع كلمة «نيّف» قبل العقد مما ورد به استعمال القدماء، خلافاً لما نُقِل عن اللحياني من أنـه لا يكون إلا بعد لفظ العقد. = [المجلة].

(٩٠) انطلاق الثورة الجزائرية في ١ تشرين الأول – نوفمبر – ١٩٥٤.

(٩١) علي بن جعفر الشرقي النجفي (١٨٩٠–١٩٦٤): برع في علوم الأدب (الشـعر والنثـر)، له ديوان شعر وكتب أخرى (معجم المؤلفين ٢: ٤١٣).

منتهـــى الروعـــة رؤيـــا موكـــبٍ بـــالمظلات علـــى الشّـــعرى عَبَـــرْ

ووصف الطائرات، وهي تلقي من حمولتها المدمّرة:

لوحـــةُ الطيـــار يـــا ســـابرَها رُسِـــمَتْ فيهـــا بـــديعاتُ الصُّـــوَرْ

عنـــده مـــا شـــفعَت شـــيخوخةٌ وقســـا أن يعصـــم الطفـــل صـــغرْ

كـــم بـــلادٍ تمـــلأ العـــين غـــدتْ بلقعـــاً مـــا فيـــه عـــينٌ أو أثـــرْ!

وتمسح هذه القصيدة مسحة إنسانية غالبة، إضافةً إلى الوصف الـواقعي الذي تقرعُ كلماته الأذن، وتشـغلُ حقائقـه الـنفس والقلـب. وعلـي الشـرقي معروف بدقة الوصف، وحسن الصياغة، وجودة التعبير.

* * *

(٨)

في شعر الصّور نصوصٌ سـجّل الشـعراء فيهـا خـواطرهم عنـد الصّـور الجماعيّة، وهي – عادةً– نصوصٌ تذكاريّة تُلتقَطُ في المـدارس والجامعـات وبعض دوائر الدولة والاجتماعات، وما شـابه ذلـك؛ وتكـون صـوراً أسـرية توثق الأفراح والمناسبات المختلفة.

نظم محمد العيد آل خليفة بيتين لصورة التُقطت لأعضاء جمعية الشّبيبة الإسلامية (الجزائرية) وشيوخ مدرستها، وتلامذة صفوفها، قال[٩٢]:

هنـا الشـبيبةُ فـي دار الفـلاح هنـا خير الكهول هنا، خيرُ الشباب هنا

رســـمٌ يخلـــد للأجيـــال حاميـــةً من الشبيبة تحمي الـدّينَ والوطنـا

وجمعت صورةٌ بين أفراد فريق من مؤسسي الرابطة الأدبية فـي دمشـق، وفوقها بيتان تحت عنوان «لا تتفرقوا»، وهما[٩٣]:

(٩٢) ديوان محمد العيد آل خليفة: ٢٤–٢٥. كذا، والصحيح ٤٩٣ = [المجلة].

(٩٣) المثالث والمثاني ١: ١١٨. والشعر لحليم دموس. وكان في الصورة: محمد الشريقي، وخليـل مردم بك، والشماس أبيفانوس (مطـران حمـص عنـد نشـر الكتاب)،والشـيخ سـليم الجنـدي، وعزالدين علم الدين(التنوخي)، وحليم دموس، وأحمد شاكر الكرمي، وعبد الله النجار.

ورابطـــةٍ فـــي ســـيرها أدبيـــةٍ وأعضـاؤها شـهدَ العلـوم تـذوقوا
وفـي رسـمهم معنـى اتّحـادٍ كأنـه يقـولُ لهـم: «بـالله لا تتفرقـوا»

ومن أشعار الصور ما نظمه الشعراء تحت صورِ مشهورين في العلم والأدب والفن والسياسة والإدارة، وهذا كثير نجد أمثلةً منه في ما نظمه حليم دموس في كتابه: (المثالث والمثاني).

ونظم محمد العيد آل خليفة قطعةً تحت صورة عبد الحميد بن باديس العالم المجاهد الجزائري المشهور(٩٤):

هـذا ابـن بـاديس بـالقرآن مُفتكـرٌ يجلـو معانيـهُ كالـدّر والمـاسِ
أحيا الجزائـر بالفرقـان فانتعشـتْ وذاد عـن حقهـا بـالعزم والبـاسِ
وودّ مـن شَـعبه أن يسـتجيب لـه ويسـتنيرَ مـن الـذكرى بمقبـاسِ
فكـنْ لـه سـامعاً إن رُمْـتَ منزلـةً رفيعة القـدْرِ عنـد الله والنـاسِ(٩٥)

ونظم أيضاً قطعة عند تأمّل صورةٍ لأحمد شوقي مشهورة، قال فيها(٩٦):

صـــورةٌ فـــذّةٌ لأحمـــد شـــوْقي تتجلـــى مظـــاهرُ الشـــعر فيهـــا
فتأمـــل تجـــدْ دماغـــاً كبيـــراً زاخـراً بـالمنى، ووجهـاً وجيهـا
وتأمـــل تجـــد شـــعوراً عميقـــا وحِجًـــى راجحـــاً وفكـــراً نبيهـــا
مالـه واضـعاً علـى الكـفّ رأسـاً يـا تـرى أيّ نوبـةٍ يشـتكيها؟
مـا لـه نـاظراً بطـرفٍ كليـلٍ يـا تـرى أي لوحـةٍ يجتليهـا؟
علَّـهُ فـي الحيـاة ضـل طريقـاً وبصـــحرائها تحيـــرَ تيهـــا
هكـذا تفعـلُ القـوافي، فويـلٌ للقـــوافي، وللـــذي يقتفيهـــا!

فالشاعر معجبٌ بأحمد شوقي، يتأمل صورته، ويستخرج منها معاني

(٩٤) رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٨٨٧-١٩٤٠).
(٩٥) ديوان محمد العيد: ٥٢٠.
(٩٦) المصدر السابق: ٥٢١.

ومقاصد مختلفة، ويفسّر نظرة التأمل في الصورة، وينفذ إلى أحوال الشعراء، ويختم بما يشبه الطرفة والدُّعابة.

* * *

(٩)

وصف محمد بهجة الأثري[٩٧] صورةً شاملةً لنهر النيل: بمائه والنخيل على ضفتيه، والمراكب تجول فيه، ووصف فتاتين إلى جانبه تملآن جرّةً من مائه، وممّا قاله تحت عنوان: «وحي صورة»[٩٨]:

حَيَّيتنـــي بـــالمنظر الفتـــان فهـزْتَ نفسـي واسـتثرْتَ بيـاني
ما كان أَبدعَ ما اصطفيت لنـاظري سبحان باري الحسن في الأكـوانِ

فهو – كما يبدو – تلقى هديةً من صديقٍ له هـي صـورة المشـهد النيلـيِّ المعجب الذي استثار فيه الشاعرية، ثم قال:

النيـلُ يختـرقُ الخمائـلَ سـادراً في كبرِ مرْموقِ الجـلال مُعـانِ[٩٩]
متـألق الأوضـاحِ تحسَـبُ وجهـه قسـماتِ أبلـجَ عبقـريِّ الشـانِ

وقال في مقطع آخر:

والفلكُ بالشُّـرُع الحسـان تخالهـا زُمَـرَ الطيـور تهـمّ بـالطيرانِ[١٠٠]
والنخل في الشطَّين شـبه عـرائسٍ يزهـو هنـاك بحسـنها الشـطَّانِ

(٩٧) محمد بهجة الأثري (١٩٠٤-١٩٩٦): من كبار علماء اللغة والأدب، كاتب شاعر، اشتغل في الصحافة وفي الأعمال الإدارية، وكان عضواً في عددٍ من مجامع اللغة العربية، له مؤلفات وديوان شعر (ملاحم وأزهار) (إتمام الأعلام: ٣٧٥).

(٩٨) ملاحم وأزهار: ٣٣٢-٣٣٣.

(٩٩) الخميلة: الأرض السهلة المنخفضة التي يُشْبه نبتُها خملَ القطيفة. سادر: فاعل من سَدَرَ (الرَّجُلُ) في البلاد: ذهبَ فيها فلم يثنه شيء، واستعار الشاعر المادة للنيل على التشخيص.

(١٠٠) الشرُع: جمع شراع السفينة: قلعها (ويقال في الجمع: أشرعة).

قامت تناجى كالأوانس موقفاً في مجمع السّمَرِ اللطيف الهاني

- ووصف الفتاتين، وقد انشغلتا بملء جرة الماء من طرف النيل.

* * *

(١٠)

إذن: أثر ظهور فن التصوير وشيوعه، واهتمام الناس به، واستفادتهم منه في جوانب من العلم واللغة والأدب والفن، والاجتماع... إلخ، ووجدنا في آثار الشعراء والأدباء منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تسجيلاً لقطع شعرية نظمها أصحابها من وحي الصّورة الشمسية، وائتلف بعض الشعراء مع هذه الظاهرة فنظموا أكثر من قطعةٍ واحدةٍ لهذا الغرض.

وتفاوتت المنظومات بين القطعة التي لا تزيد على بيتين، وبين القصيدة. واسترسل بعض الشعراء إلى الكلام في فن التصوير نفسه، والثناء على بعض المبدعين فيه.

وانتقل بعض الشعراء إلى نَظم قطع تصوّرُ شخصيات مشهورة في أزمنتهم وبلدانهم، ونظموا في الصور الجماعية التي كانت تلتقط للذكرى في معهدٍ أو مدرسةٍ أو اجتماع، أو احتفالٍ أسري.

وبالغ بعضهم فوصف الطبيعة من خلال صورة شمسية متقنة، علماً أنّ المنظر الطبيعي المصور متاح للشاعر أن يراه مباشرة.

ولما ظهرت الخيالة أو (السينما) ظهر شعر يصف أشرطة الخيالة يوم أن كانت صامتةً، وبعد أن صارت: صوتاً وصورة.

وحقق الشعراء في هذه النصوص أغراضاً مختلفةً من شخصية، واجتماعية، وأدبية، وجمالية، ونفسية، وكثر فيها الحوار الذاتي: يلتفت الشاعر في القطعة إلى نفسه، ويتخذ موقفاً، أو يبدي رغبةً، أو يقدم رؤيةً، أو يستخرج عبرةً.

وقد يلتفت الشاعر إلى الذي أهديت له الصورة، فيقوم التفات من نوع آخر، وتبرز شخصية المُهدى إليه. ومن هذا الملمح ما نجده في قطعة لمعروف الرصافي[١٠١] مما كتبه «تحت صورةٍ فوتوغرافية أهداها إلى الأديب الكبير إسعاف النشاشيبي المقدسي»:

صفا لك فيَّ يا إسعاف ودٌّ ... صميمٌ ما لصحّته اعتلالُ
فخذْ تمثال ظلٍّ ذي ودادٍ ... يمثل صدقه لك ذا المثالُ
خيال حقيقةٍ، ولربّ شيءٍ ... يدلُّ على حقيقتهِ الخيالُ
ولست مماذقاً في الوُدّ خِلِّي ... إذا مَذقت مودّتها الرجالُ[١٠٢]
ومثلك من تُجاد له القوافي ... ويُحْمد في فضائله المقالُ!

فذكر الشاعر: الخيال، والمثال (الصّورة)، وجعل النص رسالة ودّ ومحبةٍ منه إلى المخاطب، ومثلما أثنى على خصال الصّديق أثنى هو على صدق مودته ووفائها؛ فودّه له ودٌّ صميم.. وحمّل الشاعر القطعة، وهي خمسة أبيات، ما يمكن أن تتسع له قصيدة مطوّلة.

وقد تكون الصّورة جزءاً من رسالة وطنية، أو دعاية سياسية، أو اجتماعيّة؛ كتب الأستاذ الشيخ مبارك الميلي[١٠٣] تحت صورته، في مقدمة أحد كتبه[١٠٤]:

إلى الشعب أهدي صورتي ورسالتي ... كذكرى لإخلاصي[١٠٥] له وجهادي
وأسدي له في العالمين نصيحةً ... أريدُ رضى ربّي بها وبلادي

(١٠١) ديوان الرصافي: ٥٠٣.
(١٠٢) مذقه: خلطه. ومذَقَ الودّ: شابه بكدر.
(١٠٣) مبارك الميلي (توفي نحو ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م): عالم مؤلف (أصله من ميلة قرب قسنطينة بالجزائر)، ولي أمانة سر جمعية العلماء الجزائريين. من كتبه (الجزائر) و(الشرك) (معجم المؤلفين ٣: ١٣).
(١٠٤) كما ورد في حاشية الصفحة ١٤١ من ديوان محمد العيد آل خليفة.
(١٠٥) في الأصل المطبوع: «للإخلاص» وهو يفسد وزن الشعر، فصوبته كما ترى.

وإن قبلَ الشعبُ الكريم هديتي ونصحي فقد أدركتُ كلّ مُرادي

– وكتب عبد الرحيم قليلات[١٠٦] تحت صورته بخطه، قطعة من خمسة أبياتٍ قال فيها:

كلنا أخوةٌ وما الوَطن الوا ... حدُ إلا بيتُ الإخاءِ العظيمُ
كلنا - إن صفت قلوبٌ - سليمٌ ... كلنا - إن وَفتْ عقولٌ - حليمُ

وهي قطعة تدعو إلى التسامح والإخاء الوطني في بلد لابد فيه من حسن التعايش، ومن الإخاء الصادق والمواطنة الصحيحة.

وكتب أنطوان ابن الشاعر وديع عقل تحت صورته[١٠٧]:

شبابيَ وقفٌ على مَوْطني وعلمي وما طاله ساعدي
سأنهج في العينين نهج الجُدود كما كان في عيشه والدي

والشعر مؤرخ في ١٩٤٠م.

* * *

(١١)

ولما كانت نُصوص استيحاء الصُّور قصيرةً فقد اجتهد الشّعراء في أن تكون عاطفيةً مؤثرةً، وذاتية متألقة، وقاصدةً لمّاحة ومُغرِّدةً صدّاحة.

ويلاحظ المتابع أنها نصوص تصْدُر في الغالب عن تألق ذهنٍ، وتوهج مشاعر، وانثيال عاطفة.

لقد جاءت هذه الظاهرة لتحرّك في الشعراء جوانب فنية ما كانت لتظهر لولا هذا الاختراع الجديد، والصنعة المدهشة، والنتائج الماثلة الحاضرة بين التقاط الصورة وتحقق انطباعها في دقائق قليلة، فإذا بالشاعر يرى نفسه على

(١٠٦) كان رئيس الشرطة في جمهورية لبنان حين نشر النص في (المثالث والمثاني) ٢: ٩٠ الذي صدر سنة ١٩٣٠م.

(١٠٧) في مقدمة الديوان: ص٣.

ورق التصوير أو يرى مَن بَعُد عنه حاضراً.

لقد عرفوا من قبل الرسم اليدوي (بأدوات الرسم والتلوين المختلفة)، وعرفوا النقش على الحجر، وصناعة الدمى والأيقونات، ولكنهم بعد هذا الاكتشاف (الذي كان في بداياته مدهشاً) صاروا أمام أثر حضاري جديد استحق منهم أن يُدخلوه في أشعارهم على وجوه شتى.

ونلاحظ هذا الاستغراق بين الفن الجديد، وبين حركة الشعر (الوجداني خاصّة) في مثل قطعة للغلاييني[١٠٨]:

هذه صُورتي تمثلُ خلَّا ذابَ شوقاً حتى غدا كالخلال
ولوَ انّي أسْطيع إهداء روحي مَعْ مثالي أهديتها مع مثالي!

ويغلب على مقطوعات هذا الشعر: السهولة، والبساطة، وسلاسة العبارة، ومُقاربة النثر. وتندفع أبياتُ القطعة سلسة سهلة قريبة المأخذ، لا تبتعد عن المباشرة إلا قليلاً.

ويقل إيراد الكلمات الغريبة، ويكون ذلك عادة في أعمال الشعراء الذين يحبون الجزالة، أو يدعونها تتسرب إلى المقطوعات التي تكون عادة خفيفة. ونقرأ في قطعة للرصافي بعث بها إلى صديقه عادل جبر المقدسي[١٠٩]:

إليك عادلَ جبرٍ رسمَ ذي مقةٍ من أصدقائكَ حيَّادٍ عن الفندِ
لو تدرك الشمس ما في القلب من شغفٍ لصوّرتْ لك وُدًّا حلّ في خلدي

فالمقةُ: المحبة، وحيّاد: صيغة فعّال من حاد عن الشيء: ابتعد، والفَنَد: الكذب والإتيان بالباطل. وأراد بالشّمس: آلة التصوير الشّمسي.

وهناك معانٍ ومقاصد غالبةٌ تداولتها أشعار الصور، مثل تسجيل نتائج تأمل

(١٠٨) ديوان الغلاييني: ٢٧٥.
(١٠٩) ديوان الرصافي: ٥٠٣.

الصور، وتفسير الابتسامة (التقليدية) في الصورة، وفكرة إبقاء الصورة (الأثر) وفناء صاحبها (العين)، والاستئناس بالصّورة التي يتلقاها الشاعر من حبيبٍ أو صديقٍ، والتعليق على صورِ الآخرين لمناسبة تطرأ، أو موقف يحدث.

ونقرأ لصالح بن علي الحامد العلوي، وقد كتب الشعر تحت صورته وأرسله إلى مجلة أبولو[١١٠]:

هذه صورتي إليك فلا تعـ ... ـجَبْ إذَنْ من بشاشتي وابتسامي
حاربتني أيامُ دهري، فضحكي حذَرٌ من شماتة الأيامِ!
هذه صورتي لديك ستبقى غضةً في شبابها كلّ عامِ
سوف تبقى ذكرى الشباب إذا غبـ ... ـتُ، وذكرى الحياةِ بعد حمامي
وإذا ما سموتُ في عالم الرُّو ... حِ ستحيا في عالمِ الأجسامِ

والشعر حَسَنٌ رائق في تسلسل أفكاره، ولطافة ألفاظه، وفي (بساطة) عرضه، وعاطفته، وتأمله في الحياة والموت.. وفيه صياغة مختصرة لكثير ممّا يتردد على ألسنة الشعراء في معالجة قضية الصورة، والتأثر بها، والوصل بين الشخصيّ والاجتماعيّ فيها.

وأوغلت قطعة لتوفيق بربر[١١١] وضعها تحت صورة من صوره في الواقعية والألفاظ المباشرة، فقد قال[١١٢]:

لا يجزعنّ حبيبي متى نزلتُ ضريحي
هذي القصائدُ عني تنوبُ بعد نزوحي
في الرسم صورة جسمي والنظم صورةُ روحي

(١١٠) مجلة أبولو – اكتوبر سنة ١٩٣٤ – ص:٢٣٧.

(١١١) توفيق بن جرجي بربر (١٩١١–١٩٩٨): شاعر لبناني من شعراء المهجر – البرازيل، له ديوان مطبوع.

(١١٢) ديوان توفيق بربر: ٣١٣.

وتقل الصنعة الفنية في أشعار الصور، كأنّ الشاعر - عادة - يكتفي بالتعبير المباشر القاصد، وبحرارة العاطفة على اختلاف أنواعها ودرجاتها، والترويح عن النفس من خلال القطعة المنظومة.

ونجد على قلةٍ بعض الصور والأخيلة ممّا لا يطغى على النص ولا يثقله، وقد تزيد «جرعة» البيان والبديع في النص على صغره. ونقرأ مثلاً من شعر الغلاييني(١١٣):

إذا طبعتْ رسمي ذُكاءُ كما ترى ... ليُعْرَض إخلاصي وحبي لتلك الحِمى
فقلبكَ شمسُ الحبّ أشرقَ نورُها ... على صفحات الطرسِ فانطبعت رسْما

وقال(١١٤):

غزالةُ الأفقِ تسْطو وهي هادئةٌ ... فتأسرُ الليثَ بين الجحفلِ اللجبِ
عجبتُ للأسد الضرغام تأسرُه ... رأدَ الضُّحا ظبيةٌ في غيلهِ الأشِبِ

وقد وضع الشاعر القطعة، مع غيرها، تحت عنوان: صور شمسية.

ويلاحظ القارئ مع ازدحام الألفاظ الغريبة (نسبياً بين نصوص الصور) والعبارات التراثية اعتماد الشاعر على الصورة الفنية من تشبيه واستعارة، وتكاد القطعة الثانية تكون غامضة المقصد لولا ورودها في سياق نصوص متوالية عن شعر الصور.

---

(١١٣) ديوان الغلاييني: ٢٧٤.

(ذُكاء: علمٌ على الشمس، والمراد بالحمى: ديار الأحبة، والطرس: الصّحيفة).

(١١٤) ديوان الغلاييني: ٢٧٤.

(الغزالة: الشّمس عند طلوعها. والجَحْفل: الجيش الكثير «وفيه خيل» يقال: جيشٌ لجبٌ؛ أي: فيه جلبة وكثرة. والضّرغام: الأسد الضاري الشديد. ورأد الضحى ورائده: وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء في شباب النهار. والغيل: الأجَمة وموضع الأسد. وأشِبَ الشجر: التفّ وكثر، فهو أشب).

ثم أقول: هذه النصوص الشعرية من قطعةٍ وقصيدةٍ عبرت عن حالٍ، أو موقفٍ، أو رؤية، أو انطباع، أو تأثر- على وجه من الوجوه - وأدّت للشاعر، والقارئ، في وقتها تعبيراً فنيًّا، ورسالة شخصيّة، وبوحاً نفسياً، ووصلاً اجتماعياً، ورؤية جمالية؛ ومشاركة من الأدب والفنّ (الشعر خاصّة) في أثر التصوير الشّمسي في الحياة المعاصرة.

وكان في هذه النّصوص من الالتفات إلى الذّات، والتعبير عن طبيعة الشخصية، وإبداء شيء من فلسفة الحياة مالا نجد مثله في قصائد مطوّلة، نظراً لتكثيف الفكرة، وتدقيق النظر، واختصار الكلام والاعتماد على اللمحة، وصراحة البوح، ودهشة المفاجأة.

نمطٌ من الشعر ارتبط بظاهرة من نتاج العلم في العصر الحديث. وفي الشعر الحديث أصداءٌ أخرى كثيرةٌ لما طرأ من نتائج العلوم المختلفة التي ظهرت منذ الثورة العلمية، وما تبعها من حركات صناعية وتطبيقية في وجوه الحياة.

* * *

(١٢)

لقد تعدّدت مقاصد الشعراء ورؤاهم، والبواعث على نظم هذه القطع والقصائد المستوحاة من الصّور الشمسية، ولكنهم جميعا تأثروا بهذا الجديد الذي قدّم لهم مادّةً رجعوا إليها للنظم، والتعبير عن المشاعر، والتنبيه على الخواطر.

وتأثروا في تسجيل ذلك كله بعوامل ذاتية، وخصوصيات تخصّ كلّ واحد فيهم، واستفادوا ممّا وقر في نفوسهم مما عرفوه في تراث الأمة الأدبيّ قديمه وحديثه.

ولامست بعض القطع ضرب المثل، أو صوغ الحكمة، أو إبداء الرأي الموصول بفلسفة الحياة والموت، والفناء والخلود.

وقد سبقت الإشارة إلى استفادة نسيب مكارم من شعر امرئ القيس:

فيا رسم ها إنا غريبان هاهنا «وكل غريب للغريب نسيبُ»

ومن هذا القبيل استفادة أنور العطار من الألفاظ والمعاني الإسلامية:

نتمنى الحياة بعد تمنٍّ وهي ليست إلا «متاعاً قليلاً»[١١٥]

وقد نظم رشيد شاهين عطية بيتين[١١٦]، ووضعهما تحت صورة له في مقدمة كتابه «الدليل إلى مرادف العاميّ والدخيل»، وهما:

ما العُمر إلا رحلةٌ محدودةٌ والمرء فيها: قدرهُ بفعالهِ

سقيا لمن يحيا ويُبقي بعده ذكراً له من علمهِ أو مالهِ

وقد استفاد الشاعر من الأثر المشهور: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علمٍ ينتفع به، أو ولد صالحٍ يدعو له»[١١٧]، وقد قال المتنبي[١١٨]:

ذِكرُ الفتى عمره الثاني، وحاجته ما قاته، وفضُولُ العيش أشغالُ

* * *.

(١١٥) ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة ورد فيها ذكر «المتاع القليل» انظر مثلاً البقرة: ١٢٦، وآل عمران: ١٩٧... إلخ.

(١١٦) رشيد شاهين عطية (١٨٨٢-١٩٥٦): كاتب، صحفي، مدرس، مؤلف، له شعر، سافر من لبنان إلى مصر، ثم إلى أمريكا، وأقام في سان باولو، وله كتابان باللغة العربية.
(أدبنا وأدباؤنا في المهجر - جورج صيدح - دار العلم للملايين - الطبعة الثالثة ٥٦٢-٥٦٣، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١: ٧١٧).

(١١٧) رواه مسلم وأبو داود..

(١١٨) ديوان أبي الطيب المتنبي «تحقيق د. عزام»: ٥٠٥.

المصادر والمراجع

- إتمام الأعلام - د. نزار أباظة ورياض المالح - الطبعة الثانية - دار الفكر: سورية - دار صادر - بيروت - ١٩٩٩.
- أدبنا وأدباؤنا في المُهاجر الأمريكي - جورج صيدح - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثالثة.
- الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - الطبعة الثانية.
- أعلام الأدب والفن - أدهم الجندي - الجزء الثاني - دمشق ١٩٥٨.
- الأعمال الشعرية الكاملة - نديم محمد - وزارة الإعلام - دمشق ١٩٩٧ - الطبعة الأولى.
- الأعمال الكاملة- ديوان عمر أبو ريشة - وزارة الثقافة - دمشق - صنعة فايز الداية ورفيقيه.
- تهذيب الألفاظ العامية - الشيخ محمد الدسوقي - الطبعة الثانية - القاهرة.
- تاريخ الصحافة العربية - فيليب دي طرّازي- أربعة أجزاء - طبع في بيروت بين (١٩١٣ - ١٩٣٣).
- تاريخ الأدب العربي - د. عمر فروخ - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الأولى.
- ترجمان الأفكار - قاسم الكستي - المطبعة الأدبية - بيروت - ١٨٨٦هـ.
- تكملة معجم المؤلفين - محمد خير رمضان يوسف - دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

- الجديد (معجم أسلوبي حضاري) محمد رضوان الداية – وزارة الثقافة – دمشق– ٢٠١٧.
- حديث العبقريات – عبد الغني العطري– دار البشائر – دمشق ٢٠٠٠م.
- خواطر الحياة – محمد الخضر حسين – حققه وعلق عليه: علي رضا الحسيني – الدار الحسينية للكتاب – الطبعة الرابعة – ١٤١٠هـ – ١٩٩٠ – دمشق.
- دراسات في الشعر الحديث – د. شوقي ضيف – دار المعارف بمصر – الطبعة الأولى.
- ديوان تذكار الصبا – نجيب سليمان الحداد – مكتبة ومطبعة جرجي غرزوزي – الإسكندرية – ١٩٠٥.
- الدر الفريد وبيت القصيد – ابن دقماق – عالم الكتب – الأردن – ٢٠١٣م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي – تحقيق د. عبد الوهاب عزام – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى.
- ديوان الأسمر – محمد الأسمر – القاهرة – الطبعة الأولى.
- ديوان ابن خاتمة الأنصاري – تحقيق محمد رضوان الداية – دار الفكر – دمشق – الطبعة الثانية – ١٤١٢هـ – ١٩٩٤.
- ديوان الخليل– دار مارون عبود – بيروت.
- ديوان الرصافي – دار العودة – بيروت – ١٩٨٦م.
- ديوان شوقي – عمل د. أحمد الحوفي – مكتبة نهضة مصر– القاهرة.
- ديوان الغلاييني – المكتبة العصرية – صيدا – لبنان – ١٩٩٣م.
- ديوان محمد الخضر حسين التونسي = خواطر الحياة.
- ديوان محمد العيد محمد علي خليفة – الجزائر – وزارة التربية الوطنية – توزيع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٣٨٧هـ.

- ديوان محمد العيد آل خليفة - دار الهدى - عين مليلة - الجزائر - ٢٠١٠.
- ديوان محمد الهاشمي البغدادي - جمع وإعداد د. عبد الله الجبوري - وزارة الإعلام - سلسلة كتب التراث (٥٩) سنة ١٩٧٧ - العراق.
- ديوان البزم (محمد البزم) - المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية - دمشق - ١٩٦٠.
- ديوان أحمد يوسف - حققه وقدم له د. مي يوسف - دار البشير للتوزيع - عمان - الطبعة الأولى.
- ديوان وديع عقل- منشورات مارون عبود - ١٩٤٠م.
- دعوة المجد (ديوان أحمد مظهر العظمة)- دمشق - ١٩٤٦م - الطبعة الأولى.
- ديوان خليل مردم بك - مجمع اللغة العربية بدمشق - الطبعة الأولى.
- ديوان علي الشرقي - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - ١٩٨٦م.
- ذكريات علي الطنطاوي - دار المنارة - جدة - الطبعة الأولى.
- ذي قار - تأليف عمر أبو ريشة - الناشر محمد صبحي اللبابيدي - مطبعة المعارف بحلب - الطبعة الأولى.
- الرسم والصورة والمثال والتمثال في شعر خليل مطران - محمد رضوان الداية - مجلة المعرفة - العدد ٥١٩ - كانون الأول ٢٠٠٦.
- شخصيات أدبية - عيسى فتوح - كيوان للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ٢٠٠٥.
- شعراء من دوما - معروف زريق وعمر طه - دار المعرفة - دمشق - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ظلال الأيام - أنور العطار - الطبعة الأولى المجدَّدة - الرياض - ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

- علماء الشام كما عرفتهم – محمد سعيد الباني الحسني – دار القادري – دمشق – الطبعة الأولى.
- علمتني الحياة – أنور العطار – عناية هاني أنور العطار – الرياض – ١٤٣٦هـ- ٢٠١٤م.
- الفجر الأول – (ديوان خليل شيبوب) – تحقيق محمد رضوان الداية – وزارة الثقافة – دمشق – الطبعة الأولى.
- فجر وشفق – د. عمر فروخ – دار لبنان للطباعة والنشر – بيروت – ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- فنون الأدب المعاصر في سورية – عمر الدقاق – دار الشرق العربي – بيروت الطبعة الأولى.
- كتاب الأمة (عدد خاص عن الدكتور عمر فروخ) – أحمد العلاونة – الدوحة – قطر – الطبعة الأولى.
- المثالث والمثاني – حليم دموس – مطبعة العرفان بصيدا – ج ١ سنة ١٩٢٦م، ج٢ سنة ١٩٣٠م.
- مرآة الغريبة – قاسم الكستي – المطبعة العمومية – بيروت – ١٨٦٣م.
- ملاحم وأزهار – محمد بهجة الأثري– القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٤م.
- المعجم العربي الأساسي – جماعة من اللغويين العرب – لاروس – ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- المعجم المدرسي – محمد خير أبو حرب – وزارة التربية – دمشق – الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- معجم المؤلفين السوريين – عبد القادر عياش – دار الفكر – دمشق – ١٩٨٥.

- معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – مؤسسة الرسالة – دمشق – الطبعة الأولى – ١٩٩٣.
- المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – القاهرة – الطبعة الثالثة.
- مفتي الشام العلامة محمود الحمزاوي – محمد وائل الحنبلي – رسالة جامعية – ٢٠٠٤– ٢٠٠٥ – مجمع الفتح الإسلامي – دمشق.
- المنهل (معجم فرنسي – عربي) – دار العلم للملايين – بيروت.
- المورد الوسيط – منير بعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت.
- الموشى (أو الظرف والظرفاء) لأبي الطيب الوشاء (أبي الطيب محمد ابن إسحاق) – دار صادر – بيروت – ١٤١٢هـ– ١٩٩٢.
- مجلة أبولو – مجلة فنية لخدمة الشعر الحي (لسان حال جمعة أبولو) – أكتوبر – تشرين أول ١٩٣٤م.
- المجموعة الشعرية الكاملة – إبراهيم ناجي – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – الطبعة الأولى.
- الموسوعة العربية – دمشق – الطبعة الأولى.
- نديم محمد – شاعر العناكب والمواكب (وقائع الندوة الثقافية) – إعداد وتوثيق د. إسماعيل مروة ونزيه الخوري – وزارة الثقافة – دمشق – ٢٠١٧م « بحث للدكتور محمد رضوان الداية».

.* * *

شفيق جبري واللغة

د. لطفية إبراهيم برهم(*)

نتخذ من إشارة «شفيق جبري» إلى قول أحد الأساتذة في كتابه (البشرية قبل التاريخ): «اليد، اللغة، هذه هي البشرية!»(١) مدخلاً للحديث عن علاقته باللغة، متجاوزين اليدَ، بوصفها عنوان تقدّم المنطق العملي، مسلّطين الضوء على اللغة، بوصفها عنوانَ تقدّم المنطق الفكري(٢)، وميراثنا الوطني الذي حفظ هويتنا من الضياع. يقول: «ولئن عبثت الأيام بمديد ملكنا في القديم فقد عجزت عن أن تعبث بميراثنا الوطني، وهو: اللغة، صارعت لغتنا لغات شتى تعاقبت على آفاقنا من قديم الدهر فصرعت هذه اللغاتِ بحذافيرها بعد أن سلبت حضارات أهلها أجمل جمالها وأحسن حسنها وتمكّنت في كثير من بقاع الأرض تمكّن الأحياء الذين صارعتهم الطبيعة وصارعوها ومارستهم ومارسوها فعجزت عنهم وتركتهم وشأنهم،

(*) أستاذة مساعدة في كلية الآداب - قسم اللغة العربية - جامعة تشرين - اللاذقية.

ورد البحث إلى مجلة المجمع بتاريخ ١٩/ ١٢/ ٢٠١٨م.

(١) شفيق جبري، أنا والنثر، محاضرات ألقاها الأستاذ «شفيق جبري» على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٠، ص١٥١.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص١٥١.

خرجت لغتنا من جميع مصائبها قوية في أصولها وفروعها، سليمة في تركيبها وبنيتها، فتّانة في أنغامها وموسيقاها...»[٣].

نتوقف في هذا المقبوس عند مجموعة من العلاقات تخصّ اللغة، هي:

أولاً: اللغة والهوية:

١- اللغة والهوية الوطنية:

انطلاقاً من عبارة أن ميراثنا الوطني هو اللغة، بوصفها عنصراً من عناصر الهوية التي تتحدّد في مفهومها الشامل بأنها «قيمة جوهرية في حياة الإنسان بوصفه كائناً ثقافيًّا قبل أن يكون كائناً بيولوجيًّا، وجوهرُ الهوية الانتماءُ، وهو الذي به يفارق الإنسان آدميّته الغريزية مرتقياً إلى آدميته المتسامية»[٤] = نجد أنّ اللغة هي جزء جوهريّ من الهوية الوطنية، والوطن الحيّ المتدفّق الذي يسكن قلب كلّ واحد منّا، وهذا يعني أننا إذا سلبنا البلادَ عنوانَ انتمائها الوطني، وهو اللغة، فكأننا سلبنا من كل فرد عنوان ذاتيته[٥]؛ لأن «للهوية علاقة بالتطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة بمجموعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة وجميع الأحوال، فهي تتعلق بكون شخص ما أو جماعة ما قادراً أو قادرة على الاستمرار في أن تكون ذاتها، وليس شخصاً آخر أو شيئاً آخر»[٦]؛ وبذلك نجد قِراناً تامًّا بين مفهوم الهوية

(٣) المصدر السابق، ص١٩.

(٤) د. عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط١، كانون الثاني/ يناير/ ٢٠١١، ص٦١.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص٦٤.

(٦) طوني بينيت – لورانس غروسبيرغ – ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط١، أيلول (سبتمبر) ٢٠١٠، ص٧٠٠.

الوطنية والمقوّم اللغوي؛ لأن اللغة، بما فيها من إحساس بالانتماء، هي الحامل الرمزي المشترك بين أبناء الانتماء الحضاري الواحد، وثابت من ثوابت الأمة، ومقوّم من مقوّمات الشخصية الوطنية الراسخة والانتماء الحضاري؛ لذا «يتحتّم السعي إلى تطوير اللغة الوطنية والارتقاء بها حتى تنهض بكفاية واقتدار بقضايا العلم والتقانة والفكر المعاصر خلقاً وإبداعاً وحتى تسهم عن جدارة في حضارة الإنسان»(٧)؛ وبذلك تكون اللغة العربية مقوّماً مهمًّا من مقوّمات تعيّن الهوية؛ لأن الشعور بالانتماء يضعف أو يزول من دونها. فاللغة، إذن، تحافظ على هوية الأمة، ومشاعرها، ونمط تفكيرها، وطرائق حياتها وثقافتها وإرثها الحضاري، مشكّلةً مقوّماً أساسيًّا مرتبطاً بفكرة العروبة ارتباطاً جذريًّا عبر تاريخها.

- **ثنائية (الأنا والآخر)**: وهي ثنائية مبنية على الصراع بينهما، «صارعت لغتنا لغات شتى تعاقبت على آفاقنا من قديم الدهر، فصرعت هذه اللغات بحذافيرها بعد أن سلبت حضارات أهلها أجمل جمالها وأحسن حسنها وتمكّنت في كثير من بقاع الأرض...». فلغتنا نحن لغة (الأنا) الوطنية صارعت لغات شتّى لغة (الآخر)؛ وبذلك أصبح مفهومُ الوطنية، بوصفه قرين المقوّم اللغوي، مفهوماً للمواجهة، وسلاحاً من أسلحة الدفاع عن هوية الأمة، ووسيلة من وسائل تأكيد امتدادها التاريخي. فاللغة، بوصفها ميراثنا الوطني - كما يرى «جبري» - تحمي الأنا من الضياع والاغتراب، وتردّ عليها توازنها في صراعها مع نقائضها، وتبقي عليها وحدتها في مواجهة ما يهدّدها بالتفتت، وتساعدها على دعم عناصر قوتها في حصار اللحظة التاريخية الإشكالية؛ وبذلك تكون الهوية ردّ فعل ضدّ الآخر،

(٧) د. عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، ص١٢١.

ونزوعاً لتأكيد الأنا بصورة أقوى في مرحلة الصراع؛ أي: إنها تبرز أكثر وأكبر ما يكون البروز في المجابهة والصراع، لأنها لا توجد دفعة واحدة، بل توجدها عملية تكوّن دائم، تقطعها الوقفات والأزمات.

ومن خصائص هذه الثنائية الشعور بقوة (الأنا) في حضور الآخر، وهو شعور ينسرب بأشكال مباشرة وغير مباشرة مع كل تعامل مع «الآخر» أو ثقافته أو إنجازاته الحضارية. فالأنا (اللغة) واحدة، والآخر متنوّع، ومتعدّد، ومتناقض، ومتنافر، بحضورها الخاص، وعليه يغدو وجودها المضاد للآخر صدًى منعكساً لغيابه، فيحقق خصوصيتها التي تحميها، أو أصالتها التي تصونها. كل ذلك يفضي إلى مركزية (الأنا = اللغة)، وإلى إثبات الذات ونفي الآخر؛ وبذلك تكون صورة (الأنا) أو النقيض الموجب، مقوّماً مهمًّا من مقوّمات الهوية. والحقيقة أنه ما من حضارة إنسانية ازدهرت وتألقت إلا كانت لغتها رمزاً لازدهارها ولتألقها؛ لذا نجد التحاماً رمزيًّا بين المنجز الحضاري العيني واللغة التي تعبّر عنه، وتجسّد ثقافته؛ وبذلك يتحقق التحام الهوية الثقافية حضاريًّا بالهوية اللغوية. ففي الهوية الثقافية تشتغل جدلية الأنا والآخر، وتعيد كلّ مجموعة بشرية تأويل ثقافتها من خلال اتصالاتها الثقافية. فالهوية الثقافية ليست معطًى جاهزاً ونهائيًّا، بل هي كائن حيّ يتحوّل ويتغيّر داخليًّا وخارجيًّا، إنها تغتني بتجارب أهلها وانتصاراتهم وتطلعاتهم، كما تغتني باحتكاكها سلباً وإيجاباً بالهويات الثقافية الأخرى. فالهوية الثقافية والحضارية لأمة هي الجوهر، والسمات المشتركة، والقسمات التي تميّز حضارة أمة من غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية طابعاً تتميّز به من الشخصيات الوطنية الأخرى؛ وبذلك تفتح هذه الهوية السياق على مفهوم صراع الحضارات.

٢- اللغة والهوية القومية:

يُعنى سؤال الهوية بطرائق محدّدة في تخيّل جماعات اجتماعية وتأسيسها والانتماء الجماعي إليها، فتكون الهوية، هنا، هوية جمعية، تضع مبادئ الوحدة والاستمرارية في الصدارة. إنها هوية يعمل منطقها لمصلحة الكمال والتماسك في ضوء العلاقة بما صار يُعرف بالذات الجمعية؛ إذْ تمّ تصوّر الجماعة بوصفها كياناً منسجماً متجانساً، وأمة ذات جوهر مشترك، أُنكر تعقيدها الداخلي وتشعّبها؛ إذ يمكننا أن نجد، أولاً، أن الصور الغالبة تنتمي إلى عائلة قومية واحدة، وجسد واحد، ودم مشترك، ووطن للجميع. وثانياً، كانت الجماعة تريد المحافظة على ثقافتها وتراثها وذكرياتها وقيمها وطابعها، لا سيّما فرادتها، عبر الزمن، وتنكر واقعية التغيّر والانقطاع التاريخيين؛ فأضفت قيمة إيجابية على الاستمرارية بين الأجيال والقوة الأخلاقية للتراث(٨).

ولا تفارق اللغة هذه العائلة القومية الواحدة في رؤية «جبري»، فالإحساس بالعزة اللغوية قرين طبيعي للإحساس بالعزة القومية، يقول: «اللغة أعظم شيء في حياة الأمة التي تتغنى بقوميتها وتجاهد في سبيل هذه القومية، وإذا ذهبت أشياء كثيرة من ميراثنا القديم فقد بقيت هذه اللغة التي طويت قلبي على حبها وفتنت بسحرها...، وإذا كنت أعجب من شيء فإني أعجب من هذه النغمة الشائعة، نغمة العامية في الكتابة، فكأن أصحاب هذه النغمة لا يفكّرون في عواقب مذهبهم، كأنهم لا يعلمون أن العامية إذا استفاضت ضعف باستفاضتها سلطان قوميتنا نفسه، فالعربية الفصيحة هي الزمام الوحيد الذي يشدّ أهلها بعضهم على بعض، فيؤلف بين أمصارهم

(٨) ينظر: طوني بينيت - لورانس غروسبيرغ - ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، ص٧٠١ـ ٧٠٢.

وينسّق شعورهم ويوحّد إحساسهم، على حين العامية تباعد بين أبناء هذه اللغة حتى يأتي زمان لا يفهم فيه أحد منهم أحداً»[٩].

لقد ربط «جبري» بين اللغة العربية الفصحى والقومية، منبّهاً على خطر العامية، أو اللهجات العامية التي اكتسحت المجال الحيوي للغة الفصحى: اللغة القومية، فغزت العامية في عصره أقلام الكتاب، وغزت العاميات في عصرنا منابرنا الإعلامية: السمعية والبصرية، وسكنتنا، كما غزت مجالسنا الفكرية؛ التدريس، وحواراتنا الثقافية. إن بقاء الوضع اللغوي على حاله، واستفحال ظاهرة التفكّك التدريجي الذي ينخر اللغة القومية سيُعقّدان مهمة ردم الفجوة الثقافية، التي ظللنا نسعى إليها منذ بداية النهضة الحضارية، وهو وضع أنتج أسئلة، أهمّها ما نجده على لسان عبد السلام المسدي بقوله: «كيف نتحدّث عن الموارد البشرية وتنميتها، أو عن التخطيط المستقبلي الشامل، ونحن نعيش انفصاماً بين أدوات المنظومة التربوية وشروط النهضة الحضارية؟ كيف نرقى إلى آليات الاستثمار في حقل التواصل؟ وكيف نُمسك بأساسيات اقتصاد المعرفة ومجتمعُنا العربي هو المجتمع الوحيد... الذي يتخرج فيه التلميذ من التعليم الثانوي، وهو عاجز عن تحرير عشر صفحات تحريراً سليماً: لا بلغته القومية ولا بلغة أجنبية؟»[١٠]. فمن المتعذّر على أي مجتمع أنْ يؤسس منظومة معرفية من دون أن يمتلك منظومة لغوية، شاملة، مشتركة، متجذّرة، حمّالة للأبعاد المتنوعة: فكراً، وروحاً، وإبداعاً. فاللغة هي الحامل الضروريّ المحايث لكلّ إنجاز تنموي؛ وبذلك تكون اللغة – بما هي موضوع للتعليم وللبحث وللإنتاج – ركناً

(٩) شفيق جبري، أنا والنثر، ص١٧٩-١٨٠.

(١٠) د. عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، ص٢٠، ٢١.

أساسيًّا في كل مشروع اقتصادي[١١]. واللغة المحدَّدة، هنا، هي اللغة الفصحى: اللغة القومية؛ لأن العامية تقوّض اللغة من داخلها، فتؤدي إلى تشظي اللغة العربية الفصحى، وزعزعة الأمن اللغوي الذي يعدّ جزءاً «لا يتجزّأ من الأمن القومي، ولا يقلّ أهمية عن الأمن الغذائي والأمن المائي»[١٢]. وهذا يعني أن قبول «تفتيت اللغة القومية هو الخطوة الأولى الحاسمة نحو قبول تفتيت الذات، وقبول تفتيت الهوية، فقبول تفتيت السيادة، ثم قبول تفتيت الأرض»[١٣]؛ وبذلك يكون مشروع التفتيت الثقافي قد اتخذ سبيله عبر تفكيك معمار اللغة العربية من داخلها، بتفتيت اللغة الفصحى إلى عاميات؛ أي: إن امتلاك السيادة الثقافية داخلياً وخارجياً يتوقف، في الأساس، على سيادة اللغة العربية الفصحى بين أبنائها؛ لأنها مقوّم مهمّ من مقوّمات الهوية العربية.

فاللغة القومية ليست مجرد وسيلة تعبير وتفاهم بين إنسان وآخر، بل هي، بحكم منطقها الداخلي وتاريخيّتها وبناها وتراكيبها، رابطة اجتماعية فكرية من الدرجة الأولى. يتبيّن ذلك من زوايا ثلاث من النظر يتكامل بعضها مع بعض: فاللغة أداة تلقي المعرفة، وأداة التفكير ورمزه وتجسيده، إنها الفكر نفسه في حالة العمل. فليس ثمة فكر مجرد بغير رموز لغوية، ولا تفكير إلا في الألفاظ. وبقدر ما تكون اللغة دقيقة حية منظمة يكون الفكر دقيقاً حيًّا منظماً. واللغة من جهة أخرى تمثّل ذاكرة الأمة، تختزن فيها تراثها، ومفاهيمها، وقيمها، فهي أداة التواصل بين الماضي والحاضر، كما

(١١) ينظر: المرجع السابق، ص٢١.
(١٢) المرجع السابق، ص١٣٧.
(١٣) المرجع السابق، ص٦١.

تمثل الذاكرة الحضارية، وقوام الشخصية، ومناط الأصالة. واللغة من جهة ثالثة أداة أساسية في حركة المجتمع ونموّه، وذات وظيفة اجتماعية وثيقة الصلة بهذه الأمة وبتطورّها المستقبلي.

أما العلاقة بين اللغة والمجتمع فهي علاقة متبادلة صميمية، لأن اللغة لا تتحرك من دون مجتمع يتحرك، ولأن المجتمع لا يتحرك من دون لغة حركية تماثله وتواكبه. واللغة العربية لهذه الأسباب جميعاً تتصل بميادين ثقافية عدّة هي من أكثر الميادين خطراً وشأناً: ففيها الخصوصية القومية، والوحدة السياسية، وحيوية الفكر العلمي، والإبداع الأدبي والتراث والاستمرارية الثقافية...، اللغة العربية هي أبرز مظاهر الثقافة العربية، وأكثرها تعبيراً وأثراً، بوصفها وعاء الوجدان القومي، فلا ثقافة قومية من دون لغة قومية. والمناطق الثقافية الكبرى والصغرى، إنما يربطها بعضها ببعض الوحدة اللغوية في الدرجة الأولى، وكثيراً ما تندمج خلائط عرقية متباينة في إطار ثقافة قومية واحدة نتيجة للعامل اللغوي والاجتماعي الموحد(١٤). فاللغة الفصحى تحقّق الخصوصية القومية، والوحدة السياسية، والاستمرارية الثقافية، محقّقة بذلك الهوية الثقافية والحضارية للأمة العربية؛ وبذلك تكون اللغة مقوّماً مهمًّا من مقوّمات الهوية: الوطنية والقومية، وحاملة التراث الثقافي والحضاري، وآلة النتاج المعرفي والإبداعي، يتطلّب الحفاظ عليها، والنهوض بها، والعمل على أن تكون وافية بمطالب العصر متسعة لحاجاته وثورته المعرفية، فضلاً عن التقدّم المذهل في مجالات العلوم والتكنولوجيا، يتطلّب ذلك كلّه - كما يرى المسدي - «أن يكون لمجمعها من سلطة القرار ومرجعية الرأي ما يجعله قادراً على الفعل

(١٤) ينظر: د. عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، ص١٣٤، ١٣٥.

والعمل، وهو الأمر المتحقّق بالفعل بالنسبة إلى عدد من المجامع اللغوية العربية، فللمجمع... رأي، ولهذا الرأي وزن، ولا بدّ من التمكين لهذا الرأي حتى يمارس دوره ويحقّق فاعليته»[١٥]؛ وبذلك يقترن وجودنا التاريخي والجغرافي بالوجود الثقافي، هذا الوجود الذي يحدّد خصوصيتنا الثقافية، ويشكّل هويتنا وانتماءاتنا أمام الآخرين في ظلّ ما يسمّى اليوم بالثقافة المعولمة، بوصفها «بشيراً بأزمة هوية. وغالباً ما تكون استجابة مَنْ يشعرون بأن هوياتهم تتعرض للتقويض على هذا النحو هي التمسك بهوياتهم وثقافاتهم («التقليدية») المألوفة وإعادة تأكيدها»[١٦]؛ أي: إن وجودنا، بوصفنا مجتمعات عربية في التاريخ والجغرافيا، مرهون بالمقام الأول بوجودنا الثقافي الذي يضمن للأمة الاستمرارية التاريخية، ودرجة عالية من التجانس والانسجام بين السكان في الوطن العربي، والهوية القومية والوطنية التي تحافظ على صورتنا أمام الأمم الأخرى؛ وبذلك يكون مفهوم الهوية مفهوماً متحرّكاً، وهو في حالة بناء دائم من خلال الوضعيات التي يكون فيها الأفراد، والجماعات، ونوعية العلاقات الموجودة بينها، وفي كل تلك الوضعيات وما يحدث داخلها من علاقات، يقوم شعور الانتماء بوظيفة مهمة هي تأكيد الهوية، ورسم ملامحها.

ثانياً: اللغة والتطور:

بيّن «جبري» أن علماء اللغة في القديم، اجتهدوا في حصر اللغة حتى لا تتقاذفها مهابّ الأطوار التي طرأت عليها، فاستعصت اللغة عليهم،

(١٥) المرجع السابق، ص١٤٣.

(١٦) طوني بينيت – لورانس غروسبيرغ – ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، ص٧٠٤.

ومضت في سبيلها لا تلوي على شيء، خاضعة في ذلك لتأثيرات بيئتها الجديدة، ولما نشأ في هذه البيئة من عوامل كثيرة، كعامل الحضارة، والاجتماع وغيرهما[١٧]، وهما عاملان مهمّان استند إليهما «جبري» في حديثه عن تطوّر اللغة؛ لأنها تتأثر بالبيئة والمجتمع والحضارة، تأثراً يمسّ اللغة العربية الفصحى: اللغة القومية، بوصفها الرمز الأعلى المعبّر عن الهوية في الوعي الفردي، والوعي الجمعي، وهي لغة تؤهّلها طبيعتها الحية لاحتضان الثورة المعرفية عبر الآليات الآتية:

١- المشتقات:

يرى «جبري» أن وجود المشتقات في اللغة العربية أسهم في عدم التنقيب عن المفردات الميتة، أو الألفاظ الحوشية الغريبة، لاستعمالها في بعض كتاباته؛ لأنها، برأيه، لا تناسب روح العصر الذي يعيش فيه. فاللغة ليست جامدة، بل هي حيّة، لها حركتها الدالة على حركة الذهن. يقول: إن للغة «صيغاً شتى تدلّ على المعاني المختلفة، فقد رزقت حركة غريبة وأبعد الله عنها الجمود، وكلّ صيغة من هذه الصيغ مثل: استفعل أو فاعل أو تفاعل... أو غير هذه الصيغ إنما تدلّ على حركة خاصة من حركات الذهن، وعلى هذا الشكل نجد الذهن يتحرّك نشاطه ولا يجمد، فهو يخلق لكلّ معنى من المعاني صيغة خاصة، فإنَّ طلب الغفران مثلاً يُعبَّر عنه باستغفر، أي: بفعل واحد، وأظنّ أن بعض اللغات لا بد لها في هذا المعنى من اللجوء إلى مادتين أو أكثر. وكذلك نجد مثل هذا الخصب في أسماء المكان والزمان والآلة...»[١٨]. فـ «جبري» لا يستعمل في كتاباته ألفاظاً لا تناسب روح العصر، كما يفعل بعض أساتذة

(١٧) ينظر: شفيق جبري، أنا والنثر، ص١٤٨.

(١٨) شفيق جبري، أنا والنثر، ص١٤٧-١٤٨.

اللغة الذين يستظهرون معاني المفردات، ولا ذوق لهم في الكتابة، وهم بمنزلة معجمات متحركة[١٩]. فبتوليد المشتقات، إذن، نحن قادرون على إيجاد المفردات والتراكيب العربية السليمة التي تحيط بكل حاجاتنا التعبيرية، من دون اللجوء إلى الألفاظ الميتة أو الحوشية.

ولم يكتفِ «جبري» بذلك، بل التفت إلى مراقبة النسبة الروحية بين المادة ومشتقاتها، وهي نسبة أو صلة روحية محمولة إما على حقيقة المعنى، وإما على المجاز؛ لأن المادة ومشتقاتها تعيش في أسرة لغوية واحدة[٢٠]، وهو التفات يفتح السياق على نظرية الحقول الدلالية، بوصفها مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع تحت لفظ عام يجمعها[٢١].

٢- التطور الدلالي للألفاظ:

فُتِنَ «جبري» بتتبّع التطوّر والنموّ في عالم اللغة، مسلّطاً الضوء على نقل معاني الألفاظ من وجه إلى وجه، كما نقلت بعض معاني ألفاظ الجاهلية في الإسلام، وكتب اللغة، كالمزهر وغيره، قد ملئت بهذه الألفاظ التي حُوِّلت معانيها كالإسلام، والصلاة، والصوم، والزكاة...إلخ[٢٢]، الأمر الذي دفعه إلى الاهتمام بالمصادر وتطوّر معانيها، فبعضها ثابت على أصل معناه، وبعضها ينتقل من معنى إلى معنى، وبعضها يموت. فـ «جبري» يتتبع في حياة الألفاظ ميلاد بعضها، وموت بعضها الآخر، كما يتتبع انحراف

(١٩) ينظر: المصدر السابق، ص١٤٧.

(٢٠) ينظر: المصدر السابق، ص١٤٧-١٤٩.

(٢١) للاطلاع على نظرية الحقول الدلالية ينظر: د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ساعدت جامعة الكويت على نشره، د. ط، ود. ت، الفصل الرابع، ص٧٩-١١٣.

(٢٢) ينظر: شفيق جبري، أنا والنثر، ص١٤٧-١٤٩.

بعض الألفاظ عن معانيها، ودخولها في المعاني الجديدة، وهذا يعني أن للغة عالمها الذي يشبه عالم الطبيعة[٢٣]؛ وبذلك يكون «جبري» قد مثّل اللغة بالكائنات الحية، إذْ يجول مفهوم الحياة ومفهوم الممات، وبينهما مفهوم البقاء إذا اجتمعت مقوّماته، ومفهوم الفناء إنْ تحتّمت دواعيه. ولكن هذه التجليات المختلفة لتطوّر اللغة شأنها شأن «النشأة» حين نستكشف ظروف «ولادة» اللغات بعضها من بعض - لا تحصل في المدى الزمني الذي يحيط به إدراك الفرد الآدمي، ولذلك صعبَ الوعي بها، بوصفها حقائق تتنزّل على الواقع اللغوي كما نعيشه، واقتصر الوعي على ما مضى في الزمن المنقضي سابقاً[٢٤]؛ وبذلك يكون «جبري» واعياً بما يتصل بموضوع حياة اللغة، من حيث عوامل بقائها ودوامها، أو أسباب اضمحلالها وانقراضها، متمنّياً إنشاء معجم يتابع الألفاظ كتابيًّا ودلاليًّا[٢٥]، مبيّناً أنّ الكتّاب والشعراء هم متعهّدو اللغة، ومتفقّدوها الذين زادوا في محاسنها وفتنتها، وهم المعنيون بمسألة اللغة قديماً وحديثاً. يقول: «... فرحم الله كتّاباً وشعراء تعهّدوها وتفقّدوها فزادوا في محاسنها وفتنتها»[٢٦]، ويقول: «لئن ذهب بلغاء كتّابنا في القديم لقد بقيت آثارهم على وجه الدهر، وبقيت اللغة التي خلّدوا بها هذه الآثار. وكم أشعر بألم إذا قابلت بين غيرة كتّابنا في القرن التاسع عشر على هذه اللغة وبين تهاون كثير من كتّابنا في هذا العصر بأمورها! فقد انحدرت الأذواق وضعف الشعور، فأصبحنا لا

(٢٣) ينظر: المصدر السابق، ص١٤٩، ١٥٠.

(٢٤) ينظر: د. عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، ص١١.

(٢٥) -شفيق جبري، أنا والنثر، ص١٣٩.

(٢٦) المصدر السابق، ص١٥١.

نعنى بما نكتب ولا نبالي بزلات أقلامنا ولا نمشي على آثار بلغائنا»[٢٧]، مستشهداً على غيرة كتّابنا بـ «قدامة بن جعفر» الذي ركّز مجهوده في كتابه (نقد الشعر) على تخليص جيّد الشعر من رديئه؛ لأن الناس يخبطون في علم جيّد الشعر من رديئه، منذ تفقّهوا في العلم، فقليلاً ما يصيبون[٢٨]، متسائلاً: إذا كان الناس يخبطون في مثل هذا الأمر على أيام «قدامة بن جعفر» فكيف يكون خبطهم فيه على أيامنا هذه؟ ومن المؤلم أن اتساع العصر في مذاهب الثقافة، وسرعة الحياة، والاهتمام بتكاليفها، كلّ هذا قد زاد في الخبط الذي ألم منه «قدامة» في الماضي، فلم نعد نعتني باللفظ حتى أصبحنا نعتقد أن هذا الاعتناء إنما هو من عَرَض الأمور لا من جوهرها، ولم نعد نعرف ما لوضع اللفظ في مواضعه من جليل الشأن في أمور الفنّ ذاتها، وفي الحياة كلّها، فأكثر ما نشهده في عصرنا هذا ممّا نسميه سوء التفاهم إنما هو ناشئ من سوء فهمنا لوجوه اللفظ، وما أصدق ما قاله إمام من أئمة كتّاب الغرب من أن البشر يتناحرون؛ لأنهم لا يتفاهمون! إن وضع اللفظ في مواضعه رأس قواعد الفنّ. ومن هنا يتبيّن لنا خطأ هؤلاء الكتّاب الذين يفردون في بعض كتبهم أبواباً يشحنون فيها ألفاظاً مجرّدة، متقاربة في المعاني، حتّى يسهل على القارئ الاستعانة بها في مقتضى الحال، فكأنهم لا يعلمون أن اللفظ لا تظهر محاسنه أو مساوئه إلا في مواضعه من الاستعمال، أما تجريده من هذه المواضع فما هو إلا علامة موت هذا اللفظ.

وقد بلغ من قلّة عنايتنا باللغة في العصر الذي نعيش فيه أن بعض

(٢٧) المصدر السابق، ص ١٧٩-١٨٠.

(٢٨) ينظر: أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص٦١، ٦٢.

الشباب من شعرائنا قد بطلت في معتقدهم مسألة اللغة؛ معنى هذا أنه يجوز لشاعر هذا العصر أن يقرن لفظاً بأي لفظ يريد، وأن يضيف لفظاً إلى أي لفظ يشاء، سواء أكان في ذلك شيء من التناسب أم لم يكن، ولست أدري كيف يكون مصير الذوق الفني إذا رسخت مثل هذه الآراء في الأذهان، لا بل كيف يكون مصير اللغة نفسها[٢٩]. فاللغة تقوى وتحضر بقوّة الذين ينتمون إليها وحضورهم، وتضعف بضعفهم، فإن شكا «جبري» من ضعفها في زمنه، فما قولنا نحن اليوم؟.

٣- بقايا الفصاح:

إنّ الربط بين اللغة العربية الفصحى والهوية القومية في معالجة مسألة اللغة لدى «جبري» ينمّ على وعي لغوي، مصاحِبٍ للتمييز بين العامية، بوصفها العدوّ الداخلي الأكبر لتفتيت اللغة العربية، وبقايا الفصاح التي اهتمّ الكاتب بطائفة من ألفاظها كان ينقّب عنها، فجمعها، واستعملها في كتاباته، وهي «الألفاظ التي استفاضت في العامة وأصلها فصيح، إلا أنها مع تعاقب السنين عليها تباعد عنها فريق من الكتّاب، فذهب وهمنا إلى أنها عامية»[٣٠]. ولهذه الألفاظ قوة غريبة في حياتها، فقد خلّفها الماضي، وتداولتها العامة فلم تفقد شيئاً من حياتها على الرغم من اختلاطها بألفاظ أعجمية انحدرت إليها من الأمم التي انبسط سلطانها على هذه البلاد أو على بلاد العرب عامة. جمع «جبري» طائفة من هذه الألفاظ، يرجع إليها من حين إلى آخر، فتنطوي له أحقاب بعيدة، ويرى في تضاعيفها حياة بلد بأجمعه؛ إذْ إنها تفصح عن ناحية من نواحي الاجتماع أو الاقتصاد، أو عن

(٢٩) ينظر: شفيق جبري، أنا والنثر، ص ١٣٦-١٣٧.

(٣٠) المصدر السابق، ص١٥٢.

معنى من المعاني النفسية أو المادية، أو غير هذا كلّه، ولهذه الألفاظ، أيضاً، منزلة رفيعة وسلطان قوي في الأدب، لصلتها بالعامة على تراخي السنين، ولامتزاجها بألسنتهم، وإذا لزمنا أن نخاطب الناس على مقادير عقولهم حتى يكون لكلامنا تأثير في هذه العقول فيلزمنا أن نخاطب العامة بألفاظهم التي يأنسون بها، فالكلمة التي تأنس بها تعمل في القلب أو في العقل أو في النفس غير العمل الذي يعمله الكلام المستوحش(٣١).

وبذلك نجد إشارةً واضحة إلى البحث عن هذه الألفاظ التي استفاضت في العامة، وأصلها فصيح؛ لأنها تنفتح دلاليًّا على حقب بلدان، فتضيء لنا سياقاتها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والحضارية، محتفظةً بحياتها على الرغم من اختلاطها بألفاظ أعجمية، انحدرت إليها من الأمم التي انبسط سلطانها على هذه البلاد، أو على بلاد العرب عامة. ليس هذا فحسب، بل إن لهذه الألفاظ منزلة رفيعة في الأدب، لأنها تحقق التواصل بين المبدع والمتلقي. وعلى الرغم من أن «جبري» مدح سيد الكتّاب: الجاحظ، الذي تغلغل إلى روح العامة، فمال إلى مصطلحاتهم وانبسط إلى تعابيرهم، لا يحرّض على استعمال الألفاظ العامية، أو على الخروج على قواعد الإعراب في بعض المواضع، فما يجوز للجاحظ لا يجوز لـ «جبري»، ولا لغيره، فهو سيد اللغة بحذافيرها، لا تفلت منه لفظة منها، وإنما مدار كلامه على إحياء طائفة من الألفاظ العامية التي لها أصل فصيح، وتدل على بعض المعاني الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو النفسية، أو غير ذلك، وقد حافظ قسم من هذه الألفاظ على معناه الأول، فلم ينشأ تفاوت بين المعنيين: الفصيح، والعامي، وقسم منها عدّل بعض التعديل

(٣١) المصدر السابق، ص١٥٢.

ولكن بنسبة بين المعنيين مستحكمة على الرغم من هذا التعديل، متوقفاً عند بعض دلالات هذه الألفاظ في القاموس المحيط، وفي الاستعمال العامي، مبيّناً أن بين المعنيين: الفصيح، والعامي، نسبة واحدة، فلا فرق بين معناها الفصيح ومعناها العامي، من ذلك قولهم: نغش له قلبي، أي: انبسط إليه، وأنس به. وفي القاموس المحيط: وهو ينغش إليه؛ أي: يميل. فهذه المادة لم تفقد شيئاً من صلتها بأصلها اللغوي، فما زالت على معناها الأول دون أن يدخلها شيء من التعديل(٣٢).

ليس هذا فحسب، بل توقف «جبري» عند بعض التراكيب التي تستعملها العامة في كلامها، وهي فصيحة؛ وبذلك يكون هدفه إحياء طائفة من بقايا الفصاح سواء أكانت هذه البقايا مفردات أم تراكيب، وقد يكون في هذه الألفاظ دليل قوي على فصاحة اللغة في الشام أو على قربها من الفصاحة.

قد نسمع في عصرنا هذا من العامة مفردات وتراكيب جرت بها ألسن الناس من ألف سنة، ولو سلمت ألسنتنا في خلال هذه الألف السنة من الفساد الناشئ عن مخالطة الأعاجم لكانت لغتنا العامية في عصرنا قريبة من لغة الأدب، فما كنا نشعر بتباعد اللغتين، وهو تباعد يرى «جبري» أنه يزول أثره بعض الشيء في مستقبل الأيام بفضل أمور كثيرة، كالجرائد، والمجلات، والمدارس، ودور الإذاعة وأمثالها. وإذا قارنا بين لغتنا العامية في هذا اليوم ولغتنا العامية من نصف قرن فإنا ندرك الفرق بينهما، فلا شك في أن العربية العامية تقرب كل يوم من لغة الأدب(٣٣). فالهدف، إذن، «ليس النزول بالفصيحة إلى مستوى العامية، بل الارتفاع بالعامية إلى ما يقرب من

(٣٢) ينظر: شفيق جبري، أنا والنثر، ص١٥٢-١٥٦.

(٣٣) ينظر: المصدر السابق، ص ١٥٦-١٥٨.

الفصيحة، مع ملاحظة أن استعمال فصاح العامية لا يكفي وحده لرفع مستوى الخطاب اليومي الشفهي، بل لا بدّ من مراعاة تركيب الجملة العربية بما لا يتعارض مع قواعد النحو والصرف العربيين، ومراعاة نطق الحروف من مخارجها الأصلية»[٣٤].

فهدف «جبري» من الجهود اللغوية التي بذلها هو رفع مستوى السلامة اللغوية، سعياً منه إلى ردم الهوة بين العامية والفصحى، وصولاً إلى مستوى من الخطاب اليومي الشفوي ينجو من ركاكة العامي وخطئه؛ وبذلك يكون «جبري» قد عمّق الوعي بأهمية اللغة العربية الفصحى في حياتنا ومستقبلنا؛ لأنها تحقق هذا التواصل والاستمرار اللغوي بين أبنائها منذ أقدم نصّ مكتوب وحتى أحدث ما أنتجه عصر الحاسوب والشبكة العالمية للمعلومات. فهل غير اللغة العربية ما يوحّد أبناءها أمام الأخطار والصعاب في زمن أصبح المتباعدون فيه لغة وتاريخاً وتراثاً يتجمّعون ويحتشدون طلباً للمصلحة ورغبة في الوصول إلى القوّة؟.

خاتمة:

بناءً على ما سبق نجد أن «شفيق جبري» من المعنيين بمسألة اللغة العربية الفصحى، بوصفها مكوّناً مهمًّا ثابتاً من المكوّنات التي تحدّد الهوية الوطنية والقومية والثقافية والحضارية للأمة العربية، مع لفت الانتباه إلى أن مفهوم الهوية مفهوم متغيّر، متحرّك، وهو في حالة تغيّر دائم، لارتباطه بالمجتمع. كل ذلك يعني أن الهوية تحتاج إلى صياغة، وتشكيل، وتنمية، عبر التفاعل مع السياقات الجغرافية، والتاريخية، والاجتماعية، والسياسية

(٣٤) ينظر: د. ممدوح خسارة، معجم فصاح العامية من لسان العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، مقدمة المؤلف.

والثقافية، فتكون مرنة بالقدر الذي يمكنها من الحضور في الواقع؛ وبذلك تكون الهوية «مجموعة من الخصائص التاريخية واللغوية والنفسية التي تفصل بين جماعة وأخرى، الأمر الذي يجعلها تخرج من إطار الثبات، لكونها نتاج حركة متعاقبة لجملة من الشروط التي تفرض على كل مرحلة مجموعة من التحولات النوعية في المجتمع، فتؤدي إلى حدوث نوع من التوازن والاستقرار بين القديم الموروث والجديد الذي يسعى لتعيين وجوده. ولكي نعي هذا التغيّر والتطوّر لا بدّ من وعي الخلفية التاريخية التي ولدت هذا التغير، والعوامل التي أسهمت في حدوثه»(٣٥).

إن وعي التغير والتطور في سياقاتهما التاريخية يجسّد التحول الذي أصاب المجتمعات العربية، بوصفه الانتقال من الوحدة إلى التعدّد الذي أصبح الهدف العالمي. والهدف الوحيد في هذا التحول هو ما خلقته الهوية من أهمية متنامية على الساحة العالمية، لأن كلّ ما يسمّى الأمة يمسّ التجسيد الحضاري للهوية الثقافية القومية، بوصفها الهوية المشتركة التي تجمع أبناء الوطن العربي، وهذا لا يعني إقصاء الهويات الوطنية الأخرى وإلغاءها، ولا يعني فرض نمط ثقافي معيّن من الأنماط الثقافية المتعدّدة الأخرى. فالوظيفة التاريخية لهذه الثقافة هي وظيفة التوحد المعنوي والروحي والعقلي، والارتفاع بالوطن، وإيجاد أسباب الانفتاح على الثقافة والهوية الخارجية؛ لأن التنوع لا يلغي الوحدة العربية، ويبقي اللغة مقوّماً من أهمّ مقوّمات تعيّن الهوية الحاملة شعور الانتماء الذي يضعف أو يزول من دونها، وبذلك تحافظ على الأمة، ومشاعرها، ونمط تفكيرها، وطرائق

(٣٥) عهد كمال شلغين، الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع: دراسة في الفكر العربي المعاصر، وزارة الثقافة – الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٥، ص٧.

حياتها، وثقافتها، وإرثها الحضاري؛ بمعنى أنها مرتبطة بفكرة العروبة ارتباطاً جذريًا.

أما العلاقة بين اللغة والتطور فهي علاقة تجسّد اللغة، بوصفها كائناً حيًا، يتجدّد بآليات حدّدها «جبري» بالمشتقات، والتطور الدلالي للألفاظ، وبقايا الفصاح، وهي آليات تؤهّل اللغة العربية الحية لاحتضان الثورة المعرفية العالمية، ناقضة رأي مَنْ يتهمونها بالجمود، وبعدم قدرتها على مسايرة تطور العصر، وتؤهّل المشتغلين عليها لإنشاء معاجم دلالية ترصد تطور الالفاظ دلاليًا، على وفق نظرية الحقول الدلالية.

* * *

المصادر والمراجع

- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ساعدت جامعة الكويت على نشره، د. ط، وت.
- شفيق جبري، أنا والنثر، محاضرات ألقاها الأستاذ «شفيق جبري» على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٠.
- طوني بينيت – لورانس غروسبيرغ – ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط١، أيلول (سبتمبر) ٢٠١٠.

- عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط١، كانون الثاني/ يناير/ ٢٠١١.
- عهد كمال شلغين، الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع: دراسة في الفكر العربي المعاصر، وزارة الثقافة – الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٥.
- قدامة بن جعفر (أبو الفرج)، نقد الشعر، تحقيق وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ممدوح خسارة، معجم فصاح العامية من لسان العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

* * *

ديوانُ الشَّابِ الظَّرِيف
نَظَرَاتٌ نَقدِيَّةٌ... ومُستَدرَكٌ ثَانٍ

د. عباس هاني الجرَّاخ(*)

محمد بن سليمان التلمسانيّ، المشهور بـ(الشَّاب الظَّرِيف)، وُلِدَ في القاهرة سنة ٦٦١هـ، وانتقل مع أبيه إلى دمشق، وعاشَ في كنفِهِ، ودرسَ على يديْهِ، وعلى عددٍ من أعلامِ عصرِهِ، واشتهرَ بِخَطِّهِ الجَميْلِ الذي نَسَخَ بِهِ دِيوانَهُ، وقد رأى أثيرُ الدين أبو حيَّان الأندلُسيُّ (ت ٧٤٥هـ)هذا الديوان ووصفهُ بأنَّهُ «في غايةِ القوّة والقلم الجاري»(١)، وتَركَ - فَضلاً عن ديوانِهِ - عدداً من المقامات، وكانت وَفَاتُهُ سنة ٦٨٨هـ، ولمْ يَتَخَطَّ السابعة والعشرين مِن عُمرِهِ.

وكانَ مِن أهميَّةِ ديوان الشَّاب الظَّرِيف أَنْ نُشِرَ وحُقِّقَ - على وَفْقِ إحصَائِنَا - على النَّحوِ الآتي:

١- ديوان الشَّاب الظَّرِيف، بيروت، ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م.

٢- ديوان الشَّاب الظَّرِيف، تصحيح حسين بن أحمد المرصفيّ، المطبعة الكستمليَّة، القاهرة، ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م.

(*) باحث من العراق.

ورد البحث إلى مجلة المجمع بتاريخ ٧/ ١١/ ٢٠١٨م.

(١) الوافي بالوفيات ٣/ ١٣٠، تاريخ الأدب العربي ٥/ ٥٧.

٣- «ديوان اللوذعي الأديب والجهبذ الألمعيّ الأريب مَن سجعت على أغصان فصاحته رقائق المعاني» تحرير محمد سليم الأنسيّ، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م.

٤- ديوان الشَّاب الظَّرِيف، القاهرة، طبع حجر، ١٢٨١هـ/ ١٨٩٠م. ٦٤ ص.

٥- ديوان الشَّاب الظَّرِيف، القاهرة، ١٢٨٧هـ/ ١٨٩٨م.

٦- ديوان الشَّاب الظَّرِيف، المطبعة الأهلية، بيروت، ١٣٠٣هـ.

٧- ديوان الشَّاب الظَّرِيف، المطبعة العثمانيَّة، القاهرة، ١٣٠٨هـ/ ١٩٠٠م.

٨- ديوان الشَّاب الظَّرِيف، المكتبة الأهلية، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

٩- ديوان الشَّاب الظَّرِيف، المطبعة المحمودية، القاهرة، د.ت.

١٠- ديوان الشَّاب الظَّرِيف، حقَّقهُ وأعدَّ تكملتَهُ وفسَّرَ ألفاظَهُ شاكر هادي شُكُر، وطُبِعَ في:

أ- النجف الأشرف، مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م. ٣٠٢ ص.

ب- بيروت، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ٣١٩ ص.

١١- ديوان الشَّاب الظَّرِيف، قَدَّمَ لهُ وشَرَحَهُ ووضَعَ فَهَارِسَهُ د. صلاح الدين الهواريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ٤١٩ ص.

قلتُ: إنَّ الطبعات الأُوْلَى المطبوعة على الحجر مجتمعةً سقيمة، إذْ شابها التحريفُ والتَّصحيفُ والأسقاطُ والنَّقْصُ الكبير؛ لاعتمادِ نَاشِرِيْهَا على مَخطُوطَةٍ وَاحِدَةٍ، أو مخطوطتين على أكثر الأحوال، وعدم معرفتهم بعضَ مصطلحات العصرِ الذي عاش فيهِ الشَّاعرُ.

وكانَ لا بُدَّ من ظهور نشرةٍ علميَّةٍ يرجع فيها مُحقِّقُهَا إلى مخطوطاتٍ

أكثر، تُبرِزُ رَونَقَ شِعرِ الشَّاعر على وجهِ الصِّحَّة، موثَّقاً من المظانِّ العلمية، وهذا ما حَدَثَ.

وأعني بذلكَ التحقيق الذي قامَ بهِ شاكر هادي شُكُر[٢] سنة ١٩٦٧م، واعتمد فيه على مخطوطتين تقبعانِ في المكتبة الظاهرية بِدِمشق، برقمي ٥١٢٦ و٤١٥١، فضلاً عن رجوعِهِ إلى ثلاث من طبعاتِهِ السابقة، كما عَثَرَ على قِطَعٍ جديدة في بعضِ المصادر[٣]، ورتَّبَ القِطَعَ والقصائِدَ على حروف المعجم، ورقَّمَهَا بأرقامٍ مُتَسلسلةٍ، انتهتْ بِالرَّقمِ ٣٧٥، وحاولَ إثباتَ النَّصِّ سليماً في المتن، أما الخطأ أو المرجوح من المخطوطتين أو الطبعات السابقة فأثبتَهُ في الهوامش، مع تعريف الأعلام وشرح المفردات وصُنع الفهارس المفيدة[٤].

وهذه النشرةُ العِلميَّةُ الكبيرة تزيد ٧٨٥ بيتاً على ما في المطبوعات السابقة، عدا المقدمة المهمّة التي عرَّف فيها الشَّاعِرَ وعقيدتَهُ وعلمَهُ، بِرجوعِهِ إلى مصادر متنوِّعة، لكنَّهُ لمْ يبحث في موضوعات شعرِهِ أو يدرسهُ دراسة فنيَّة[٥].

---

(٢) **وُلِد في بغداد ١٩٠٧م، له تحقيقات، منها (ديوان السيد الحميري) و(أنوار الربيع في أنواع البديع). تُوُفِّيَ سنة ١٩٩٢م. معجم الدواوين والمجاميع الشعرية ٦٧، ٢٣٢.**

(٣) ثمَّة ثلاث رسائل تناولتْ شعرَ الشَّاب الظَّريف بالدراسة الفنيَّة، وهي:

أ- الشَّاب الظَّريف شاعر الحب والغزل: أحمد عبد المجيد محمد خليفة، جامعة جنوب الوادي، مصر، ١٩٩٢م.

ب- الشَّاب الظَّريف حياته وشعرهُ: بهاء عبد الفتَّاح عليّ، جامعة الإسكندريّة، ١٩٩٥م.

ج- الشَّاب الظَّريف حياته وشعرهُ: محمد شاكر الرّبيعيّ، كليّة القائد للتربية للبنات، جامعة الكوفة،١٩٩٩م. (*) المناسب أن تكون هذه الحاشية برقم (٥) = [المجلة].

(٤) كتبَ د. حسن البياتي ملاحظات على الديوان، في مجلة (المربد)، جامعة البصرة، العدد الأول، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٢٥١- ٢٥٦.

(٥) تنظر مثلاً القطع: ٨١، ١٠٢، ١٧٤، ٣٥١، ٣٦٥. (*) المناسب أن تكون هذه الحاشية برقم (٣).= [المجلة].

ولمْ يَكتَفِ المحققُ رحمه الله بهذا، بل ظلَّ يبحثُ ويستقصي حتَّى ظَفَرَ بِمَخطُوطَتين جديدتين، الأولى في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، برقم ١/ ٤٩٠، والأخرى بمكتبة برنستون، برقم ٢٢٣٢، ووجد فيهما ٥٧ نصًّا، وقد نَشَرَ هذا الجديد من النصوص في مقالٍ بعنوان (ما لمْ يُنشر من شعر الشاب الطريف)[٦] سنة ١٩٧٨م.

وكانَ طَبِيعِيًّا - بعدُ - أَنْ يُعِيدَ المُحَقِّقُ طباعةَ الدِّيوان فيضع مقالَهُ الاستِدرَاكِيّ في نهايتهِ بعنوان (التكملة)، في طبعةٍ تاليةٍ أنيقةِ الإخراج، صَدَرَتْ في بيروت، ١٩٨٥م.

نظرات في تحقيق شاكر هادي شُكر، ١٩٨٥م:

وأهم ملاحظاتنا على تلك النشرة:

أولاً: ملاحظات عامَّة:

١- أبيات ليست للشاعر:

ظهرتْ في النشرة أبياتٌ ليستْ للشاعر، بل لشعراء آخرين، وهي:

أ/ ص ٧٩:

وبين الخد والشفتين خالٌ كزنجي أتى روضاً صباحا
تَحيَّرَ في الرِّياضِ فليس يدري أيجني الورد أو يجني الأقاحا

والصواب أنَّهما لأبي عليّ الحسين النشَّار الأَندلُسيِّ[٧].

ونُسِبَا إلى ابن الزقَّاق (ت ٥٢٩هـ) في: مسالك الأبصار ١٧/ ١٣٥، وليسا في ديوانهِ.

ب/ (التكملة)، ص ٢٦١، القطعة ٣٨٦:

(٦) مجلة المورد، المجلّد السابع، العدد الثالث، ١٩٧٨م، ص ٢٢١ - ٢٣٨.

(٧) رايات المبرزين ١١٩، المغرب ٢/ ٣٣٨، زاد المسافر ٩٩، نفح الطيب ٣/ ٢٠٤.

أنفقتُ كنز مدائحي في ثغرهِ وجمعت فيه كلّ معنًى شاردِ
وطلبتُ منهُ جَزَاءَ ذَلِكَ قُبْلةً فأبى وراح تغزُّلي في البارِدِ

والبيتان للصفديِّ، ذكرهما لنفسه في كتابه: فض الختام عن التورية والاستخدام ٢٤٢، وينظر: الكشكول ١/ ١٣٤، أنوار الربيع ٥/ ٥٦.

ج/ (التكملة)، ص ٢٦١، القطعة ٣٨٧:

لَعِبْتُ بالشِّطْرَنْجِ مَع شادنٍ رَشاقَةُ الأَغْصانِ مِنْ قَدّهِ
أَحُلُّ عَقْدَ البَنْدِ مِنْ خَصْرِهِ وأَلثُمُ الشّامَاتِ مِنْ خَدّهِ

وهما لسيف الدين المشد (ت ٦٥٦هـ) في: ديوانه ٣٩٩، جوهر الكنز ٤٩٤، الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٥٧، فض الختام ٢١٣، فوات الوفيات ٣/ ٥٣، أنوار الربيع ٥/ ٤٠.

د/ (التكملة)، ص ٢٧٨، القطعة الأخيرة ٤٣٣، قطعة من ثلاثة أبيات، جاء آخرها:

ملكَ القلبَ مِنهُ ظرفٌ وَطَرفٌ وضعيفانِ يغلبان قويَّا

وهذه القطعة ليست للشاب الظريف؛ ذلكَ أنَّ عَجزَ البيتِ الأخيرِ مُضَمَّنٌ، وهو لصفيِّ الدِّينِ الحِلِّيّ (ت ٧٥٠هـ) في: ديوانه ٤٠٠، وقد تُوُفِّيَ بَعدَ وَفَاةِ الشَّاب الظَّرِيف بستةِ عُقُودٍ، والعجيبُ أنَّ المحقِّق الكريمَ أشارَ إلى أنَّ العَجزَ المُضَمَّنَ هو لِصَفِيِّ الدِّين، لكنَّهُ لمْ يَنتَبِه إلى استحالةِ نِسبَةِ القطعةِ إلى الشَّاب الظَّرِيف أصلاً.

بَقِيَ البيتان اللذان أخرَجَهما المُحَقِّقُ من الديوان؛ لأنهما لشاعر جاهليٍّ عاش قبل الشَّاب الظَّرِيف بأكثر من سبعة قرون، ولكن لم يعرف لمن هما:

إذا كنتَ في قوم فصاحِبْ خيارهمْ ولا تصحب الأردى فتردَى مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلُّ قرين بالمقارن يقتدي

قلت: هما لعدي بن زيد العبادي في: ديوانه ٢٥٢

٢- ثمة تكرار في إيراد بيتٍ واحدٍ أكثر من مرَّة، فقد وردَ ص ٢٩ (القطعة ٤):

وبمقلةٍ خفق الفؤاد وقد أتت إنَّ الجنونَ يكونُ في السَّوداءِ

وفي ص ٣١ القطعة (٨):

وبمقلةٍ خفق الفؤاد وقد رنت إنَّ الخفوقَ يكونُ عن سوداءِ

وفي الصفحة نفسها القطعة (٩):

وبمقلةٍ خفق الفؤاد وقد أتت وكذا الجُنونُ يكونُ في السَّوداءِ

ولم يُشِر المحقِّقُ إلى هذا التَّكرار الذي وَرَدَ في إِحدَى المَخطُوطاتِ.

٣- ص ٢٦٨ وردتْ في (التكملة) ستةُ أبياتٍ من قصيدة [برقم ٤٠٤] في ١٩ بيتاً، تبدأ بـ:

فيا خاتم الرُّسل الكرام ومَن بهِ لنا من مهولاتِ الذُّنوبِ تخلّصُ

وقد سبقَ أنْ وردتْ في ص ١٣٥ [برقم ١٧٤] نقلاً عن كتاب (السمو الروحي في الأدب العربي)، لذا كان من الصحيح حَذْفُ الموضع الأوَّل الذي وَرَدَتْ فيه ناقصة، وإيرادها كاملة.

٤- القطعة ٣١٤، ورد البيت الثاني منها:

لا تحرموني ضمَّ أَسمَرِ قَدِّهِ ليس الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

أقول: العجز لعنترة بن شداد في ديوانه ٢١٠،من معلَّقتهِ الشهيرة، ولم يذكر المحقِّقُ هذا، ولمْ يَضَعْهُ داخل قوسَين.

٥- ص ١٤٤:

رُبَّ طبَّاخٍ مليح فاتر الطَّرف غَريرِ

مالكي أصبح لكن شغلوه بالقدوري

أقولُ: لم يفسِّر المحقِّقُ ما في البيت من تورية جميلة، فكلمة (القدور) هي الأواني التي يُطبخ بها الطعام، وهذا ما لا يُريدهُ الشَّاعِرُ، وتعني - وهذا مُرَادُهُ - كتابَ (القدوري) لأبي الحُسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي (ت ٤٢٨هـ)، وهو أشهر كتب الحنفية، وقد شَرَحَه آخرون، وطُبعَ في القاهرة والإستانة[٨].

أي: إنَّ المحبوبَ على المذهب المالكيّ، ولكن شغلوهُ بمذهب أبي حنيفة.

٦- ص ٢٣٩، القطعة ٤٣١، ذكرَ هذا البيت في الهامش، نقلاً عن (شذرات الذهب):

ماذَا أثرتَ على القلو بِ مِنَ الصَّبابةِ والجَوَى

أقولُ: البيتُ لهُ في: عيون التواريخ ٢٣/ ٣٠.

- ولأحمد بن غزِّي (ت ٦٥١هـ) في: التذكرة الفخرية ٢٦٠.

- ولسعد الدين بن عربيّ، في: مغناطيس الدُّرّ النَّفيس ١٣٧، جَنَى الجناس ٣٦١.

- ولجمال الدين ابن مطروح في: ديوانه ٢٦٠.

ثانياً: أوهام في إثبات الأبيات على الصّحَّة:

منها:

١- ص ٧١، القطعة (٦٦)، ورد الدوبيت:

من حين جلا العِذَار في الخدِّ نباتْ أحيَا بوصالهِ وبالهجرِ أماتْ

وحياةِ هواكَ طلّق النّوم ثلاث (كذا) مَنْ تهجُرُه فلا تسل كيفَ يباتْ

والشكُّ وارد في المصراع الثالث، والصواب:

(٨) يُنظر: كشف الظنون ١٦٣١-١٦٣٤،تاريخ الأدب العربي ٣/ ٢٦٩-٢٧٣،ديوان سيف الدين المشد ٤١٠.

وحَيَـاةِ هَـوَاكَ طَلَّـقَ النَّـومَ بتـاتْ

٢- ص ١٣٧، ورد:

يـا مـن لهـم علـيَّ وحـدي فـرض لـم يُبـق تهتكـي بكـم لـي عِـرْضُ

وفي المصراع الثاني من الدوبيت خَطأٌ نَحويٌّ في كلمَةِ «عرض»، وحقُّها النَّصب، وقَد ذَكَرَ المُحَقِّقُ روايةً أُخرَى تصلحُ أَنْ تَكُونَ مَكاناً لِمَا أَورَدَهُ، وهي:

لم يُبقَ - تَهَتُّكاً بِكُمْ - لِي عِرْضُ

٣- ص ١٢٩:

صَفَا بَاطِنِي حُسناً كمَا رَقَّ ظاهري وَصَاحَبتُ فِتيَاناً مِن الشّرْبِ أَكياسَا

إذا نَهضُوا كُنتُ الرَّفيق لَهمْ وإنْ هُمُو جلسوا أمسيتُ في الوسطِ جلَّاسَا

وعلَّقَ المحققُ: «الجلَّاس: يحتمل أنه من أدوات الشراب».

قلت: بل هو: مصباح، أو قنديل(٩).

٤- ص ٤٤:

للطـرفِ فيـهِ سـناً وفيـه رفعـة هـذا وذاك يروقـه ويروعُـهُ

قلـت: الصـواب «سَـنًى»، بـالألف المقصـورة، بمعنَـى الضَّـوء، أمَّـا بالممدودة فتعني الرِّفعة(١٠)، والشاعرُ يريد المعنى الأوَّل.

٥- ص ٢٦٦:

يبـدو اعتـدال قوامـه فـي (مثلـه) وتبـين صـحَّة جفنـه فـي كسـرهِ

وعلَّقَ المُحَقِّقُ: «(في مثله) كـذا ورد، ولعـل الأصـل (فـي ثنيـه) بكسـر الثاء، أو (في ميله)، والوجه الثاني أرجح».

(٩) تكملة المعاجم العربية ٢/ ٢٥٢.

(١٠) تاج العروس (سني) ٣٨/ ٣١٤، ٣١٩.

قلت: «مثله» تحريف لكلمة «ميله»، وهو مرادُ الشَّاعرِ، وما رجَّحهُ المُحقِّقُ، ويناسبُ المعنَى، ولكنه لم يثبتها في المَتنِ.

٦- ص ٢٦٩:

(ما إن رأى) روحي تحنُّ لقربهِ حتى تعجَّلَ بالبعادِ فراقها
تالله ما نظرتْ عيوني مذ نأى (أبداً) سِواهُ مِنَ الأَنَامِ فَراقَها

وعلَّقَ على ما بين القوسين في صدر الأول: «في الأصل (لما رأى) وهو تحريف بيِّنٌ مخل بالمعنى».

وعلَّقَ على ما بين القوسين في عجز الثاني: «(أبداً) كذا ورد في الأصل، والصواب (أحداً)».

قلت: ليسَ في صدرِ الأوَّلِ «تحريفٌ بيِّنٌ مخلٌّ»، وما اقترحَهُ في الموضع الثاني لمْ يَذكُرْهُ في المتن، لذا يكون صواب إيراد البيتين:

لمَّا رَأَى رُوحِي تَحِنُّ لِقُربِهِ حَتَّى تعجَّلَ بِالبِعادِ فراقَها
تالله ما نظرتْ عيوني مُذ نَأَى أَحَداً سِواهُ مِنَ الأَنَامِ فَراقَها

نشرة د. الهواري:

اطَّلعَتُ على نشرة د. صلاح الدين الهواريّ، الصادرة في بيروت، ٢٠٠٤م، ورأيتُ أَنَّ منهجَ صاحبِهَا يَقُومُ على تفسير المفردات، وإعطاء معاني كُلّ بيت من أبيات الديوان، وأشار - في مقدِّمتِهِ - إلى النشرة العراقية الأولى الصادرة عام ١٩٦٧م، ولم يذكر النشرة الثانية في بيروت الصادرة سنة ١٩٨٥م إلَّا في قائمة المصادر والمراجع، على الرغم من اتِّكَائهِ عليها، وكانت نشرتُهُ طبقَ الأَصلِ مِن مَتنِهَا، بَعد أَنْ جَرَّدَهَا مِن صُوَرِ المَخطوطات والهوامش التي تُوَضِّح اختلاف روايات الأبيات في المخطوطات المعتمدة، وسَلخَ كثيراً مِن الشُّروحِ الواردة فيها، ولمْ يُضِفْ بَيتاً واحداً إِليها، عدا ضبطهِ الكلمات بالشَّكلِ، وإثباته بُحُورَ الشِّعرِ.

وعَمَلُ الهواريِّ يمكنُ أَنْ يُفيدَ القرَّاءَ الذين قَد لا يفهمونَ الشِّعرَ الذي يحتاج إلى شروح كشعر المتنبي وأبي تمَّام والمعرِّي وأضرابهم، أما شعر الشَّاب الظَّرِيف فلا يحتاج إلَّا إلى مفردات قليلة جدًّا، قام بها المحقِّقُ شاكر هادي شُكر قبلهُ، لذا لا أجدُ مُسوِّغاً لإقدامِ الهواريِّ على إخراجِ عَمله هذا.

بل إنَّ الأخطاءَ التي وَرَدَتْ في نشرة شاكر جاءتْ ماثلةً في نَشرَة الهواريِّ، وزَادَتْ أوهاماً في إثبات نصِّ الأبيات، أو المفردات، أو في المعاني، وعدم فَهْم مراد الشاعر، مع أغلاط الطباعة!

وفي ص ٢٦-٢٧ أوردَ أسماءَ ستة أعلامٍ، وترجمَ لهم باختصار، والغريبُ أنَّهُ أَثبَتَ لِكُلِّ واحدٍ منهم مصدراً يختلفُ عن الآخر، على الرغم مِن أنَّ أُولئكَ الشُّعراء مُتَرجَمُونَ في المصادر الستَّة نفسِهَا، وزاد الأمرَ غرابة وهو يترجم للشاعر الأُمويِّ الأخطل، برجوعه إلى (تاريخ الأدب العربي) لـ(بروكلمان)، وتَرَكَ عشرات المصادر الأصيلة التي ترجمتْ له!

وأخطأ في إيراد البحر الخاص بهذه القطعة:

يا ناتفاً شعرات عارضه الـ ـتي ساقت وشقَّتْ
أخشيتَ طُولَ حديثها فقطعتها من حيثُ رقَّتْ

وذكر أنَّها من (الدوبيت)، والصواب (مجزوء الكامل).

ومن الخطأ الواضح في المعنى والوزن فيما جاء في التتفة (٢٠١) ص ٢١٥:

وأَلْثَغ زَارَ لَكِنْ رأى رقيبيَ أصغَى
فقالَ ادخُل أو امضِي إلى مَتَى أنتَ بَغَّا

فعلَّقَ على البيت الثاني: «المعنى: قال ادخل البيت أو غادر المكان، إلى متى يطول اختيالك»!

وهذا خطأٌ في تفسيرِ المَعنَى، برُغم وُضُوحِهِ، فَالمَقصُودُ أَنَّ كلمَةَ «بغَّا» أَصلُهَا «بَرَّا»، لأَنَّهُ ألثغُ لا يستطيع إخراجَ الرَّاء.

وصواب صدر الثاني ليستقيم الوزن على (المجتث):

فقالَ أي: ادخُل أو امضِي

– ص ٢٢٤، القطعة (٢١٥) ثلاثة أبيات، آخرها:

مَن عاينَ الدَّهْشَةَ في وَجهِهِ دَرَى بأَنَّ السَّهْمَ مِنْ طَرفِهِ

وعلَّقَ د. الهواري: «المعنى: يقول: من رأى الحيرة في وجهه، علم أن السهم من عينه»!

قلتُ: هكذا فسَّر وشرحَ وأوضحَ معنَى البيت!

وقد فاتَهُ – كما فات المرحوم شاكر – أنَّ في البيت توجيهاً بمتنزَّهَي دمشق (الدهشة) و(السهم)، ويؤكِّدُ هذا موضعُ (النيربين) في البيت الثاني، وقد أَهمَلَ الإشَارَةَ إِليهِ د. الهواريُّ أيضاً، في حين أفاض في شرحِهِ المرحوم شاكر!

الاستدراك على الديوان:

أوَّلاً: صنع محمد شاكر الرُّبيعيّ مُستدرَكاً على الدِّيوان، في رسالتِهِ للماجستير (الشَّاب الظَّرِيف حياتُهُ وشعرهُ) من جامعة الكوفة، نهاية سنة ١٩٩٩م.

ويلاحظ على عمله:

١ – لم يميِّز بين ما هو للشاعر وما نُسِبَ إليهِ.

إذِ استدركَ أربعَ نُتَفٍ من مَصدَرٍ مُتَأَخِّرٍ واحدٍ هو كتابُ (حسن المحاضرة)، في حين أَنَّهَا ليستْ خالصة النسبة إلى الشاب الظريف، بل تُنسب إلى صدر الدين ابن الوكيل (ت ٧١٦هـ).

الأُولَى مَطلعُها:

كَأَنَّمـا البَـرقُ خِـلالَ السَّـمَا مِـنْ فَـوقِ غَـيمٍ لـيسَ بِالكـابِي

قلت: لصدر الدين بن الوكيل في: الوافي بالوفيات ٤/ ٢٧٢، وعنه في: شعره (مجلة «المورد»، ع ٣، ٢٠٠٩م)، ص ١٣٩، ولـمْ يُشِـرْ مُحقِّقَـاهُ إلـى نسبتها إلى الشاب الظريف.

والثانية مطلعها:

فصـلُ الشِّـتَا مَـنحَ النَّـواظر نَضـرةً لَمَّـا كَسَـا الألـوَانَ وَهْـي عَـوَارِ

وهي لصدر الدين بن الوكيل في: مسالك الأبصار ٦/ ٣٣٣، وأخلَّ بها شعره.

والثالثة أوَّلها:

وَلَمَّـا جَـلا فصـلُ الرَّبيـعِ مَحَاسِـناً وَصَفَّقَ ماءُ النَّهـرِ إذْ غَـرَّدَ القُمـرِي

قلت: لصدر الدين بن الوكيـل فـي: الـوافي بالوفيـات ٤/ ٤٧٠، فـوات الوفيات ٤/ ١٧، المقفَّى الكبير ٦/ ٤٤٠، وعن الكتابين الأولين فـي: شـعره (مجلة «المورد»، ع ٣، ٢٠٠٩م)، ص ١٤٢، ولـمْ يُشِـرْ مُحقِّقَـاهُ إلـى نسـبتها إلى الشاب الظريف.

والرابعة، أوَّلها:

تَغَنَّـتْ فـي ذرَى الأغصـان ورقٌ ففـي الأفنـان مِـنْ طـرَبٍ فُنـونُ

وهي أيضاً لصـدر الـدين بـن الوكيـل فـي: الـوافي بالوفيـات ٤/ ٤٧٤، فوات الوفيات ٤/ ١٧، وعنهما في: شعره (مجلة «المورد»، ع ٣، ٢٠٠٩م)، ص ١٤٧، ولـمْ يُشِـرْ مُحقِّقَاهُ إلى نسبتها إلى الشاب الظريف.

٢- لزيادة التخريج أذكرُ أَنَّهُ استدركَ نتفةً عن: عيون التواريخ ٢٣/ ٣١، أوَّلها:

أُعـايِنُ روضَ النَّيْـرِبَيْنِ بِخَـدِّهِ فأعجبُ مِنْ خَطٍّ يُرِيْنِي بـهِ سَـطرَا

قلتُ: هي في: عقود الجمان ٢٤١ ب.

واستدرك قصيدة تقع في عشرة أبيات من: حلبة الكميت ١٦١، مطلعها:

سَـــهرُ العُيُـــونِ يلـــذُّ لِلْمشـــتاقِ فالسّـــقمُ خيـــرُ مَلابـــسِ العُشَّـــاقِ

قلت: لابن قرناص في: المصدر نفسه ١٥٨-١٥٩ (ما عدا: ٣، ٤، ٨)، وليستْ في شعره.

٣- زاد سبعة عشر بيتاً في خمس قِطَعٍ نَقَلَها مِن مَصدَرٍ وَاحِدٍ هو (ديوان العفيف التلمسانيّ)، والد الشاعر، ونَسَبَهَا إلى الابنِ!

٤- لمْ يَستفد مِنْ كتاب (شذرات الذهب) - وَهوَ مِن مَصَادِرِهِ - في تخريج البيت اليتيم:

مـاذَا أثـرتَ علـى القلـو بِ مِنَ الصَّبابةِ والجَوَى

إذ خَرَّجَهُ على: (عيون التواريخ) فقط، ولمْ يُشِر إلى تَدَافُعِهِ مَعَ شعراء آخَرين.

ثانياً: كُنتُ قد صنعتُ مستدركاً للشاعرِ ضمَّ قِطعاً جديدةً، وبقيَ عندي، أتحيَّنُ فرصةَ إظهَارِهِ إلى الناس، ثمَّ أَودَعتُهُ - مع مثيلاتهِ من الاستدراكات - في كتابي (في نقد التحقيق)، وضَمَّ (٤٣) بيتاً في (١١) قطعة له، فضلاً عن قطعتين من المنسوب إليهِ وإلى غَيرِهِ، برجوعي إلى مصادر مهمَّة، هي: (حسن المحاضرة)، و(عيون التواريخ)، و(تاريخ الإسلام) للذهبيِّ، و(حلبة الكُمَيت)، و(ذيل مرآة الزمان)، و(تشنيف السمع)، (الكشف والتنبيه)، و(حدائق النمام)، و(شذرات الذهب)، و(فوات الوفيات)، و(الوافي بالوفيات)، و(المختار من تاريخ ابن الجزريّ)، ومَيَّزتُ بينَ ما نَصَّتِ المصادرُ على أَنَّهُ لهُ وبين المضطرب النسبة بينه وبين الشعراء الآخرين في قسمٍ خاص هُوَ (المنسوب).

ثمَّ اطَّلعتُ على مستدرك الأخ الربيعيّ – وقد بذل فيه جهداً – فَوَجَدتُ تَشَابُهاً في بعض القطع بيني وبينه؛ بِسَبَبِ رجوعنا معاً إلى القطع الواردة في (عيون التواريخ) و(ذيل مرآة الزمان) و(حسن المحاضرة)، و(حلبة الكميت)، وإنْ زدتُ عليه في التخريج، وانفردتُ بِقِطَعٍ ظَفرتُ بها وَقتَذَاكَ.

وقدَّمتُ الكتابَ إلى دار الشؤون الثقافية ببغداد، وبقي فيها إلى أنْ طُبع سنة ٢٠٠٢م، فكان هذا استدراكي الأوَّل على الديوان(١١)، ثمَّ تبيَّنَ لي بعدَ نَشرِهِ أَنَّ القطعتين المرقَّمتين بـ (١) و(٣) هما من المنسوب إليهِ أيضاً، وفاتني أنْ أُشيرَ إلى نسبةِ بَعضِ الأبيات القافيَّة إلى ابنِ قرناص.

ثالثاً: قام د. أحمد عبد المجيد محمد خليفة بصُنع مستدرك جديد، نَشَرَهُ سنة ٢٠١١م(١٢)، بعد عثورهِ على مخطوطٍ في مكتبة برلين برقم ٧٧٨٣، انفرَدَ بِقِطَعٍ للشَّاعِرِ، مَعَ عُثُورهِ على ثمانية أبيات جديدة من مصادر أخرى، فكانَ مَجموعُ عَمَلِهِ ٣٥٦ بيتاً، وهو جهدٌ يُحمَدُ لهُ.

وممَّا يُلاحظ عليه:

أنَّهُ وَقَعَ في خطأٍ ص ٤٣-٤٤، عندما أوردَ للشَّاعِرِ القصيدة (رقم ١) الواقعة في ٢٣ بيتاً، ومطلعها:

وعَدتْ باستراقةٍ للّقَاءِ وبإهداء زَوْرةٍ في خَفَاءِ

والصحيحُ أَنَّها قصيدةٌ مشهورةٌ للأَرَّجانيِّ (ت ٥٤٤هـ) في ديوانه ١/ ١٤.

---

(١١) في كتابنا (في نقد التحقيق) ٣٤٥-٣٥١، ثم في مجلة (الذخائر)، العددان ١٣-١٤، ٢٠٠٣م، ص ٣٩٨-٣٠١، وأعدتُ ذلك في كتابي: فوات الدواوين ١٧٢ - ١٨٣، في طبعته الأولى ببابل ٢٠٠٨م، وصدر ثانية عن دار الكتب العلمية في بيروت، ٢٠١٨م.

(١٢) المستدرك على ديوان الشَّاب الظَّرِيف، مجلة كلية الآداب – جامعة الزقازيق، ع ٥٧، ٢٠١١م، ص ٣١-٦٩.

وفي ص ٥٠ أثبتَ لهُ قصيدةً أخرَى (برقم ١٣) تقعُ في تسعة أبيات، مطلعها:

أُراقبُ مِن طيفِ البَخيلةِ موعدا وهانَ عليها أنْ أبيت مسهَّدا

وهي قَصِيدَةٌ مَشهُورَةٌ للأَرَّجَانِيِّ، أيضاً، في ديوانهِ ١/ ٣٥٣.

وبهذا نُسقِطُ من مستدركه (٣٢) بيتاً ليست للشاعر على الإطلاق، فَضلاً عن قطعةٍ في ثلاثة أبياتٍ ص ٦٥ على قافية الميم، وَرَدتْ سَابِقاً في مستدركي الأوَّل، ومستدرك الربيعيّ.

وبعدُ،

فهذا هو الاستدراكُ الثاني الذي أَضَعُهُ على (ديوان الشَّاب الظَّرِيف)، ليكونَ تتمَّةً وصِلةً وثيقةً به، لم يسبقني إليهِ أَحَدٌ، ويضمُّ (٣٩) بيتاً، في (١٦) قطعةً جديدةً، ليكونَ ما جمعتُهُ للشاعر – في المُستَدرَكَينِ معاً – (٨٢) بيتاً في (٢٩) قطعة، وأقدِّمُهما مُجتمعَين – مع النظرات النقدية – إلى مُحبِّي شعر هذا الشاعر الفذّ، وإلى مَنْ يبغي إعادة تحقيق الديوان كاملاً، خِدمةً للتراث العربيّ الخالد.

المُستدرَكُ على الدِّيوانِ

أ- ما صحَّتْ نسبتُهُ إلى الشَّاب الظَّرِيفِ:

[١]

قال، وهو ما يُستدرك على القطعة ٨، ويكون أوَّلاً: (الكامل)

في ليْلةٍ غفلَ الرَّقِيبُ، وقد بَدَتْ للنـاظريْنَ كواكبُ الجوزاءِ

التخريج: مستوفي الدواوين ١/ ٣١، ٣٣.

[٢]

قال على لِسان البنفسج: (الطويل)

إذَا وصَفُوا زُرقَ اليَواقيْتِ أَطنَبُوا وقالُوا: لها لونٌ كَلَونِ البنفسَجِ

كَأنَّ مَعَ الوَرد الجنيِّ بقيَّةً كَآثارِ قَرصٍ فوقَ خَدٍّ مُضَرَّجِ

التخريج: سكردان السلطان ٢١٠.

[٣]

قال يصفُ زَهْرَ اللوزِ: (الطويل)

لَئِنْ شابَ زَهرُ اللوزِ طِفلاً، وقُلْتُمُ بِأَنَّ مَشِيبَ الطِّفلِ ليسَ يَجُوزُ

فلا تعجَبُوا إنْ شَابَ في غَيرِ وَقتِهِ فَكَمْ نَفحَتْ يَوماً عَليهِ عَجُوزُ

التخريج: مستوفي الدواوين ١/ ٣٢٧، نزهة الأنام ١٤٧.

[٤]

قال: (السَّريع)

نَشوَانُ قَد عَانَقَهُ شَعرُهُ فَمَاسَ عُجْباً كالقَضِيْبِ الوَرِيقْ

يَا خَالَهُ الخَالِدَ فِي جَنَّةٍ قَلبي، لَأَنتَ الغَرِيقُ الحَرِيقْ[١٣]

التخريج: كشف الحال في وصف الخال ٢٦١.

[٥]

قالَ: (الطويل)

أَيسعدُني يَا طَلعَةَ البَدرِ طالعٌ ومِن شِقوَتي خَطٌّ بِخَدِّكَ نَازِلُ؟

ولوْ أنَّ قُسَّا وَاصِفٌ مِنكَ وَجْنَةً لَأَعجَزَهُ نَبْتٌ بِها وَهْوَ بَاقِلُ

التخريج: تأهيل الغريب ٤٠٠.

(١٣) كذا وردَ العجزُ في هذا المصدر، وهو غير موزون، وفيه تحريف وتصحيف، ولعلَّ صوابه: «قلبيَ لَأَنْتَ لِلغَرِيقِ الحَرِيقْ»، و«قلبي» هنا بمعنى نفسي.

[٦]

قال يهجو الحسامَ الحلبيَّ، حِينَ هَجَاهُ ابتِدَاءً: (الكامل)

قـالُوا: تصَـدَّى للهجـاءِ ولـمْ يعُـدْ عنـكَ الحُسَـامُ بِمَـا بِـهِ مُتَقـوَّلُ
فَصَـقَلْتُهُ بِنعَالِـهِ، وأجبـتُهُمْ: إنَّ الحُسَـامَ إذَا تَصَـدَّا يُصْـقَلُ

التخريج: ذيل مرآة الزمان ٥/ ٥٦.

[٧]

قال، وهو ما يُضَاف إلى القطعة ٢٥٦: (الكامل)

مَـا بـالُ خَـدِّكَ جـارَ فـي تقسِـيْمِهِ لِـي نَـارهُ، ولِغَيْـرِيَ التَّقبيْـلُ

التخريج: تاريخ الإسلام ١٥/ ٦١٥.

[٨]

يضَافُ إلى القطعة ٢٩٨ هذَا البيت، ويكون الأول: (الطويل)

أبِيتُ وَلِـي فِيـهِ فُـؤَادٌ مِـنَ الجَـوَى سليمٌ، وشَوقي في الصَّـبَابَةِ سَـالِمُ

التخريج: مقامة الشَّاب الظَّرِيف ٧.

[٩]

قال في مَليحةٍ تعجنُ عَجِيناً: (الكامل)

وملِيحـةٍ جَلَـتِ الظَّـلامَ بِوَجهِهَـا وَبِثَغرِهَـا لَمَّـا أُمِـيْطَ لِثَامُهَـا
عَجَنَـتْ ولكـنْ مُهجَتِـي بِغَرَامِهَـا المـاءُ دَمعـي، والـدَّقيقُ قوامُهَـا

التخريج: ذيل مرآة الزمان ٥/ ٦١.

[١٠]

قال: (الطويل)

ومـا الحُـبُّ إلَّا نظـرةٌ ثُـمَّ ينقضِـي أخو الوَجدِ منها في لَظًى وَجَهَـنَّمِ

التخريج: مقامة الشَّاب الظَّرِيف ٧.

[١١]

يُضَافُ إلى القطعة ٢٤١: (الوافر)

١- وأهيفَ ينثني بِقَويْمِ قَدٍّ بُلينا في الهَوَى منهُ بِلَيْنِ
٢- فَكَمْ أبدَى دَلالاً عَنْ مِلالٍ وَكَمْ أهدَى فُنُوناً مِنْ فُنُونِ
٣- سَأشكُوهُ إلى نَدْبٍ جَوَادٍ مُثَبِّتِ حِكمَةِ الحَقِّ المُبِينِ
٤- تَقِيِّ الدِّين خَيرِ النَّاسِ طُرًّا وأنسَبهُمْ إلى الشَّرفِ المَتِينِ
٥- لهُ جُودٌ إذَا ما ضَنَّ جَوْدٌ وحِفْظُ العَهْدِ في الزَّمنِ الخَؤُوْنِ
٦- ويحسنُ ظنُّهُ كَرَماً وحلْماً إذَا سَاءَتْ ظُنُونٌ عَن ظَنَيْنِ
٧- أَخَيرَ العالَمَينَ أباً وأُمًّا وذَا الآراءِ والقَولِ المَكَيْنِ
٨- سَهِرْتَ مُراقِباً نَجْمَ المَعالي وغَيرُكَ في الخَلاعةِ والمُجونِ
٩- فَكَمْ سَهَّرتَ للأَعدَا جُفُوناً شَهرتَ لها السُّيُوفَ مِنَ الجُفُونِ
١٠- وكَمْ واريْتَ ذَا شَرَفٍ مُذَاعٍ لَهُمْ، وَثَلمْتَ ذَا سِرٍّ مَصُونِ
١١- فَعِشْ ما افْتَرَّ ثَغرُ الرَّوْضِ حُسْناً وفاضَتْ أَدمُعُ الغَيثِ الهَتُونِ
١٢- إذَا مَا جُدْتَ أوْ سَاجَلْتَ يَوماً فَغَيْثُ السُّحْبِ أو لَيْثُ العَرِينِ
١٣- فإنَّكَ قد جُبِلتَ مِنَ المَعَالي وكُلُّ النَّاسِ مِنْ مَاءٍ وطِيْنِ

التخريج: ذيل مرآة الزمان ٥/ ٥٧.

[١٢]

شمس الدين محمد بن التلمسانيّ: (الرمل)

١- سَاءَني واللهِ سُكْنَى بَلَدْ أنتَ يا نَحسُ بِهِ تُدعَى فَقِيهَا
٢- إنَّما الدُّنيا إذا كانتْ خَراءً كانَ فيها مثل مولانا وَجِيهَا

التخريج: المنشآت اللطيفة ٧٨.

ب - المَنسُوبُ إليهِ وإلى غَيرِهِ:

[١]

قالَ ابنُ التّلمسَانيِّ أو ابنُ تميم الحَمَويّ الإسعَردِيّ: (الوافر)

بَكَـوا لِجراحـةٍ شَـقَّتْ جَبِـينَ الــ ـحبيبِ، فَقُلـتُ: مَـا فـي ذَا جُنَـاحُ

أَلــيسَ جَبِينُــهُ صُــبْحاً مُنِيــراً؟ ولا عَجَــبٌ إذَا انشَــقَّ الصَّــبَاحُ

التخريج: لهُ في: الوافي بالوفيات ٥/ ٩٢.

* لِمُجير الدين ابن تميم في: ديوانه ٢٤، وروايةُ عجز الأول: «فقلتُ ما ضرّ مباحُ»، ورواية عجز الثاني: «ولا عجباً»، ولم يُشِر مُحقِّقاهُ إلى نسبتِهِ إلى الشَّاب الظَّرِيف.

[٢]

قال: (الكامل)

وَمُهفهَـفٍ أَبـدَى نَضَـارةَ خَـدِّهِ[١٤] فَـالعينُ تَنظُـرُ مِنـهُ أَحسَـنَ مَنظَـرِ

أَصــلَى بِنَــارِ الخَــدِّ عَنبَــرَ خَالِــهِ هذا العِـذَارُ دُخَـانُ[١٥] ذَاكَ العَنبَـرِ

التخريج: لهُ في: مستوفي الدواوين ١/ ٢٣٨.

* لِمهذَّب الدين محمـد بـن محمـد بـن إبـراهيم المعـروف بالحاسـب الحلبيّ (ت ٦٥٥هـ) في: وفيات الأعيان ٦/ ٢٥٤، كشف الحال في وصـف الخال ٢٣٤.

والثاني فقط للمهذب في: قلائد الجمان ٦/ ٢٢٣.

---

(١٤) وفيات الأعيان: «راقتْ نضارةُ وَجهِهِ».

(١٥) وفيات الأعيان، كشف الحال: «فبدا العِذارُ دخانَ».

[٣]

قال ابن العفيف: (السريع)

كَأَنَّمَـــا الخَـــالُ علـــى خَـــدِّهِ إذْ لاحَ فـي سِلْسِـلةٍ مـنْ عـذَارْ[١٦]

أُسَـــيْودٌ يَخـــدِمُ فـــي جَنَّـــةٍ قَيَّـــدهُ مَـــولاهُ خَـــوفَ الفِـــرَارْ

التخريج: لـهُ فـي: كشـف الحـال فـي وصـف الخـال ٢٣١، صـحائِف الحسنات في وصفِ الخال ٩٤، مراتع الغزلان ق ٦٩، تأهيل الغريب ٤٢٩.

* لابن سـعيد المغربـيّ (ت ٦٨٥هـ) فـي: اختصـار القـدحِ المُعلَّـى ٩، المرقصات والمطربـات ٣٨١، نفحـة الريحانـة ٢/ ١٤٨، وعـن المصـدرين الأولـين فقـط فـي: شـعره ١٢٨، وورد صـدر الأول فيـه مختـلًّا، ولـمْ تُشِـرْ جامعتُهُ إلى نسبتِهِ إلى الشاب الظريف !

* لأبي الحسـن بـن سُـكَّرة الهاشـميِّ (ت ٣٨٥هـ) فـي: حيـاة الحيـوان الكبرَى ١/ ٤١١، وعنه في ديوانه ٦٩، ووضعه جامعـهُ فـي القسـم الخـاص بـ«شعر ابن سكرة الهاشـمي»، ولـم يضـعه فـي قسـم «المنسـوب»، أو يـذكر نسبتَهُ الأُخرَى إلى الشاب الظريف.

[٤]

قَالَ: (الطويل)

عُرَيبٌ سَبَوا[١٧] نَومي، ولمْ تَدرِ مُقلتي كمَا سَلَبوا قَلبي، وَلمْ تَشعُرِ الأَعضَـا

وطلَّقتُ نَومي، والجُفُـونُ حَوامِـلٌ فَمِنْ أَجلِ ذَا في الخَدِّ أَبقَتْ لهَا فَرضَا

(١٦) حياة الحيوان الكبرَى:

كَـــأنَّ خَـــالاً لاحَ فـــي خَـــدِّهِ للعَـينِ فـي سِلْسِـلةٍ مـنْ عـذَارْ

(١٧) الدر المصون: «سلبوا»، خطأ.

التخريج: لهُ في: الدر المصون[١٨] المسمَّى بسحر العيون ٢/ ٥٥.

* لشهاب الدين محمود في: الوافي بالوفيات ٢٥/ ٣٢٩، فوات الوفيات ٤/ ٨٣.

* * *

المصادر والمراجع

المخطوطةُ:

- عقودُ الجمان؛ ذيل وفيات الأَعيَان: محمد بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، مكتبة الفاتح بإستانبول، رقم ٤٤٣٤.
- مراتعُ الغزلان في وَصفِ الحسان من الغلمان: محمد بن حسن النواجيّ (ت ٨٥٩هـ)، معهد المخطوطات العربيَّة، رقم ٧٥٦ أدب.
- مغناطيس الدرّ النفيس: أحمد بن يحيى؛ ابن أبي حجلة التلمسانيّ (ت ٧٧٦هـ)، جامعة الملك سعود، رقم ١٠٤٠ أدب.

الرسائل الجامعيَّة:

- ديوان سيف الدين المشد؛ علي بن عمر بن قزل (ت ٦٥٦هـ)، دراسة وتحقيق وتذييل عباس هاني الجراخ، رسالة ماجستير، كلية التربية - جامعة بابل، ٢٠٠٠م.

(١٨) نشره الشيخ عبد الهادي الأبياري في القاهرة ١٢٧٦هـ، ثُـمَّ طُبِع باسم (الدر المصُون المسمّى بسحر العيون) في القاهرة، ١٩٩٨م، بجزأين، بتصرُّف من الناشر الذي أساء إليه إساءة بالغة، مع تحريفات وتصحيفات كثيرة، والكتاب في حاجة إلى طبعة جديدةٍ وتحقيقٍ علميٍّ.

- الشَّاب الظَّرِيف حياته وشعرهُ: محمد شاكر الرّبيعيّ، كليّة القائد للتربية للبنات، جامعة الكوفة،١٩٩٩م.

المطبوعة:

- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلَّى: أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ)، اختصره محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٩م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع: علي بن أحمد ابن معصوم المدنيّ (ت ١١٢٠هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٨-١٩٦٩م.
- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م)، الإشراف على الترجمة العربية د. محمود فهمي حجازي ود. حسن محمود إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، حقَّقهُ وضبطَ نَصَّهُ وعلَّقَ عليهِ د. بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- تأهيل الغريب: أبو بكر بن علي بن عبد الله الحمويّ (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق محمود حسن المصريّ، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
- التذكرة الفخرية: بهاء الدين المنشئ الإربليّ (ت ٦٩٢هـ)، تحقيق د. نوري حموديّ القيسيّ ود. حاتم الضامن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.
- تكملة المعاجم العربية: رينهات دوزي (ت ١٨٨٣م)، نقلهُ إلَى العربية د. محمد سليم النعيمي، ١٩٩٧.

- جنى الجناس: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق ودراسة وشرح د. حمزة الدمرداش زغلول، دار الطباعة المحمّدية، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- جوهر الكنز: ابن الأثير الحلبي، أحمد بن إسماعيل (ت ٧٣٧هـ)، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٧م.
- حلبة الكميت في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات: محمد بن حسن النواجي (ت ٨٥٩هـ)، المكتبة العلامية، مصر، ١٩٣٨م.
- حياة الحيوان الكبرى: محمد بن موسَى الدميريّ (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٥م.
- الدرّ المصون المسمَّى بِسحر العيون: أبو بكر عبد الله بن محمد البدري الدمشقي (ت ٨٩٤هـ)، تحقيق (؟) سيّد صدّيق عبد الفتاح، دار الشعب، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- ديوان الأرجانيّ، أحمد بن محمد بن الحسين (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق د. محمد قاسم مصطفى، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل،١٩٧٩م.
- ديوان ابن الزقاق (ت نحو ٥٣٠هـ)، تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.
- ديوان ابن سكرة الهاشمي (ت ٣٨٥هـ)، جمع وتحقيق ودراسة د. محمد سالمان، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١٥م.
- ديوان ابن مطروح، تحقيق د. حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- ديوان عدي بن زيد العبادي، حَقَّقَهُ وجمعه محمد جبار المُعَيْبِد، وزارة

الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

- ديوان عنترة، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلاميّ، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- ديوان مجير الدين ابن تميم (ت ٦٨٤هـ)، حققه هلال ناجي ود. ناظم رشيد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ذيل مرآة الزمان: موسى بن محمّد اليونيني (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق د. عباس هاني الجراخ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠١٣م.
- راياتُ المُبرزين وغايات المميزين: عليّ بن مُوسَى بن سعيد الأندلسيّ (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- زاد المسافر وغُرَّة مُحيَّا الأدب السَّافر: أبو بحر صفوان بن إدريس التّجيبيّ المُرسيّ (ت ٥٩٨هـ)، أعدَّهُ وعلَّقَ عليهِ عبد القادر محداد، دار الرائد العربيّ، بيروت، ١٩٧٠م.
- سُكردان السُّلْطان: أحمد بن يحيى ابن أبي حجلة التلمسانيّ (ت ٧٧٦هـ)، تحقيق د. علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- شعرُ ابن سعيد المغربيّ، جمع ودراسة وتحقيق هالة عمر إبراهيم الهواريّ، مركز البابطين لتحقيق المخطوطات الشعرية، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٢م.
- شعرُ بني قرناص في حماة، جمع وتحقيق ودراسة د. محمد وليد السراقبي ود. وليد محمد السراقبيّ، مركز البابطين لتحقيق المخطوطات الشعرية، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٧م.

- صحائف الحسنات في وصف الخال: محمد بن حسن النواجيّ (ت ٨٥٩هـ)، دراسة وتحقيق د. حسن محمد عبد الهادي، دار الينابيع، مطابع الأرز، بيروت،٢٠٠٠م.
- عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود. ج٢٢، تحقيق نبيلة عبد المنعم، بغداد، ١٩٩١م.
- فوات الدواوين: د. عباس هاني الجراخ، بابل، ٢٠٠٨م،دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٨م.
- فوات الوفيات والذيل عليها: محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٩٧٣م.
- في نقد التحقيق: عباس هاني الجراخ، ط ١: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م. ط ٢: دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٦م.
- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: كمال الدين المبارك بن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- كشف الحال في وصف الخال: خليل بن أيبك الصَّفَدِيّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن عمر العقيل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، المكتبة الإسلامية، تبريز، ط ٣، ١٣٧٨هـ.
- الكشكول: محمد بن الحسين العاملي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق الطاهر الزاوي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.
- المرقصاتُ والمطرباتُ: عليُّ بن موسَى بن سعيد الأندلسيّ

(ت ٦٨٥هـ)، تقديم وتحقيق إبراهيم محمد حسن الجمل ود. عبد الحميد هنداويّ، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- مسالكُ الأبصار في ممالك الأمصار: ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠١٠م.
- مستوفي الدواوين: محمد بن عبد الله الأزهري (ت ٨٨٧هـ)، تحقيق زينب القوصي ووفاء الأعصر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م.
- معجم الدواوين والمجاميع الشعرية التي حقَّقها العراقيُّون حتى سنة ٢٠١٧م: د. عباس هاني الجراخ، العتبة العباسية المقدسة، مطبعة الكفيل، كربلاء، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.
- المُغرب في حُلَى المَغْرِب: عليّ بن موسى الأندلسيّ (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق د. زكي محمد حسن وزميليهِ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- مقامة الشَّاب الظَّرِيف: تصحيح محمد سليم الأنسيّ، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣١٠هـ/ ١٨٨٢م، ملحقة بديوان شهاب الدين التلَّعفريِّ.
- المُقَفَّى الكبير: تقيّ الدين أحمد بن عليّ المقريزيّ (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- المنشآت اللطيفة: خليل بن أيبك الصَّفَدِيّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق وتقديم د. محمد يوسف إبراهيم بنات ود. حسن محمد عبد الهادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.
- نزهة الأنام في محاسن الشام: تقيّ الدين أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن البدري (ت ٨٩٤هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق،٢٠٠٦م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: محمد بن أحمد المُحِبِّيّ (ت ١١١١هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الوافي بِالوَفَيَات: خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق مجموعة من المستشرقين والعرب، جمعية المستشرقين الألمانية، فرانز شتاينر، إسطنبول وبيروت.
- وفياتُ الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان: أحمد بن محمَّد بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

الدوريات:

- ديوان الشَّاب الظَّرِيف... نظراتٌ ومُستدرَكٌ: عباس هاني الجرَّاخ، مجلة (الذخائر)، العددان ١٣-١٤، السنة الرابعة،١٤٢٣-١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- شعر صدر الدين ابن الوكيل، جمع وتحقيق د. نوري حمّودي القيسي ود. ناظم رشيد، مجلَّةُ (المَورِد)، العدد الثالث، ٢٠٠٩م.
- ما لم يُنشر في شعر الشَّاب الظَّرِيف، تحقيق شاكر هادي شكر، مجلة (المَورِد)، مج ٧، العدد ٣، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- المستدرك على ديوان الشَّاب الظَّرِيف «تحقيق، واستدراك»: د. أحمد عبد المجيد محمد خليفة، مجلة كلية الآداب - جامعة الزقازيق، مج ٥٧، ٢٠١١م.
- ملاحظات على ديوان الشاب الظريف، د. حسن البياتي، مجلة (المربد)، جامعة البصرة، العدد الأول، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

* * *

المقالاتُ والآراء

لمحة إلى كذا
لمحة من كذا
لمحة عن كذا

أ. د. مكي الحسني(*)

في كتابي (نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية) الذي أصدره مجمعنا مشكوراً سنة ٢٠٠٩، كتبت في **الطبعة الأولى** الفقرة / ٥٨/ عن كلمة (لمحة)، جاء فيها نقلاً عن «المعجم الوسيط»:

«**اللمحة**: النظرة العَجْلى. ويقال: رأيته لمحة البرق: قَدْرَ لَمْعةِ البرق من الزمان. ويقال: في فلان لمحةٌ من أبيه: شَبَهٌ» ا هـ.

ويقال: لمحة تاريخية، وأدركه بلمحةٍ واحدة...

وفي «الوسيط» أيضاً:

«لَمحَ البصرُ يلْمَح لَمْحاً وتَلْماحاً: امتد إلى الشيء. ويقال: لمحه ببصره: صَوَّبه إليه. ولمحَ إليه: أبصره بنظرٍ خفيف، أو اختلس النظر فهو لامح...».

ويُصادَف أحياناً التركيب (لمحة موجزة)، فما معناه؟

في الوسيط: «أوجز كلامه وفي كلامه: قَلَّلَهُ واختصره».

وعلى هذا يكون معنى التركيب المذكور:

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

لمحة موجزة: نظرة عجلى قليلة/ مختصرة! وهذا -في رأيي- كلام ظاهر الفساد.

ثم هناك من يقول (لمحة عن كذا)؛ أي: نظرة عجلى عن كذا، وهذا أيضاً كلام غير مستقيم!

وقد أشار محمد العدناني في «معجم الأخطاء الشائعة» إلى هذا فقال: «ويقولون: هذه لمحة عن حياته. والصواب: **لمحة إلى** حياته».

وجاء في «المعجم المدرسي» الصادر عن وزارة التربية في سورية: «ويقال: **لمحة إلى** حياة الأديب».

وأذكُرُ أن الأديب عباس محمود العقاد استعمل في كتاباته (لمحة إلى...) أي نظرة عجلى إلى... وهذا تركيب سليم، إذ يقال (لمح إلى) كما رأينا، مثلما يقال (نظر إلى). كلُّ ما ذكرتُ جاء في الطبعة الأولى من كتابي المذكور آنفاً.

وأُضيفُ الآن ما جاء في مقالٍ لأستاذنا سعيد الأفغاني رحمه الله، عن كتاب «معاني القرآن - للأخفش» نشرته مجلة مجمع القاهرة (الجزء ٤٦ لعام ١٩٨٠)، وهو قوله: «أما الباب الثاني فَحَوى فصلُه الأول **لمحة تاريخية إلى** تفسير القرآن، وشيءٍ من تاريخ التفسير واتجاهاته».

أما في الطبعة الرابعة (الصادرة سنة ٢٠١٨) فبدلاً من العبارة (وهذا كلام غير مستقيم) قلتُ: «وهذا كلامٌ فيه نظر»، وكتبت بضعة سطور...

وسأُفصِّل هنا ما قلته في السطور المذكورة، وذلك بعد أن جرى حديث مطوَّل بيني وبين صديق مختص بالنحو والصرف، هو الدكتور محمود الحسن، الذي يحفظ كثيراً من الشعر، وينظم في بعض المناسبات الخاصة مقطوعات شعرية.

ففي أثناء الحديث، ذكر صديقي شيئاً من الشعر القديم استُعملت فيه كلمة

(لمحة) متعديةً بالحرف (من)، كما ذكر أن في كتب بعض **المعاصرين** المعروفين وردت كلمة (لمحة) متعديةً بـ(عن) في عناوين بعض الفصول... فرجوتُه أن يوافيني بما لديه من الشعر والنثر المتضمن كلمة (لمحة).

من المعلوم أن اللمحة في الأصل مصدر مَرَّةٍ للفعل لَمحَ يلمَحُ، أيْ: نظر نظرة عجلى. يقال لَمحهُ ولمحَ إليه كما ذكرنا. ثم استُعملتِ اسماً دالًّا على الشيء **الذي يُلمح بالنظرة العَجلى، وهو الأصل، ثم توسَّعوا بها فأطلقوها على ما يُرى بالنظر عامةً**، كما في قول بشّارِ بنِ بُرْد (ت ١٦٧هـ):

أُكَلِّمُ **لَمحَةً** في التُربِ **منها** كَلامَ المُستَجيرِ مِنَ العَذابِ[1]

وقولِ أبي نُوَاس (ت ١٩٩هـ):

في البَدرِ **مِن** صَفحتِهِ **لَمحَةٌ** **ولَمحةٌ** في الظّبيِ **مِن** طَرْفِهِ

فالمُرادُ باللَّمحة في بيت بشار صورةٌ لامرأةٍ غابت عنه، ولمّا اشتاق إليها رسم في التراب صورةً لها وجعل يتأملها. وساغَت تسمية الصورة لمحةً باعتبارها شيئاً مَلموحاً، أي: مرئيًّا بالنظر. واللمحة في بيت أبي نواس تعني ما يراه النّاظر من حُسن الوجه وجمال العيون.

فاللمحة في البيتين هي: مصدر مَرَّة للفعل لمَحَ يَلمَح، بمعنى اسم المفعول: المَلموحة، أي: المرئية بالنظر، عُبِّر به عن اسم الذات (صفحةُ وَجْهِه، عَيْنُه)، لدلالتها على مُسمًّى يُدرَك بالحواس. وحين تُستعمَل اللمحة بهذا المعنى **يُمكن تعديتها بـ (من) التي للتبيين**، فيقال: **لمحةٌ من وجهه على**

---

(١) هذا البيت قبله:

ولَمّا فارَقَتنا أُمُّ بَكرٍ وشَطَّت غُربةً بَعدَ اكتِئابِ
خَطَطتُ مِثالَها وجَلَستُ أشكو إلَيها ما لَقيتُ عَلى انتِحابِ

الحقيقة، ولمحةٌ من أخباره وسيرته على المجاز، وجمعها «ملامح» على غير قياس[٢].

ولهذا قالوا: في فُلانٍ لَمحةٌ **من** أبيه: شَبَهٌ.

واستُعمِلت اللمحة – مقترنةً بـ (من) التي للتبيين – أيضاً في معنى الكلام الموجز الذي يمكن – لِوَجازته – أن تستوعبه لمحة، أو النبذة المختصرة، فيُقال: **قرأتُ لمحةً من شعر فلان، ولمحةً من حياته**، جاء في نهاية الأرب: «ولْنذكرْ لُمْعَةً من رسائل البُلغاءِ والفضلاء، **ولمحةً من** أشعارِ الأدباءِ والشعراء»[٣].

أما تعدِّي اللمحة وفق هذا المعنى **بـ (عن) فلم يرد عمَّن يُحتجُّ بفصاحته من القدماء والمتأخرين**، على حين كَثُر في كتابات **المعاصرين**، وفي عناوين الكتب والأبواب والفصول، نحو:

- «**لمحة عن** ابن عباس ومدرسته»[٤].
- **لمحة عن** ابن طباطبا (ت ٣٢٢هـ)[٥].
- «وفي القرآن آية من الآيات أعطتنا **لمحة عن** هذه المسألة»[٦].

ومعظم الذين كتبوا في الأخطاء الشائعة **منعوا هذا الاستعمال**، متمسكين بأن اللمحة **لا يجوز أن تتعدى بـ (عن)**.

وأجاز هذا الاستعمال المجمعيّ المصريّ أحمد مختار عمر في كتابه

---

(٢) ينظر: الخصائص لابن جني (ت٣٩٢هـ)، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١/ ٢٦٨.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت٧٣٣هـ)، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣هـ، ٥/ ١٧١.

(٤) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين الدرويش، ط٤، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص ١٤١٥هـ، ٥/ ٣٠٦.

(٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب لإحسان عباس، ط٤، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣، ص١٣٣.

(٦) تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧، ٧/ ٤١٦٧.

(معجم الصواب اللغوي)، قال: «هذه **لمحة عن** حياته. **الرأي**: مرفوضة عند الأكثرين. **السبب**: لتعدية مصدر الفعل «لَمَحَ» بـ «عن»، والوارد تعديته بـ «إلى». المعنى: نظرة عاجلة. **الصواب، والرتبة**: هذه لمحة عن حياته [صحيحة]، التعليق: الجار والمجرور في الجملة ليس متعلقاً «بلمحة»، وإنما بمحذوف يقع صفة. ويمكن تقدير المحذوف بحسب ما يناسب حرف الجر، ويقدر هنا «مذكورة» ا هـ[٧].

والرأي النهائي أن مَن منع هذا الاستعمال **فحُجَّته صحيحة**، لأنه لم يرد عمّن يُحتجّ بفصاحته من القدماء والمتأخرين، وإنما اقتصر استعماله على كتابات المعاصرين.

وأما مَن أجازه **فحجته كثرة شيوعه** في اللغة المعاصرة، وأُلفة الكُتَّاب والقُرّاء له. وللكاتب أن يختار بين الفصيح وما سواه.

وفي التوجيه النحوي له: لا حاجة لتعليق (عن) بصفة محذوفة للمحة، كما قرَّر أحمد مختار عمر، لأن الصفة المحذوفة يجب أن تكون إما مدلولاً عليها بالسياق، وإما كوناً عامًّا، وتقدير الصفة «مذكورة» ليست كوناً عامًّا ولا يدل عليها السياق، والوجه أن يكون التعليق بكونٍ عامّ هو صفة للمحة، أي: لمحةٌ كائنةٌ عن فلان، ويكون معنى (عن) هو البدل أو النيابة، وهو من معانيها المشهورة، والتقدير: هذه لَمحةٌ عن فلانٍ، أي: هذه كلمة مقولة نيابةً عنه، على اعتبار أنه لو أراد أن يتحدَّث عن سيرته لأتى بالكلام ذاته، فكان واضعُ اللَّمحة نائباً عنه فيها.

* * *

(٧) معجم الصواب اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٨، ١/ ٦٤١.

الاعتراضُ بعْدَ الحضِّ

أ. يوسف مروان البوّاب(*)

الملخَّص:

تعالج هذه النكتة اللغوية نمطاً تركيبيًّا فريداً ورد فيه اعتراضان (ظرفيٌّ، فشَرطيٌّ) بعد «لولا» التي تفيد الحضَّ. ويبدو أنَّ هذين الاعتراضين لم يجتمعا بعد «لولا» إلا في القرآن الكريم؛ إذ أظهر التتبعُ في (المدونة اللغوية للمكتبة الشاملة)(١) انفراد نماذج الحض الأخرى التي وقع فيها الاعتراض بين أداة الحض والفعل - بأحد ذينك الاعتراضين.

وثمة تطوُّرٌ تاريخيٌّ ظهر في استعمال الاعتراض بعد الحضِّ حين استُبدلت بـ «لولا» الأداة: «هلّا»، أو غُلِّبتْ عليها، واقتصر الاعتراض في تلك النماذج على الظَّرف أو على الشَّرط.

البحث:

الاعتراض أسلوب شائع في العربية؛ إذ يقع في أنماط تركيبية متنوعة. ومن المواضع النادرة التي استعمل فيها أنه ورد بعد الرأس الوظيفي «لولا» المفيد للحضّ؛ ففي قوله تعالى في سورة الواقعة [٨٣-٨٧]: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ

(*) ماجستير في اللغة العربية وآدابها.

(١) تضمنت هذه المدونة مئات الكتب في اللغة والأدب والسيرة والتاريخ وعلوم الشريعة ونحوها، وروعي في اختيار هذه الكتب اختلاف عصور تأليفها.

﴿ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، جاء اعتراضان بعد «لولا»؛ إذ التقدير: «فهلّا ترجعون الروح إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين»[٢]، ففُصِلتْ لولا عن فعلها «ترجعونها» بتركيبين: الأول ظرفيّ «إذا بلغت الحلقوم»، والآخر شرطيّ «إن كنتم غير مدينين».

وقد نصَّ ابن هشام على أن «لولا» الثانية الواردة قبل الشرط ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ تكرارٌ للأولى[٣]، وعلى هذا تكون «ترجعونها» جواباً لـ «لولا» الأولى، ويكون ذلك التكرارُ بمنزلة تذكير بـ «لولا» الأولى التي بعُدت المسافة بينها وبين فعلها. ويمكن أن يقال عندئذ: إن وجود «لولا» الثانية لا يؤثر في النمط التركيبي؛ لأنها توكيدٌ لفظي، و«التوكيد غير خاضع للعوامل، فلا محل له من الإعراب»[٤].

والأصل في «لولا» أن تفيد معنى الشرط حين تدخل على الأسماء، أما «إذا كانت مع الأفعال فهي بمعنى (هلّا)، لومٌ على ما مضى، وتحضيض لما يأتي»[٥]، فالنمط الوارد في الآية الكريمة إذن يوجب أن تكون «لولا» على معنى التحضيض.

غير أن مجيء الاعتراض على هذا النحو بعد «لولا» لم يرد إلا في الأنموذج القرآني[٦]، فقد أظهر تتبعُ هذا النمط التركيبي في (المدونة

(٢) ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ٢٧٣.
(٣) المرجع السابق، ٢٧٣.
(٤) بيطار، عاصم، النحو والصرف، ٢٨٣.
(٥) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ٥/ ٢٩٨.
(٦) وردت «لولا» التي تفيد الحض في مواضع أخرى من القرآن الكريم، لكن الاعتراض بعدها كان بالظرف وحده، ومن ذلك: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٣]، =

للمكتبة الشاملة) ورود الأداة «هلّا» لا «لولا»، كما أظهر أيضاً أنَّ الاعتراض الذي يأتي بعد الحض يقتصر على أحد النوعين: الظرف أو الشرط. وبهذا يكون النمط التركيبي (الحض – الاعتراض) في معظم استعمالاته يقوم على أمرين؛ أولهما: غلبة استعمال الأداة «هلّا» للدلالة على الحضّ، بشرط أن يأتي بعدها اعتراض، وإلا فهي و«لولا» في الاستعمال سواء. وثانيهما: الاقتصار على بنية تركيبية اعتراضية واحدة بعد الحضِّ. ويمكن الوقوف على نماذج توضح هذين الأمرين:

١- فمن نصوص السيرة النبوية: «عن أبي موسى قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلَّم في بعض أسفاره... فقلنا: يا رسول الله، أنت بأرض حرب، ولا نأمن عليك، **فلولا- إذ بدتْ لكَ الحاجةُ- قلتَ** لبعض أصحابك، فقام معك...»(٧).

٢- وفي السياق اللغوي يعالج المبرد (٢٨٥هـ) قضية صرفية في (المقتضب) فيقول: «فيُقال لهم: **هلّا - إذا أُعِلَّت العينُ - صُحِّحتِ** اللام»(٨).

٣- وفي السياق الاجتماعي جاء في (الكامل) للمبرد أيضاً: «**هلّا - إذا كنتَ لئيمَ العُطَاسِ - أتْبَعتَ** عطستك صيحةً حتى تخلع بها قلب العلج..»(٩).

= و﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف: ٣٩]، و﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ١٢]، و﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾ [النور: ١٦].

(٧) ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٣٢/ ٤٩٩.

(٨) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، ١/ ١٥٣.

(٩) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، ٢/ ١٢٢. ويحسن التنبيه =

٤- وفي (نثر الدر في المحاضرات) للآبي (٤٢١هـ): «فقال: يا عدو الله، **هلّا - إذا ابتليتَ بالفاحشةِ - عَزلتَ...**»[١٠].

٥- وفي (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء) للراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ): «قال شاعر:

أَعُيَـينُ **هـلّا - إذا أتـى قـدرٌ - كنتَ استغثتَ** بفارغ العقـل»[١١]

٦- وفي السياق السياسي ذكر الزمخشري (٥٨٣هـ) في (ربيع الأبرار ونصوص الأخيار): «فقال الأمويون: **هلّا - إنْ كانتْ هـذه القضيةُ عندكَ - بدأتَ** بها قبل التحزُّب. فقال معاوية: لما رأيتهم كذلك ذكرت...»[١٢].

٧- وفي (غرر الخصائص الواضحة) لأبي إسحاق الوطواط (٧١٨هـ): «كان للمأمون خادم يسرق طسَّه الذي يتوضأ فيه، فقال له يوماً: **هلّا - إذا سرقتَ - تأتيني** بما تسرقه فأشتريه منك...»[١٣].

= على أنه قد يأتي في بعض الروايات الظرف «إذ» بدلاً من «إذا»، ولا ضير في ذلك فكلاهما ظرف، والغرض من هذه الأمثلة تتبع ورود الظرف أو الشرط بعد الحض. ومن أمثلة مجيء «إذ» ما جاء في البيان والتبيين: «ويلك هلّا إذ كنت ضيق المنخر كز الخيشوم أتبعتها بصيحة تخلع بها قلب العلج» الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ١/ ١٢٢.

(١٠) الآبي، منصور بن الحسين، نثر الدر في المحاضرات، ٤/ ٢٢٢.

(١١) الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ١/ ٣٣٦، وذُكر في البيان والتبيين أبياتٌ تشبهها نُسبت إلى مالك بن أسماء بن خارجة: «أعيـينُ هـلّا إذ شغفت بها ..... كنت استعنت بفارغ العقل». الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ٢/ ٢٩. وكذلك في: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ١/ ٣٢.

(١٢) الزمخشري، جار الله، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ٤/ ٣٣٤.

(١٣) الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم، غرر الخصائص الواضحة، ٧٩.

٨- وفي (المحاضرات والمحاورات) للسيوطي (٩١١هـ): «**فهلّا - إذا قضى اللهُ حبَّ المالكيّة - وَلَّيْتُم** على المسلمين ذا نفسٍ زكية»[١٤].

يتبين من النماذج السابقة تغليب استعمال «هلّا» على «لولا» في التراكيب التي ورد فيها اعتراض، مع أنهما رأسان وظيفيان لمعنى واحد، لكنَّ الاعتراض رجَّح مجيء «هلّا»، ويبدو من التسلسل الزمني أن استعمال «لولا» في ذلك السياق توقف عند النصوص القديمة للسيرة النبوية، ثم حلَّتْ «هلَّا» فيما تلاها من النصوص.

ويلاحَظ أن الاعتراض الوارد في تلك النماذج على وجهين: إما ظرفي، وإما شرطي؛ وبهذا يتأكد ما ذُكِر من تفرد القرآن الكريم بالجمع بينهما بعد «لولا».

ولعل إنتاج أمثلة أو تراكيب أو صور تركيبية تحاكي ذلك النمط الفريد (أي: ثنائية الاعتراض بعد «لولا») أمر ممكن، فيمكن القول مثلاً: ومن شأن المسلم أن يكون وقّافاً عند حدود الله، وربما يعتريه الضعف فتزلّ قدمه، فلولا - إذا عصى ربَّه، إنْ كان تقيًّا - يندمُ ويستغفر[١٥].

* * *

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الآبي، منصور بن الحسين، نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ٢٠٠٤م.

(١٤) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المحاضرات والمحاورات، ١/ ١٩٨.

(١٥) يمكن أن تُستعمل الأداة «هلّا» أيضاً.

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط١، ٢٠٠١.
- الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ط١، ١٩٩٩م.
- بيطار، عاصم، النحو والصرف، منشورات جامعة دمشق، دمشق ط٥، ١٩٩٧م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.
- الزمخشري، جار الله، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط١، ١٩٩١م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المحاضرات والمحاورات، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١، ٢٠٠٣م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ط٤، ١٩٩٧م.
- ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق ط١، ١٩٩٨م.
- الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم، غرر الخصائص الواضحة، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ٢٠٠٨م.

التعريفُ والنقد

بل هو أسلوب صحيح فصيح

أ. د. عبد الناصر عسَّاف(*)

نُشِرَت في مجلة المجمع في عددها المزدوج (ج١و٢، م٩٢، ٢٠١٩) مقالة لأحد الباحثين بعنوان (ما هو جوابك؟ مَنْ هو زيد؟) عُنِيَ فيها الباحث بتفنيد أسلوب لغويّ شائع، يختصره المثالان اللذان عنون بهما مقالته، وهو أسلوب قائم على الفصل بين اسم الاستفهام «ما» أو «مَن» وبين الاسم المستفهَم عنه بضمير الغائب «هو» وفروعه. وكان بذلك يتعقّب رأياً رأيتُه في كتيّب (من صحيح القول وفصيحه) الذي صدر لي عن الهيئة العامّة للكتاب في وزارة الثقافة، أجزت فيه هذا الأسلوب بما بدا لي من بيّنات من سماع أو قياس.

وقد حاول الكاتب في مقالته أن يُزريَ بهذا الأسلوب وأن ينتقده، ويهدم الأسس التي قام عليها بالسماع تارة، وبالقياس تارة أخرى؛ وانتهى بعد مناقشة واستدلال إلى أنّ الاستعمال الدارج على الألسنة والأقلام في هذا العصر مرجوح، يمكن أن يُلتمَس له وجه من الصحّة بإعراب «مَن» الاستفهامية مبتدأ، والضمير بعده مبتدأً ثانياً؛ وأنّ الاستعمال اللغوي الفصيح الراجح القويّ هو الذي يستغني عن الضمير بين اسم الاستفهام والمستفهَم عنه، أي: ما جوابك؟ ومن زيدٌ؟.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

وقد نويت حين نُشِرت تلك المقالة، وقد نظرتُ فيها مراراً، ووجدتُ فيها الكثيرَ مما يدعو إلى الردّ، أن أردّ عليها بما يجب، وأبيّن عوارها، بيد أنّي تركت ذلك؛ لئلّا يغلب على ذلك هوى من هوى النفس.

حتى إذا مضى زمن على ذلك، لم أرَ فيه من يبيّن ما انطوت عليه تلك المقالة، وفيها ما فيها؛ وأخذَ بعضُ طلبة العلم يسألني عن صحّة ما ورد فيها، وجعل نفرٌ من الباحثين وطلبة العلم يستندون إليها، يغتمزون بها رأيي، ورأيَ مجمع اللغة العربية بدمشق في قراره الذي نصّ فيه على: «فصاحة استعمال ضمير الرفع المنفصل (هو) في هذا الأسلوب، على أنّه ضمير فصل، أو مبتدأ ثانٍ.» =رأيت من الأمانة والواجب أن أبيّن ما انطوت عليه تلك المقالة، وما قام فيها من أشياء في الحكم والاستنتاج والاستدلال، تحول دون الاطمئنان إلى ما فيها، والاعتماد عليه.

١) ساق الباحث [ص١٢٣-١٢٥] بضعة وعشرين شاهداً من القرآن الكريم والحديث النبويّ وكلام العرب، معظمها من شواهد الاحتجاج، لم يُفصَل فيها بين اسم الاستفهام «ما» أو «مَن» والاسم المستفهم عنه بالضمير؛ ثمّ علَّق عليها بقوله: «فالنصوص السالفة تشهد أنّ الضمير لا يُستخدَم بين اسم الاستفهام والمستفهَم عنه.».

وهذه مغالطة؛ لأنّ هذه النتيجة تعني أنّ كلام العرب دالٌّ على منع استخدام الضمير بين اسم الاستفهام والمستفهَم عنه. وهذا خُلْفٌ من القول؛ لأنّ هذه النصوص تعلن صحّة ما كان فيها، وما كان على شاكلته، وفصاحتهما، ولا تمنع الفصلَ بالضمير بين اسم الاستفهام المقصود والمستفهَم عنه؛ فهي دليل إثبات لما كان فيها، لا دليلَ منعٍ لما غاب عنها. والمنعُ لذلك يحتاج إلى ما ينبغي من أسبابه وبيّناته الصحيحة الكافية.

ولو نظرت فيما نثر الكاتب من جَعبته في تلك المقالة لما وجدت فيه دليلاً صحيحاً يقطع بنفي ورود هذا الأسلوب في كلام العرب، أو نفي جوازه، ومنعه؛ وما وجدت في ذلك النُّثار ما يثبت للنقد، وذلك ما يكون الكلام عليه بعدُ؛ فكيف إذا زدت على ذلك بعضَ ما يشهد بورود ذلك في كلام العرب؟.

- في خبر ملك حُجْرٍ على بني أسد الذي ساقه ابن قتيبة[(١)] أنّهم قالوا لكاهنهم: «من هو ربّنا؟».

- وفي قول الأحنف بن قيس[(٢)]: «فإذن ما هو ذنبنا؟».

وقد كان هذان الشاهدان ممّا شهد للمجمع في قراره بفصاحة هذا الأسلوب، وهما دون شكٍّ دالّان على أنّ هذا الأسلوب أسلوب قديم، لكنّه قليل.

ثمّ إنّ هذا الأسلوب كما يدلّ كلامُ جماعة من علماء العربيّة والمفسرين ومعربي القرآن واردٌ في القرآن الكريم في موضعين: في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥]، وقوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]؛ فقد ذهبت تلكم الجماعة إلى أنّ «مَن» في الموضعين يجوز أن تكون استفهاميّة، نصّ على ذلك بعضهم نصًّا، ودلّت عليه عبارة الآخرين في تفسير المعنى وتقدير الكلام إشارة ومفهوماً واقتضاءً. وقولهم في الحالتين - وهو ما لم ينازعهم فيه شكٌّ، ولم ينتقده أو يزرِ به أحد من أهل العلم - شهادةٌ بإثبات هذا الأسلوب في نصّ القرآن الكريم، دالّة على صحّته وفصاحته.

وهذه بعض النصوص الدالّة على ذلك:

---

(١) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ١/ ١٠٦.

(٢) انظر: المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي، ١/ ٤٦.

قال الفرّاء[٣]: «وقوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ١٣٥]: «مَنْ» و«مَنْ» في موضع رفع. وكلّ ما كان في القرآن مثله فهو مرفوع إذا كان بعده رافع مثل قوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]، ومثله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ [الكهف: ١٢] ومثله: ﴿أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥]. ولو نصب كان صواباً، يكون بمنزلة قول الله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].».

والمفهوم من كلام الفرّاء جوازُ أن يكون «مَنْ هو» في قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥]، وما إليهما = استفهاماً، لأنّه نصَّ على جواز كون كلّ ما كان كذلك مرفوعاً، إذا كان بعده رافع؛ وجواز أن يكون منصوباً. وتأمّل ذلك يدلّنا على أنّ «مَنْ» في هذا التركيب تكون موصولة إذا كانت في محلّ نصب؛ فإذا كانت في محلّ رفع كانت استفهاميّة.

وهذا الحكم الكلّيّ الذي يدلّ عليه قولُ الفرّاء يستوعب قوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥]، ومن ثمّ يدلّ على جواز أن يكون الكلام في هذه الآية مبنيًّا على الاستفهام. وهو ما يعني بأخرة أنّ وقوع هذا التركيب الاستفهاميّ الذي كان فيه ضمير الرفع المنفصل «هو» بين اسم الاستفهام والمستفهَم عنه في القرآن الكريم جائز بلا تثريب.

وقال أبو جعفر النحاس[٤]: «﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]: «من»: في موضع رفع بالابتداء، والجملة خبره؛ لأنها استفهام، ولا يعمل في الاستفهام ما قبله، ويجوز أن يكون في موضع نصب ويكون بمعنى الذي.».

(٣) معاني القرآن، الفراء، ٢/ ١٩٧.

(٤) إعراب القرآن، النحاس، ٤/ ٤٧٣.

وقال الكرماني[٥]: «قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ﴾..، ومحلّ «مَنْ» نصب، وهو موصول، وإن جعلت «هو» فصلاً وعماداً، فـ «من» رفع بالابتداء ﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾ خبره، والفعل قبله مُعلَّق».

وقال أبو البقاء العكبريّ[٦]: «﴿مَنْ هُوَ﴾ فيها وجهان:.... الثاني: هي استفهام، و«هو» فصل، وليست مبتدأ».

وقال أبو حيان[٧]: ««مَنْ»: موصولة مفعولة بقوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾، وتعدى إلى واحد؛ أو استفهامية، والفعل قبلها معلّقٌ، والجملة في موضع نصب.».

وقال السمين الحلبيّ[٨]: «و ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ يجوز أن تكون «مَنْ» موصولةً بمعنى الذي، وتكونَ مفعولاً لـ «يَعْلَمون». ويجوز أن تكونَ استفهاميةً في محلّ رفعٍ بالابتداء، و«هو» مبتدأٌ ثانٍ، و«شَرٌّ» خبرُه، والمبتدأُ والخبرُ خبرُ الأول. ويجوز أن تكون الجملة مُعَلّقة لفعل الرؤية، فالجملة في محلّ نصب على التعليق».

وقال الشنقيطي[٩]: «ولفظة «مَنْ» من قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ﴾، قال بعض العلماء: هي موصولةٌ في محلّ نصب على المفعول به لـ «يَعْلَمُونَ». وعليه فـ «عَلِمَ» هنا عِرفانيّة تتعدّى إلى مفعول واحد. وقال بعض أهل العلم: «مَنْ» استفهاميّةٌ، والفعل القلبيُّ الذي هو «يَعلمون» مُعَلَّقٌ بالاستفهام. وهذا أظهر عندي.».

---

(٥) غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، ٢/ ٧٠٦.

(٦) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ٢٥٤.

(٧) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٤/ ٤٨١.

(٨) الدر المصون، السمين الحلبي، ٧/ ٦٣٣.

(٩) أضواء البيان، الشنقيطي، ٤/ ٤٥٢.

ونصّ الدكتور فخر الدين قباوة[١٠] على أنّ «من» استفهامية في الموضعين لطلب التعيين في محلّ رفع مبتدأ، وأنّ الضمير في الموضع الأوّل في محلّ رفع مبتدأ ثانٍ خبره «شرٌّ»، والجملة «هو شرٌّ مكاناً» خبر لاسم الاستفهام، وهو - أي: الضمير - في الموضع الثاني ضمير فصل وتوكيد لا محلّ له من الإعراب.

وقال مقاتل بن سليمان[١١]: «﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يعني: شر منزلاً، ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ يعني: وأقل فئة: هم أم المؤمنون؟.».

وقال يحيى بن سلام[١٢]: «قال: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ [مريم: ٧٥] عند ذلك ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [مريم: ٧٥] أهم أمِ المؤمنون، ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥] في النّصرة والمنعة، أي: إنّهم ليس لهم أحدٌ يمنعهم من عذاب اللَّهِ.».

وقال الطبري[١٣]: «﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ ومسكناً منكم ومنهم، ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: أهم أم أنتم؟».

وقال السمرقندي[١٤]: «قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني: في الآخرة من العذاب والثواب ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ يعني: قيام الساعة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ يعني: فسيعرفون يوم القيامة ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يعني: صنيعاً في الدنيا، ومنزلاً في الآخرة ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ يعني: أقل عدداً وقوة ومنعة، أهم أم المؤمنون.».

---

(١٠) المفصل في تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير الجلالين، تح: د. فخر الدين قباوة، ١١٤٤، ١٩٩٣.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، ٢/ ٦٣٧.

(١٢) تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام، ١/ ٢٤٠.

(١٣) جامع البيان، الطبري، ١٥/ ٦١٥.

(١٤) بحر العلوم، السمرقندي، ٢/ ٣٣٢.

وقال الثعلبي[١٥]: «﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، أي: فليدعه في طغيانه ويمهله في كفره ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾، يعني: القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ أهم أم المؤمنون.».

وقال مكيّ[١٦]: «قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، أي: مسكناً، منكم ومنهم؛ ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: أهم أم أنتم؟ يعني: إذا نصر الله المؤمنين.».

وقال الواحدي[١٧]: «فسيعلمون حينئذ ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [مريم: ٧٥] أهم أم المؤمنون، لأن مكانهم جهنم، ومكان المؤمنين الجنة، ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ وهذا ردٌّ عليهم في قولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].».

هذه الأقوال، ومثلها معها، مع كثرة القائلين بها، دونما تعقّب أو ردٍّ أو انتقاد، تُعدّ دليلاً مؤذناً بجواز الاستفهام جوازاً لا عيب فيه، ومن ثمّ يدلّ على أنّ وقوع الضمير - «هو» وفروعه - فاصلاً بين الاستفهام بـ«من» أو «ما» وبين المستفهم عنه جائز صحيح فصيح، بل لك أن تسِمَه بأنّه أسلوب قرآني دون شكّ. ولو بدا للعلماء والمعربين والمفسرين فيه أدنى شكّ لما حملوا كلام الله سبحانه عليه في الموضعين.

---

(١٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ٦/ ٢٢٨. وانظر فيه: ٩/ ٣٦٢.

(١٦) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيسي،٧/ ٤٥٨٢ ـ ٤٥٨٣.

(١٧) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي،٣/ ١٩٣؛ وانظر فيه: ٤/ ٣٣١؛ وانظر أيضاً: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي،١/ ٦٨٧؛ وانظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٥/ ٢٥٣، و٨/ ١٨١؛ وزاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٨٩٥، ١٤٥٨، ولباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٣/ ١٩٦، و٤/ ٣٢١.

ولـذلك ينبغـي أن يُحكَـم علـى مـا جـرى علـى هـذا النسـق مـن كـلام المتأخّرين وشعرهم، ومنه ما استأنست به في تأييد هذا الأسـلوب مـن شـعر المعرّي وابن رزين والسراج الوراق، وهو ما غمـز منـه الباحـث فـي مقالتـه؛ لأنّهم متأخرون لا يُحتجّ بكلامهم =بالجواز والصحّة، فمثلُـه امتـداد طبيعـيّ لذلك، وإذا لم يحظ بظلال الفصاحة في حدّها الزمني (زمن الاحتجاج) فقد قامت الصحّة فيه مقام الفصاحة ونابت عنها.

٢) كان ممّا أيّدتُ به رأيي في صحّة هذا الأسلوب فـي ذلكـم الكتيّـب، وفي المذكّرة التي كانت بين يدي قرار المجمع، قولُه تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥]، إذ قلت: «ربّما كان بين هذا الأسـلوب وبين قوله تعـالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥] وجهُ مضاهاة يرقى به إلى مرتبة مضاهاة الفصيح، ويقرّب توجيهه وتفسيره. ويبدو لك ذلك إذا عرفت رأيَ بعض العلمـاء فـي توجيـه هـذه القطعـة مـن الآيـة: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾».

وقد سقتُ من كلام أولئك العلماء ثمّة قول جامع العلوم الباقولي الذي نصّ على أنّه[١٨] «لا يكون «مَـنْ» اسـتفهاماً هنـا إلّا أن تجعـل «هـو» فصـلاً، وتقـدِّر: فسـيعلمون أيُّهـم شـرٌّ مكانـاً وأضـعفُ جنـداً؛ والفصـلُ بـين كلمـة الاستفهام وبين خبره عزيز قليل لا يقاس عليه».

وقولَ الكرمانيّ والعكبريّ[١٩] اللذين نصّا علـى جـواز أن تكـون «مـن»

(١٨) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، جامع العلوم الباقولي، ٢/ ٨٠٧.

(١٩) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، ٢/ ٧٠٦؛ والتبيان في إعراب القرآن، العكبري، ٢٥٤.

اسم استفهام مبتدأً، و«هو» فصل، و ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ خبره، دون أن يقيّدا ذلك بقليل أو كثير؛ وقولَ السمين الحلبيّ[٢٠] الذي أجاز أن تكون «مَن» استفهاميةً في محلّ رفع بالابتداء، و«هو» مبتدأً ثانياً، و«شَرٌّ» خبره، والمبتدأُ والخبرُ خبرُ الأول.

وقد بدا للباحث في ذلك ما بدا فاستنفر قواه لردّ ذلك، وسعى ينقض ذلك ويفنّده، فهل أصاب فيما أراد؟ وهل كان موفّقاً في سعيه؟.

أ- رأى الباحث أنّ إعراب «هو» في هذه الآية ضمير فصل، إذا أعربت «مَن» استفهامية مبتدأ، غيرُ جائز من حيث الغرضُ من هذا الضمير وشرطه؛ لأنّ الغرض من دخول الفصل في الكلام كما نقل الباحث من كلام ابن يعيش «إرادةُ الإيذان بتمام الاسم وكماله، وأنّ الذي بعده خبرٌ، وليس بنعت. وقيل: أُتي به ليؤذن بأنّ الخبر معرفة أو ما يقاربها من النكرات.».

ثمّ أوغل في ذلك، فنسج بما أدّاه إليه تصوّرُه هذين السؤالين: «إذا أُعرب الضمير في الآية ضمير فصل أُعرِب اسم الاستفهام «من» مبتدأً، فهل يمكن أن يستقلّ هذا الاسم ويكون تامًّا كما يكون «زيد» في قولنا: زيد هو القائم؟ إذا قلنا: «زيد». الجواب بالنفي لا ريب. وهل يجوز أن يُتصوَّر أن الاسم الذي يلي «مَن» الاستفهامية نعت لها، فجاء ضمير الفصل ليرفع هذا التصوّر؟ والجواب أيضاً بالنفي.».

وقد عبّر عن ذلك بصياغة أخرى إذ قال: «فالقصد من ضمير الفصل البعد عن الغموض وتمييز النعت من الخبر، واسم الاستفهام لا يُنعَت، ولا يتمّ معناه بنفسه، فكلا الأمرين غيرُ سائغ.».

هكذا قال. وفي مقالته نظر من وجهين:

---

(٢٠) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٧/ ٦٣٣.

١- جرى الباحث فيما قاله في غرض ضمير الفصل، وهو الفصل بين الخبر والنعت، والإيذان بأنّ ما بعده خبر لما قبله لا نعت له، على الرأي الشائع، وهو رأيٌ غيرُ مطّرد لا يستوعب كلَّ ما كان فيه ضميرُ فصلٍ من كلام العرب؛ ولذلك رأيت بعضَ علماء العربيّة يستدركون على ذلك، ويصحّحون أمره بحيث يطّرد ويستوعب.

قال ابن مالك(٢١): «...فسمِّي فصلاً للفصل به بين شيئين لا يستغني أحدهما عن الآخر، ولانفصال السامع عن توهّم الخبر تابعاً. وسمِّي عماداً لأنه معتمد عليه في تقرير المراد ومزيد البيان. وذكْرُ «التابع» أَولى من ذكر «النعت»، لأن الضمير المشار إليه قد يقع بعد ما لا يُنعَت، وقبل ما لا يُنعَت به.».

وقد فضّل ابن هشام ذلك فقال(٢٢): «في فائدته، وهي ثلاثة أمور: أحدها لفْظِيٌّ، وهو الإعلام من أوّل الأمر بأنّ ما بعده خبرٌ لا تابع؛ ولهذا سُمِّي فصلاً؛ لأنّه فصل بين الخبر والتّابِع، وعماداً؛ لأنّه يَعتمِد عليه معنى الكلام. وأكثرُ النّحويين يقتصر على ذكر هذه الفائدة، وذكْرُ «التّابِع» أولى من ذكْر أكثرهم «الصّفة»؛ لوقوع الفصل في نحو ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [المائدة: ١١٧]، والضمائر لا تُوصَف.».

وقال السيوطي(٢٣): «وهذا أحسنُ؛ لأنّه قد يُفصَل حيث لا يصلح النّعت نحو: «كنت أَنْت الْقَائِم»؛ إذ الضّمير لا يُنعَت.».

لذلك يمكن القول: إنّ ما منعه الباحث جائزٌ غير ممتنع على أَولى الضابطين؛ ليس فيه ما يُعدّ خرقاً له أو خروجاً عليه.

(٢١) شرح التسهيل، ابن مالك، ١/ ١٦٧.

(٢٢) مغني اللبيب، ابن هشام، ٢/ ٥٤٩.

(٢٣) همع الهوامع، السيوطي، ١/ ٢٢٧.

ثمّ إنّ ما أورده الباحث على كون «هو» في الآية ضميرَ فصل بعد إعراب «من» اسم استفهام مبتدأً = لا يلزم على الوجه الشائع في غرض ضمير الفصل؛ لأنّ اسم الاستفهام «من» ليس ممّا يوصف، فلا يندرج فيه.

وأنسبُ ما يؤيّد هذا عندي استدراكُ أبي حيّان في كلامه على ضمير الفصل وبيان غرضه.

قال[٢٤]: «ولا يُرَدُّ على هذا بقولهم: «أنت القائم» لكون «أنت» لا يصِحُّ أن يوصف؛ لأنهم لمّا وجدوا ذلك في بعض الأسماء حُمِل سائرُ الباب عليه. وقيلَ: الأولى أن يقال: فُصِل به بين الخبر والتابع حتى يكون «التابع» أعم من «النعت»؛ إذ يقع الفصل بعد ما لا يُنعَت وقبل ما لا يُنعَت به.».

ولك على ذلك أن تقدّر أنّ الغرض من ضمير الفصل في ذلك كان الإيذان بأن الخبر معرفة.

٢- الموازنة التي عقدها الباحث بين المبتدأ «زيد» إذا نُزِع من جملته «زيد هو القائم»، و بين «من» الاستفهامية إذا أُعربت في تلكم الآية مبتدأً، ونُزعت من سياقها، - وهي موازنة أوحى الباحث فيها للقارئ أنّ كلمة «زيد» في ذلك تامّة مستقلّة، خلافاً للمبتدأ الآخر «مَن»، وهو إيحاء يوهم القارئ بانتفاء صلاحية أن تكون «مَن» الاستفهامية في الآية مبتدأ = ليست مبنية على تصوّر صحيح وتقدير محكم؛ لأنّ المبتدأ، أيّ مبتدأ، إذا نُزِع من جملته، وبان عن علاقته الإسنادية، فكان فرداً مستقلاً، فقَدَ دلالته الوظيفية التي تنتجها علاقات التركيب وموقعه الإسنادي، وتؤدّي إلى معنى نحويّ تامّ، واقتصر على دلالته الإفرادية المعجمية، وهي دلالة العرف التي تواضع عليها مستعملو اللغة.

---

(٢٤) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، ٢/ ٢٨٥.

و«من» الاستفهامية و«زيد» اللذان وازن بينهما الباحث في ذلك إذا كانا حرّين مستقلّين سِيّان. والفرق الظاهر بينهما منشؤه الدلالة المعجمية الإفرادية؛ لأنّ دلالة اسم العلم «زيد» واضحة، ودلالة «من» الاستفهامية كسائر أسماء الاستفهام مبهمة غير محدّدة، لا تدلّ على معنى واضح، إذا نُزعت من التركيب الذي تكون فيه؛ وليس لذلك الفرق علاقة بالموقع الإعرابيّ كما حاول أن يُخيِّل الباحث، وكيف يكون كذلك، وهما بمعزل عن التركيب وعلاقة الإسناد؟.

وبذلك يبدو أنّ ما قاله الباحث في ذلك (تشويش) لا يثبت للنقد، وأنّ إعراب «مَن» الاستفهامية في الآية الكريمة مبتدأ، مع إعراب «هو» ضمير فصل، جائز في التصوّر النحويّ غير ممتنع. ولك أن تؤيّد ذلك بمذهب من ذهب من العلماء إلى هذا الإعراب في هذه الآية الكريمة دون ردٍّ أو تعقيب. فأنّى لبذرة الشكّ التي حاول أن يبثّها الباحثُ في ذلك الرأي أن تثمر ويُكتبَ لها الحياة؟.

ب- استعرض الباحثُ أقوالَ العلماء التي سقتُها في توجيه «من» في تلك الآية على وجه الاستفهام استعراضاً خالطه من لدن الباحث ما لا يُسلّم به. وهذا ما بدا لي من ذلك:

١- نسب الباحث إلى العكبري والكرماني في إعراب ﴿من هو شرٌّ مكاناً﴾ من الآية الكريمة أنّهما أجازا أن تكون «من» اسم استفهام، وأن يكون الضمير «خبراً»، أو ضمير فصل.

وفي هذا ما لا يصحّ. فإذا أراد الباحث أنّ الضمير «هو» يكون خبراً لاسم الاستفهام؛ فذلك شيءٌ لم يقل به أحد من العلماء. وإذا أراد أن يكون الضمير مبتدأ ثانياً، وغلبه السهو فقال: خبراً =فذلك ما لا يدلّ عليه كلام

العكبري والكرمانيّ نصًّا أو إشارة. بل إنّ العكبريّ نفى ذلك نصًّا، إذ قال: «وهو فصل، وليس مبتدأً».

٢- سياقة قول العكبري والكرماني الذي أعربا فيه «مَن» اسم استفهام مبتدأً، و«هو» ضمير فصل إعرابَ المطمئنّ الواثق الذي لا يخالطه فيه شكّ، ولا يزعزع يقينه فيه شيء من حيث الصناعة أو المعنى =سياقةً خلت من أيّ احتفال أو اهتمام به، هو ضربٌ من التحكّم، أراد منه الباحث أن يؤيّد ما رآه وكان يدافع عنه من أنّ هذا الإعراب ضعيفٌ فيه ما ينحطّ به عن حدّ القبول. وقد بدا لك في ذلك ما بدا من وهم وتخليط يقودان إلى تداعيه وانهياره.

٣- ساق الباحث قولَ السمين الحلبيّ الذي أجاز فيه أن تكون «مَن» استفهاميةً في محلّ رفع بالابتداء، و«هو» مبتدأً ثانياً، و«شَرٌّ» خبره، والمبتدأُ والخبرُ خبرُ الأول؛ دون أن يعبأ به، ويتبنّاه، وهو رأي خالٍ ممّا يطعنه ويَعيبه؛ ثمّ عطَفَ عليه الباحث بقوله: «ولم يذكر إعراب «هو» ضمير فصل.». كأنّه يوحي للقارئ أنّ السمين ترك ذلك لما كان له فيه من مغمز.

هذا ما كان، وكلّ ذلك يحرّكه التحكّمُ والانتقاء المقصود الذي يبدو لك فيه الزهدُ في روافد (الموضوعية والإنصاف) من وراء وراء يلوذ بظلاله.

جـ- احتفى الباحث بقول جامع العلوم الباقولي الذي قيّد فيه كونَ «مَن» استفهاميّة في الآية الكريمة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥] بجعل «هو» ضمير فصل، وبما عقّب به على ذلك من أنّ «الفصل بين كلمة الاستفهام وبين خبره عزيز قليل لا يقاس عليه». وقال الباحثُ معقّباً على ذلك بقوله: «فإذا لم يجز أن يكون الضمير ضمير فصل فـ«مَنْ» لا يجوز أن تكون اسم استفهام؛ لانّ إعراب الضمير ضمير فصل مرتبط بإعرابها اسم استفهام.».

ثمّ أخلد الباحث إلى أنّ «من» في هذه الآية اسم موصول، ونهض يمكّن ويستدلّ له، ويذبّ عنه، فقال: «وممّا يؤيّد إعراب «من» في الآية اسماً موصولاً ذكْرُ الضمير بعده، وهذا الضمير هو العائد على الاسم الموصول، وحذفه قبيح»؛ ثمّ نقل من كلام ابن جنيّ وابن يعيش النصّ على أنّ حذف هذا الضمير العائد ضعيف قبيح، أو ضعيف جدًّا. فكان بذلك يتّخذ من ثبوت الضمير دليلاً على أنّ «مَن» اسم موصول، لا اسم استفهام.

ثمّ أيّد إعراب «من» في تلك الآية اسماً موصولاً بما قاله الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩] إذ قال: «فستعلمون أيّها المشركون بالله الّذي هو في ذهاب عن الحقّ، والّذي هو على غير طريق مستقيم منّا ومنكم إذا صرنا إليه، وحُشِرنا جميعاً.».

قال الباحث: «فظهور الاسم الموصول الذي في كلامه دليل على موصولية «من» في الآية، ولم يشر إلى أنّها استفهامية.».

وزاد الباحثُ على ذلك أنْ عدَّ تلك الشواهد التي ذكرها في مبتدأ مقالته، وكانت خالية من الضمير بعد اسم الاستفهام، قرينة قويّة على أنّ إعراب «من» في تلك الآية من سورة مريم اسماً موصولاً هو الوجه.

هكذا قال الباحث، وفي كلامه لو فُحِص بعين الناظر المتأنّي أشياء لا تثبت للنقد. وهذا الدليل:

١- تسليم الباحث بما رآه جامع العلوم الباقوليّ من تقييد كون «من» اسم استفهام مبتدأ بكون الضمير «هو» ضمير فصل دون مناقشة = ثمرة تحكّم؛ قبِل الباحثُ بذلك وسكت عنه؛ لأنّه يحقّق له بعض ما أراده، ويجد فيه متّكأً لرأيه الذي ارتآه، ولو كان واهياً لا يقوم. ولو كان الباحث بمعزل من التقليد والتحكّم لناقش ذلك، ولعرف أنّه رأيٌ مرسل ليس له دليل يؤيّده

ويؤكّده، وأنّ كون «مَن» استفهامية في الآية لا يتوقّف على كون الضمير الذي بعدها ضمير فصل، بل يجوز أن تكون «من» استفهامية مبتدأً، مع كون الضمير «هو» مبتدأ ثانياً، خبره الاسم الذي بعده، وكون الجملة خبراً للمبتدأ الأول. وهذا مذهب بعض العلماء في هذه الآية، أو في قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]، وهو مذهب سلم ممّا يُنتقَد به ويُعاب، فلا تجد أحداً يردّه أو يفنّده.

٢- الظاهر من كلام الباقولي جواز أن تكون «من» في الآية اسم استفهام مبتدأ، والضمير «هو» ضمير فصل؛ وأنّ الآية دليل عليه، وهي لذلك دليل سماع؛ لكنّ الفصل بين اسم الاستفهام وخبره بضمير الفصل كما دلّ تعقيبه قليل عزيز لا يقاس عليه. ولو أراد الباقوليّ أنّ ذلك مقتضى القياس، وأنّه ممتنع غير جائز لصرّح، ولما لفّ ودار. لكنّ الباحث أبى إلّا أن يفهم من كلمة جامع العلوم أن ذلك توجيه قياس، وأنّه لذلك لا يجوز ولا يعتدّ به. ولذلك اجترأ الباحث في خاتمة مقالته دون دليل قاطع أن ينسب إلى جامع العلوم «دفعه هذا الوجه»!.

وليس لمعترض أن يعترض بأنّ هذا قليل عزيز، ومثله لا يكون في القرآن، وأنّ القرآن منزّه عنه؛ لأنّ ورود ما نصّ العلماء من كلام العرب على قلّته في القرآن ثابت بشهادة العلماء، وليس مجيئه فيه مغمزاً. وليس المقام هاهنا لبيان ذلك والاستدلال له.

ثمّ لو سلّم المرء جدلاً بما رآه الباحث من أنّ ذلك قياسٌ اقتاسه الباقوليّ لوجب أن يسلّم بأنّ الأصل المقيس عليه ثابت ثبوتاً قطعيًّا، وأنّه صحيح، ولو قلّ وعزّ؛ ولوجب أن يؤمن بأنّ هذا الأسلوب ثابت صحيح؛ فمدار الخلاف إذن ليس في ثبوت الأسلوب وصحّته، بل في درجة استعماله وانتشاره.

٣- الظاهر أيضاً أنّ تعقيب الباقوليّ ليس دليل جرح لهذا التوجيه، بل هو وصف للواقع اللغوي مطابق له؛ لأنّ ما كان على ذلك ممّا ورد في كلام العرب قليل، ومنه هاتان الآيتان اللتان تعدّان شاهدين عليه: قوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥]، وقوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]. لكنّ الباحث اتّخذ من هذا التعقيب دليل جرح ومنع لحمل الضمير في هذه الآية، وفي هذا الأسلوب، على أنّه ضمير فصل؛ ورتّب عليه منْعَ مجيء «مَن» الاستفهامية مع هذا الضمير.

٤- الاستدلال بذكر الضمير بعد «من» في ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ على كون «من» اسماً موصولاً هو من قبيل الاستدلال على أحد الجائزين، لا على أنّه معيّنٌ لأحد الوجهين؛ بدليل أنّ بعض العلماء نصّوا على جواز الوجهين في «من»: أن تكون اسم استفهام، وأن تكون اسماً موصولاً. والسكوت في كلام بعض العلماء عن أحد الوجهين ليس دليل منع. بل إنّ كثرة حمل «من» في هذه الآية على وجه الاستفهام، كما تدلّ أقوال العلماء والمفسرين، دون ردّ أو تفنيد، مؤيّدٌ قويّ لجواز كونها استفهامية. ومن ثمّ لا يجوز أن يقال: إنّ الضمير عائد على الاسم الموصول إلّا على وجه.

٥- استشهاد الباحث بما قاله الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩] الذي حمل فيه «من» كما تدلّ عبارته على أنّه اسم موصول، دون الإشارة إلى الوجه الآخر؛ على أنّه دليل مؤيّد لكون «من» اسماً موصولاً في قوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ = مردود من وجهين:

أوّلاً: إنّ اقتصار الطبري في تفسير آية سورة الملك، وهو تفسير معنى

يفيد أنّ «من» فيها اسم موصول، ليس دليل منع للجائز الآخر، وهو كون «من» اسمَ استفهام. نعم، يمكن أن يكون دليل اختيار، لكنّه قطعاً ليس دليل منع وإنكار.

ثانياً: إنّ ممّا يدعو إلى النّظر والتوقّف أن يغفُل الباحث عمّا قاله الطبري في تفسير آية سورة مريم، ويركض إلى ما قاله في تفسير الآية الأخرى، وأن يلجأ إلى الحمل والقياس. ولو نظر القارئ فيما قاله الطبري في تفسير الآية الأولى لساوره شكٌّ بأنّ الباحث انصرف عن تفسير تلكم الآية عن تحكّم؛ لأنّ الطبريّ فسّر «من» ثمّة على وجه الاستفهام، وهو ما لا يريده الباحث، لأنّه لا يخدم رأيه الذي كان يسعى إليه سعياً. وقول الطبري بين يدي القارئ، سقتُه فيما سقت من أقوال العلماء والمفسرين في مطلع هذه الكلمة، فعليه به.

٦- اعتبار الباحث الشواهدَ التي ساقها في مبتدأ مقالته، وكانت خالية من الضمير بعد اسم الاستفهام، قرينةً قويّة على أنّ إعراب «من» في تلك الآية من سورة مريم اسماً موصولاً هو الوجه =استدلال غريب، كان امتداداً لاستدلاله بها على منع مجيء الضمير بعد اسم الاستفهام في كلام العرب، وهو ما وصفته في مطلع هذا التعقيب بأنّه مغالطة؛ لأنّ هذه الشواهد دليل إثبات: إثبات صحّة وفصاحة لما كان فيها، لا دليل منع ونفي لما لم يكن فيها من وقوع ضمير الرفع المنفصل بعد اسم الاستفهام «من» أو «ما». ومن ثمّ لا يستدلّ بها على أنّ ما كان من هذا القبيل، وكان فيه بعد «من» أو «ما» ضميرُ رفع منفصل، تكون «من» أو «ما» فيه اسماً موصولاً؛ إلّا بدليل خاص قاطع.

٣) ذهب الباحث في مقالته إلى أنّ الفصيح فيما تناوله حذفُ ضمير الرفع المنفصل بعد اسم الاستفهام «من» أو «ما» لا ذكْرُه، وبذلك صرّح في

خاتمة المقالة. وهو ما أكّده ثمّة بقوله: «ويبقى الاستعمال اللغوي الفصيح الراجح القويّ عدم المجيء بالضمير بين اسم الاستفهام والمستفهَم عنه. وفيما سلف دلالة ساطعة على هذا وتصديق وتمكين.».

ونبّه ثمّة على أنّ الاستعمال الدارج على الألسنة والأقلام في هذا العصر يمكن أن يُلتمَس له وجه من الصحّة بإعراب «مَن» الاستفهامية مبتدأ، والضميرَ بعده مبتدأً ثانياً، وخبره الاسم الذي يليه، وجملة الضمير وخبره خبر «من» الاستفهامية...؛ ثمّ قال: «وهو وجه مرجوح».

وكلام الباحث بوجهيه ممّا لا ينبغي قبوله والاطمئنان إليه:

أوّلاً: الأسلوب القائم على الفصل بضمير الرفع «هو» وفروعه بين اسم الاستفهام «من» أو «ما» والمستفهم عنه الذي سعى الباحث إلى نقضه وتفنيده في مقالته = صحيح فصيح كما بيّنت في هذه الكلمة بالدليل والبيّنات، استعمله العرب قديماً، وزكّاه القرآن الكريم في موضعين منه: في سورة مريم، وسورة الملك، بشهادة كلام العلماء والمعربين والمفسرين توجيهاً وتفسيراً وتقديراً. لكنّه كان من القلّة بمكان. وهذا ما لحظه جامع العلوم الباقولي ونبّه عليه. ومن هنا يمكن القول: إنّ غفلة كثير من المحدثين عن هذه القلّة، حتى كأنّها لم تكن، كانت وراء ما أحدثه كثير منهم، يقلّد بعضهم في ذلك بعضاً، من الإزراء بهذا الاستعمال، وتغليطه، ومنعه.

ثمّ لو كان ثمّة مطعنٌ في حمل الضمير «هو» في هذا الأسلوب على الفصل، وهو مطعن أحدثه الباحث في مقالته واحتفل به، لما انبغى أن يُفضي مثلُه إلى الطعن في هذا الأسلوب بذاته؛ لأنّ ثمة وجهاً آخر سائغاً يجوز أن يحمَل عليه، لا يَشينه قولُ الباحث إذ أراد أن يلطّخه: «وهو وجه مرجوح».

والتحقيق أنّ هذا الاستعمال بوجهيه: ذكر الضمير وحذفه صحيح

فصيح، والاختلاف يكمن في الشيوع والدوران. ولذلك يمكن القول: إنّ غلبة الاستغناء عن الضمير في القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب في ذلك هو من قبيل إيثار أحد الجائزين على الآخر إيثاراً وراءه ما وراءه. ومثله لا يسمح بتغليط ما كان منهما قليل الاستعمال والحطّ منه، ولو اقتضاءً، ولا سيّما إذا كان مثله وارداً في القرآن. ومن ثمّ كان من غير اللائق أن يوصف الاستعمال الكثير بما يفضي إلى الحكم على الاستعمال الآخر بأنّه مرجوح أو غير فصيح.

ثانياً: الحكم على التوجيه الذي حاول الباحث أن يلتمس به وجهَ صحّة للاستعمال الدارج، وهو توجيه قديم، بأنّه وجه مرجوح =حكم لا يثبت للنقد؛ فهو حكم مرسل، أطلقه الباحث دون تعليل، ولو بحثت عمّا يفسّر ذلك ويسوّغه من حيث الصناعة أو المعنى لم تجد له فيه سنداً. وممّا يؤكّد ذلك أن تجد بعض العلماء يحملون ما ورد في الآيتين الكريمتين على هذا النحو دون أن يُردّ أو يُنتقَد.

هذا ما كان من الواجب أن أبيّنه، وهو ينقض ما سعى إليه الباحث في مقالته سعياً، وارتكب فيه ما ارتكب من تحكّم في المناقشة والمحاكمة والاستدلال، وما وراء ذلك من ظنون وأوهام. ومثله يدلّك على أنّ الحكم العلمي الصحيح يجب أن يُعدّ على نار هادئة، بما يكفي من الرويّة، بعيداً عن التقليد والعجلة. والحمد لله أوّلاً وآخراً.

* * *

المصادر والمراجع

- أضواء البيان، محمد أمين الشنقيطي، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تح: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٥.
- بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، تح: مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٣.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج١٤، تح: محمد أنس الخن، دار الرسالة العالمية - دمشق، ط١، ٢٠١٥.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، بيت الأفكار الدولية - عمان والرياض، ١٩٩٨.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، ج ٢، تح د. حسن هنداوي، دار القلم - دمشق، ط١، ١٩٩٨.
- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، تح: د. عبد الله محمود شحاته، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام، تح: د. هند شلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- جامع البيان، الطبري، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر - القاهرة ، ط١، ٢٠٠١.
- الدر المصون، السمين الحلبي، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق، ط١، ١٩٨٦-١٩٩٤م.

- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي ودار ابن حزم – بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- شرح التسهيل ، ابن مالك، تح: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر – جيزة، ط١، ١٩٩٠.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٧.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني، تح: د. شمران العجلي، دار القبلة – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، جامع العلوم الباقولي، تح: د. محمد الدالي، مجمع اللغة العربية بدمشق،١٩٩٤.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تح: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تح: مجموعة من المحققين، دار طيبة – الرياض، ط١، ١٩٨٩.
- معاني القرآن، الفراء، ج٢، تح: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- مغني اللبيب، ابن هشام، تح: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٩٦٤.

- المفصل في تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير الجلالين، تح: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
- الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيسي، مجموعة رسائل جامعية، جامعة الشارقة، ط١، ٢٠٠٨.
- همع الهوامع، السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ط١، ١٩٩٥.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٤.

* * *

وهيب دياب وتكملة التاج

أ. د. مازن المبارك(*)

وهيب بن أحمد دياب، ولد في دمشق سنة ١٣٣٨هـ = ١٩١٩م، ومات والده وهو دون الخامسة عشرة من عمره، ودرس في دمشق، وعرفه مكتب عنبر، وهو المدرسة التي تعلّم فيها، وظهرت فيها نزعته إلى حبّ العلم، كما ظهرت ملكته في اللغة العربية التي عشقها ولازم معلّميها وخاصة الشيخ عبد القادر المبارك الذي كان يقدّم له تلميذه وهيب دياب ما يكتبه من موضوعات في اللغة وتراثها، وما ينظمه من شعر، وكان الشيخ المبارك يرعاه ويرشده إلى مصادر اللغة ومعاجمها، ويعجب به وبتتبّعه، ويثني على ثقافته اللغوية المتميزة في تلك الأيام، كما كان يشجعه على متابعة نظم الشعر.

ولم يكتف ذلك الشاب الطُلَعة باللغة العربية، بل أتقن اللغتين الفرنسية والإنكليزية.

وقد عرفته عن قرب، وكنت أعجب لأمره، لأني أعرف أن الواحد منا إذا درس وتعلق باللغة والأدب انصرف إلى التدريس أو الكتابة، كأكثر من عرفت في تلك الأيام!

ولم أكن أقدّر أن مزارعاً مثلاً أو تاجراً، يعمل في أرضه أو محله وتجارته، يستطيع أن يعيش حياة المثقفين الناشطين في ميدان الكتابة

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

والأدب والنظم، وحضور المحاضرات والندوات الأدبية والثقافية، ولكني رأيت في هذا الإنسان ما أدهشني من مشاركته في كل تلك الميادين الزراعية ثم التجارية مع بقائه نشيطاً في ميدان اللغة ومتابعة قضاياها وخدمة تراثها، والتفرغ لنظم الشعر الرقيق الجميل!

كانت أول صلتي بالأستاذ وهيب دياب في أوائل الستينيات عقب عودتي من القاهرة.. لقد فاجأني بزيارة كانت فاتحة صداقة ومحبة. ولست أنسى حديثه ذات يوم عن حياته تلميذاً عند والدي في مكتب عنبر، وعن حياته مشرفاً على أرض في الجزيرة في الشمال السوري، وما يتطلبه العمل في الزراعة من المشاق؛ وعن حياته واحداً من تجار دمشق، ثم موظفاً في الشركة الخماسية ذات الفضل الاقتصادي والأنموذج الناجح للعمل الصناعي المشترك. ثم انقطع الحديث فجأة، وتغيرت لهجة الصوت، وتناول الحديث ما جرى معه حين صودرت الشركة وطُلِب إليه مغادرة مكتبه..!!

ولست أذكر اليوم ما أذكره إلا لأقول: إن هذا الإنسان استطاع بإيمانه وحبّه للغته أن ينسى كل ما كان فيه وكل ما كان له، بل استطاع أن يدفنه في قلبه، وأن يكنّه في صدره، وأن ينفتح على الحياة الثقافية والعلمية.

إن النواة التي زرعت في مكتب عنبر، ظهرت على استحياء في أبيات نظمها الفتى وهيب دياب بعنوان «لفافة تبغ» وبعث بها إلى شاعر أحب وهيب شعره، وهو إيليا أبو ماضي، فتلقاها الشاعر أبو ماضي وعرضها حيث كان على شعراء المهجر ونشرها... لتكون أول ظهور لموهبة لم تحب الظهور ولم تلحق الشهرة.. فلقد كان وهيب دياب رحمه الله إنساناً رقيقاً، خفيف الظل كثير اللطف، جمَّ الأدب يحب الناس، يألف

ويؤلف، ولطالما كنت أسمعه يثني على أصدقائه من رجال عرفتهم كبدوي الجبل وشاكر مصطفى وعمر النص وغيرهم؛ كما سمعته يتحدث إليّ عن بعض الجلسات الدوّارة، التي كانت تعقد في بعض البيوت، وكان مواظباً على حضورها.

ولقد توفي رحمه الله سنة ١٩٩٧م، وكنت غائباً عن دمشق، فلم أعد أعرف ماذا قدّر الله لأعمالٍ كان قد بدأ بها، ولم أعرف هل ترك مجموعة شعرية كما أقدّر؟!

أما الذي أعرفه فهو أنه وضع كتاباً سمّاه «تكملة معجم تاج العروس» طبعه قبل وفاته بسنة، وهو كتاب استدرك فيه على ما أورده الزَّبيدي في التاج، وزاد عليه، واستشهد على زياداته بنصوص استمدها من مكتبة تراثية لا حصر لها، تدل على مدى ما يتمتع به الأستاذ دياب من خبرة واطلاع واسع، ومن دقة في الملاحظة، وصبر على التتبع والاستقصاء، كما أعرف أنه قبيل وفاته، في آخر زيارة له أهداني قصيدة كتبها بخطه عنوانها «ومضى زمان» أولها:

ومضى زمان وانقضى وخطاي تبحث عن خطاها

ومنها:

ومضى شبابي وانقضى وهواي يسأل عن هواها

وآخرها:

هيهات أنساها فقلبي كلما صلّى رآها

وتاريخ نظمها ١٤/ ١٢/ ١٩٨٥م

لقد مضى الباحث اللغوي والشاعر الرقيق الأستاذ وهيب دياب قبل ربع قرن من الزمان، وما رأيت من كتب عنه أو أحيا شيئاً من آثاره، فأردت

أن أنبه على قيمة كتابه التكملة، وأن أدعو إلى إحيائه أو إعادة نشره للإفادة منه، فهو ثروة لغوية قيمة؛ وأن أسأل عمّن يعرف شيئاً عن شعره، وأنشر صورة لإحدى قصائده أهدانيها بخطّ يده، رحمه الله.

* * *

معجم موسوعي
للمصطلحات الأنثروبولوجية

(متابعة لمصطلحات العلاقات والعادات والتقاليد في المجتمع العربي منذ القدم)

الأستاذ الدكتور عبد الملك مرتاض[1]

لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية

أبوظبي - أكاديمية الشعر

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

أ. د. عبد الإله نبهان[*]

منذ القديم شعر المعجميون أن معجمات اللغة وحدها لم تعد كافية، ولن تستطيع تلبية حاجات الدارسين في مختلف العلوم، فكان أن صنّفوا معجمات تُعنى بمصطلحات العلوم المختلفة كـ(كشاف اصطلاحات الفنون) لـ(التَّهانوي محمد علي / ت١١٥٨هـ/) و(الكليات) لـ(أبي البقاء الكفوي / ت١٠٩٤هـ/)، و(التعريفات) لـ(الجرجاني علي بن محمد

(١) د. عبد الملك مرتاض بن عبد القادر: ولد بولاية تلمسان في الجزائر سنة ١٩٣٥، وهو أستاذ جامعي وأديب وناقد، له آثار عديدة في النقد القديم والنقد الحديث، وقد درّس الأدب الشعبي نحواً من عشر سنوات.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

وهذه المقالة من آخر ما زود به الزميل الدكتور عبد الإله نبهان رحمه الله مجلة المجمع قبل وفاته.

/ ت٨١٦هـ/)..، وصنف أحدهم معجماً خاصًّا باصطلاحات الصوفية، وهو (القاشاني محمود بن علي / ت٧٣٥هـ/)، وفي العصر الحديث اتجه علماء كل علم إلى تصنيف معجم خاص بعلمهم، فكان هناك المعجم الطبي الذي قامت على صنعته مجموعة من علماء الأطباء، وقد أصدر مجمع اللغة العربية بدمشق بأخَرةٍ ثلاثة معجمات: معجم مصطلحات الكيمياء / ٢٠١٤/ ، ومعجم مصطلحات الفيزياء / ٢٠١٥/ ، ومعجم مصطلحات الرياضيات / ٢٠١٨/ ، وعنيت دار لبنان - ناشرون بنشر معجمات العلوم المختلفة كمعجم البلاغة وأصول الفقه... إلخ.

وما بين يدينا اليوم معجم جديد كلّ الجِدّة، لا في مضمونه، ولكن في تسميته وتوجّهه.. فكلمة الأنثروبولوجيا (Anthropos) تعني في الإغريقية: الإنسان، وكلمة (Logos) تعني العلم، فالأنثروبولوجيا تعني (علم الإنسان)، ويترجمها بعضهم بالإناسة.

والأنثروبولوجيا (تدرس الإنسان في المجتمع كما تدرس المقدّس واليوميّ والأسطوريّ)، فهي تُعنى بدراسة الإنسان القديم في دياناته وعاداته الاجتماعية وطقوسه، كما تدرس الإنسان المعاصر، ومن هنا كانت شمولية الدراسة الأنثروبولوجية.. أما توجّه المعجم - كما يظهر من اسمه - فهو ليس إلى اللغة، وإن كان يمتح من معجماتها، وليس إلى التراث، وإن كان على اتصالٍ به وثيق، وإنما يتوجه إلى وضع موادّ معجمه اللغوية والتراثية والشعبية أحياناً في إطارها الأنثروبولوجي؛ ليضمن لمعجمه حداثته وامتيازه من سائر المعجمات.

صنع واضع المعجم تقديماً لمعجمه، تحدث فيه عن إخفاق العمل الجمعي في بلادنا، معللاً تفرّده بصناعة هذا المعجم الذي يحتاج في حقيقة

أمره إلى مجموعة بحثية جادّة ملتزمة لأن الموادّ الأنثروبولوجية لا حصر لها، ورأى أن ما جمعه من هذه المواد – على ما هي عليه – لا ينبغي التضحية بها، وإن من حقّها أن ترى النور لتكون نموذجاً – على الأقل –. ومن ميزات هذا المعجم كما وضّح ذلك في تقديمه «أن التركيز كان على المعاني الأنثروبولوجية في المجتمع البدوي الجاهلي خصّيصى، ولكنّ الأحاديث النبوية وآثار الصحابة كان لها نصيب في توثيق لغة المصطلح الذي اجتعلناه مدخلاً، وعلى ذلك لم نرَ بأساً بذكر كثير من المصطلحات المعنيّة لمَادّة موضوعنا من المجتمع الجزائري، مضافاً إليه المجتمع العربي خصيصى».

ورأى صاحب المعجم أن يؤثّل المصطلحات التي أوردها، فأعادها إلى أصولها في الاشتقاق، لأن الجانب اللغوي برأيه هو مفتاح المعرفة، فهذه المصطلحات لم تتنزل من السماء ولم تنبع من الأرض، وإنما لها أصول ينبغي الحفر عنها والتنقير عن أصولها.

ورأى أن أشعار الأعراب وأرجازهم تحمل في طياتها معانيَ أنثروبولوجية غنية؛ لأنها مرآة المجتمع العربي البدويّ القديم، ولعلّ أوّل مَنْ تنبّه إلى ذلك – برأيه – هو الأنثروبولوجي العربي (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / ت٢٥٥هـ/) في كتبه كافة، وفي (البيان والتبيين) و(الحيوان) على وجه الخصوص.

وذكر المؤلِّف أن نشأته في بادية منقطعة عن العالم، حتى سنّ الثامنة عشرة، أتاحت له أن يعايش الأنثروبولوجيا (في أعمق دلالاتها وأقوى مظاهرها عمليًّا) فقد عاش مع الفلاحين ومع صنائعهم اليدوية، بل إنه رعى مع الرعيان ومتح بالدلو من الآبار والركايا، وكَرَعَ من القِلات[٢]

(٢) القِلات: النقر التي في الصخور.

والسرايا[٣]، وذرّى التِّبنَ الموقَر بالحَبِّ، وغرس حدائق البطيخ والدّلّيع والخِيار والطماطم والبطاطا في مسقط رأسه (ظهر البجاني)، وكل ما اتصل بهذه الأمور قيّده وأغنى به معجمه.

ويقول: إن المصطلحات الأنثروبولوجية لمجتمع ما قبل الإسلام وما بعده كُسرت على مداخل كثيرة كانت نحواً من ثلاثة آلاف فمنها:

- التعامل البشري مع الحيوانات بأجناسها المختلفة.
- التعامل مع المراعي والمراتع والمعاطن.
- التعامل مع الطبيعة مثل عيون الماء والآبار والغدران والمسايل... والرياح.
- التعامل مع النبات والزراعة: الزروع والنخيل والأشجار.
- العادات والتقاليد والقيم والأهواء والمعتقدات والتّدينات وما في حكمها.
- التعامل مع المطبخ والمائدة العربية التقليدية في أكلها وأطباقها، جيِّدها ورديئها.
- التعامل مع الأحوال الاجتماعية: العلاقات الأسرية بتفصيلاتها.
- الفروسية وما يتّصل بها من سباق ورهان وحرب وثأر وألعاب وصيد..
- التجارة والنقد والأعمال وما يتّصل بها.
- الحِرف والصناعات كالحدادة والنجارة والنِّساجة.
- النعال والأحذية والعمائم وسائر الأزياء العامة والخاصة.
- العطور بأنواعها وتسريحات الشعر والزينة.
- الأسلحة وأنواعها.
- أثاث البيت وأمتعته وما يشتمل عليه من أدوات قديماً وحديثاً.

(٣) السرايا: الأنهار الصغيرة أو الجداول.

- الطب والتطبيب والأمراض والعاهات.
- وسْم الإبل وأنواع الوسْم لديهم، والوشم لرجالهم ونسائهم.
- الآلات الموسيقية.. والرقص ومجالس الطرب.
- الخياطة وتفصيلها وأدواتها.
- النار وأنواعها.

وأنافت مداخل المعجم على ثلاثة آلاف مدخل، لكنّ المعجم لم يصنّف حسب المداخل، وإنما صنّف حسب التصنيف المعجمي - الألف بائي - وهكذا توزعت مفردات كل مدخل حسب أحرفها المبدوءة بها.

بعد التقديم قدّم المؤلِّف كلمة عن المفهوم التقليدي للأنثروبولوجيا، وذكر أن المؤرخ العربي (عبد الرحمن بن خلدون / ت٨٠٨هـ/)، كان سبّاقاً في هذا المجال؛ إذ درس في مقدّمته «أشكالاً ومظاهر من الأنثروبولوجيا السياسية والاجتماعية والثقافية، فكان أول مفكِّر في التاريخ يتناول هذا الموضوع وإن لم يتمّ له ذلك تحت هذا المصطلح».

وأتبع هذا البحث ببحث لاحق عنوانه: (المحاور الكبرى لموضوعات هذا المعجم الموسوعي):

١- ملابس المرأة العربية وحضورها في مجتمعها.

٢- الوشم.

٣- التَّويزة «وهي عمل جماعي خيريّ يتمّ لصالح فردٍ واحدٍ في المجتمع، يكون إما عاجزاً وإما فقيراً وإما أثيراً»، وهي خاصة في المجتمعين الريفيين الجزائري والمغربي، ولعل اللفظ آتٍ من أصول أمازيغيةٍ قديمة.

بعد هذه المداخل بدأ المعجم بالتسلسل المعجميّ المعروف بدءاً بالهمزة

وانتهاءً بالياء، لكن الألفاظ (المصطلحات) هي التي لها علاقة ما بالأنثروبولوجيا، فبدأ بـ(الأبّ) ثم بـ(الأبزار) ثم بـ(ابن جعران) ثم (أبو مالك) ثم (احتفال العرب بالأعياد) ثم (أحرار البقول وذكورها) ثم (أحلام نائم) ثم (أزياء العرب) ثم (استعاذة العرب من الخطر) ثم (استغشاء الثياب) ثم (أسماء الأطعمة عن الطفيليين) ثم (أسماء الأطعمة في المناسبات).

وواضح أن صاحب المعجم لا يأتي بجذر ثلاثي أو رباعي كما في معجمات اللغة، وإنما يأتي باللفظ كما هو، والمدخل قد يكون عبارةً، أيْ: جملةً، فيوضع حسب الحرف الأول من أول كلمة منه كـ(أطور الحُمّى عند العرب) و(أعياص قريش)، و(أعصام الكلاب)، و(إعمار الدار)، و(الإبل الحبحبة)، و(الإبل العواقب)، و(الإبل المعاقبة).

ومعظم المفردات تشرح من معجمات اللغة كالصحاح واللسان، ولكن قد تكون هناك استفاضة في شرح مفردات لم تستطع المعجمات إعطاءها حقّها من التفسير ككلمة (الرحبة) التي تضمن شرحه لها نقداً للمعجميين.

قال: «الرَّحْبة بإطلاق الفلاحين في أقطار المغرب، والرَّحَبَةُ - بالتثقيل[٤] - أفصح استعمالاً وجمعها: رحاب ورَحبات، ولكنّ عوامّ الناس يميلون إلى السكون لخفته، وذلك في معظم استعمالاتهم اللغوية.

وتُطلَق (الرحبة) في أقطار المغرب على ما يُطلِق عليه المشارقة: البيدر، وتعريف المعاجم غامض وقاصر لمعنى (البيدر)، حيث يرى الجوهري، وهو من أعظم مصادر المعجميين العرب: أن البيدر هو الأندر[٥]، كما ينقله ابن منظور، إذ يقول: وخصّ كُراع[٦] به أندر القمح، يعني (الكِدْس) منه، وبذلك

(٤) كأنه يريد: بالتحريك.

(٥) الأندر: ج أنادر، الكدس من القمح خاصة والبيدر.

(٦) هو كُراع النمل علي بن الحسن / ت بعد ٣٠٩هـ/ .

فسّره الجوهري: البيدر: الموضع الذي يُداس في الطعام (اللسان: بدر). وقول ابن منظور: «وبذلك فسّره الجوهري» يدلّ على أنَّ معجميينا كانوا بُعداناً[٧] عن الحياة العامة، فكانوا منطوين منزوين في بيوتاتهم يتلقّون العلم من الصحف غالباً دون محاولة السعي إلى الاطلاع على ما يجري وراء الأسوار من أحوال الناس، وخصوصاً في العهود التي جُمعت فيها اللغة وحفظت، ثم كيف يكون البيدر مرةً: الأندر، بل هو أندرُ البُرّ، وكأنّ أندر الشعير أو الدُّخْن مختلف عن أندر البُرّ، ويكون مرةً الموضع الذي يُداس فيه الطعام؟ ثم من أين جاء هذا البيدر وممّ اشتقّ؟ على حين أن الرحبة مصدر واضح، وبيّن معناها في العربية، فهي مكان رحْبٌ مستوٍ يصلح لأن تُداس فيه الغِلال، غير أن فلاحينا لا يجمعونه في لغتهم إلا على (الرّحابي)، وكأنهم توهموا المفرد (رحباء)، وهو غير موجود في العربية، فجمعوه على (فعالي) كـ(عزلاء: عزالي)، و(عذراء: عذاري)، و(صحراء: صحاري)، ومنه قولهم عن المطر الموسميّ: (سرّاي الرّحابي)؛ أي: يأتي المطر مبكراً ليمسح الحَبَّ الذي قد يكون لا يزال عالقاً في الرحْبة فيغسلها غسْلاً.

والذي يعنينا وراء كل هذا أكثر، هو المعنى الأنثروبولوجي للرّحبة، حيث تكون طوال شهرٍ على الأقل من أواخر أيام الصيف، منزلاً صيفيًّا للفلاح وأبنائه وشركائه وإخوانه، فيبني حول الرحبة خيمةً من خش[٨] يجعلها تنظر إلى البحر من حيث يأتي النسيم إذا كانت الرحبة تقابل وجه البحر، وفيها يضع ماءه حتى لا يسخن، بل قد يلتقط بعض البرودة من النسيم المنبعث من جهة البحر إذا كان في هضبة تشرف عليه، كما كان ذلك

(٧) بعيد جمعها: بُعداء وبُعُد وبُعْدان.

(٨) يبدو أنه يريد من خيش، والخيش نسيج خشن من الكتّان.

في رحبتنا في (ظهر البجاني)، بل كان الفلاح يضع في خيمته الصغيرة (لَعْشيشة) (وهو تصغير عاميٌّ للعش) طعامه وبعض لباسه الصيفي الخفيف، كما كان يتناول طعام الغداء خصوصاً تحت ظلّ تيك الخيمة مع إخوانه أو أبنائه وكلّ مساعديه، وربّما قال[٩] فيها.

ثم إن الحركة كانت لا تنقطع عن هذه الرحبة أثناء الليل، حيث كان الفتيان والمتزوجون - إلا إذا كانت الرحبة بعيدة عن منازلهم - ينامون في التّبْن حيث كانوا يدفنون أجسامهم كلَّها في التّبْن المذرّى حديثاً، ولا يتركون إلا رؤوسهم غير مغطّاه لتجنّب الاختناق، وكانت هذه النومة - وقد كنا ننام ملء الجفون في ذلك التّبْن الناعم الوثير - بمثابة نومة على سرير في غرفة في فندق من درجة سبع نجوم: الراحة والسكون والظلام، لا شيء أفضل من هذا للمنام.

كما كان الفلاحون حين يدوسون الغلّة ويصفون حبّها، يكيلونها بمكيال كان لديهم معروفاً، ليعرفوا كم جَنَوا من الموسم الزراعي من محصول، ولكنهم كانوا لا يأتون إلا بُعيد الغروب، ثم ينقلونه على ظهور الدواب ليدخروه في المطامير، فكانت الحياة في الرحبات وما حولها متّصلة الحركة بالليل والنهار إذن. (ينظر مدخلا البركة، العباسية)».

هذا نموذج مطوّل نسبيًّا يبيّن آفاق المعجم الأنثروبولوجي، وفيه كثير من أمثال ما عرضناه، فهو يشتمل من ناحية على ما اشتملت عليه معجمات اللغة كما يشتمل على مناقشة وتصحيح وبيان لما تعنيه المادة عند فلاحي المغرب.

انتهى المعجم بحرف الياء، وكانت آخر كلمة فيه كلمة (اليَنْبوع). وهنا يُفترض فنيًّا أن ينتهي المعجم، لكنّ صانع المعجم أورد بعد الينبوع نحواً

(٩) قال: من القيلولة.

من تسع وثمانين ومئة مادة مرتبة حسب الترتيب المعجمي، وكان بالإمكان أن تُورَدَ هذه المواد في مواضعها في المعجم، وقد صنع الدكتور فهرساً لها ألحقه بفهرس الكتاب، وفي بعض موادّها تفصيل لما ورد في مادّتها في المعجم، فالتّوِيزة التي وردت في المعجم في ثلاثة مداخل: التويزة والتّويزة النشوية والتّوِيزة للمرأة المغيبة، أورد لها سبعة عشر مدخلاً فيما يمكن أن نسميه الملحق..

إنَّ هذا المعجم يعدُّ بحقٍّ معجماً رائداً في مجال الأنثروبولوجيا، ولن يكتمل معجم الأنثروبولوجيا العربية إلا بجهود المعجميين في كل بقعة من بقاع البلاد الناطقة بالعربية. فكل قطر له خصوصيته في هذا المجال، بل كل قرية ومدينة صغيرة أو حيٍّ في مدينة كبيرة، كلٌّ منها له خصوصيته في استعمالاته اللغوية... وعندما تجمع هذه الجهود وترتّب وتنظّم يمكن أن يصدر حينئذٍ معجم أنثروبولوجي شامل.

* * *

المحاضرات والمدارسات(*)

(*) **المدارسة**: هي المقابل العربي لكلمة (سيمِنار seminar) الأجنبية، وتعني بحثاً يقدمه أحد أعضاء المجمع، للتذاكر به ومناقشته في مجلس المجمع.

إشكالية ترجمة المشترَك اللّفظي في القرآن الكريم

أ.د. لبانة مشوِّح(*)

هذا بحث في الترجمة يتناول تحديداً إشكاليةَ ترجمةِ المشترك اللفظي في القرآن الكريم، نستعرض فيه عدداً من المشتركات اللفظية التي وردت في النص القرآني، ونرصدُ ضِمن منهجٍ وصفي تحليلي بعضَ الأخطاء التي ارتكبها المترجمون في محاولتهم نقل معانيها الدقيقة إلى اللغة الفرنسية، وأسبابها المعرفية والنفسية، والمنهج الذي اتّبعوه في عملية النقل هذه. وقد استقينا مادة البحث من بعض ما ورد في أربع ترجمات(١) هي وفق التسلسل الزمني لتاريخ إنجازها ترجمة كلٍّ من:

- ألبير كازيمرسكي (١٨٤٤).
- نور الدين بن محمود (١٩٦٧).
- جاك بيرك (١٩٩٠)(٢).

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) سنتناول هذه الأعمال على أنها ترجمات لمعاني القرآن الكريم، كما هو واضح على غلافي الترجمتين الثانية والرابعة، لا على أساس أنها ترجمات للقرآن الكريم، كما ذكِر على غلافي الترجمتين الأولى والثالثة.

(٢) استغرق العمل على إنجاز هذه الترجمة ستة عشر عاماً.

- الترجمة الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة السعودية، التي سأحيل إليها اختصاراً بالترجمة السعودية[٣].

وهناك ترجمات أخرى كثيرة لا تتّسع حدود البحث للنظر فيها، من بينها ترجمات كلود إتْيِن سافاري (١٧٨٣) Claude-Étienne Savary، وإدوار مونتيه (١٩٥٨) Edouard Montet، ودونيز ماسون (١٩٦٧) Denise Masson، والشاعر جان غروجان (١٩٧٩) Jean Grosjean ، و جان - لوي ميشون Jean-Louis Michon[٤]، ومحمد حميد الله Mouhammed Hamidullah (صدر لها أكثر من عشرين طبعة)، ورجيس بلاشير (١٩٤٧) Régis Blachère، ودومينيك عبد الله بونو (٢٠٠٨) Dominique Abdullah Penot.

الترجمة الأدبية بين الثنائية والوظيفية:

لا مراء أنّ الترجمة أنواع بحسْب المادّة المترجمة. ولكل نوع من أنواع الترجمة خصائصُه المميِّزة ومقوماتُه وشروطُه التي ينبغي التقيّدُ بها والعملُ بموجب معاييرها ونواظمها. ولعلّ الترجمة الأدبية هي من أشقِّ أنواع الترجمة وأمتعها في آن معاً؛ فهي تقوم من وجهة النظر التحليلية على جملةٍ من الثنائيات (dichotomies) تتجلّى في ثنائيات ثلاث:

١) الثنائية اللغوية.

٢) الثنائية الثقافية.

---

(٣) (أنجزت في عام ١٤١٠ الهجري الموافق لما بين عامي ١٩٨٩-١٩٩٠ الميلاديين). وقد اعتمدت أساساً لها ترجمة محمد حميد الله بعد تنقيحها استناداً إلى ما رأته في أفضل الترجمات الأخرى المتاحة.

(٤) أُنجِزت في النصف الثاني من القرن العشرين، ونشِرت آخر طبعة لها في دار Libislam عام ٢٠١٨.

٣) ثنائية الأثر.

فالمترجم يتصدى للغتين في آن معاً: اللغة المصدر التي يترجم منها، واللغة الهدف التي يترجم إليها، ولكلّ لغة قواعدها ومكوِّناتها الثقافية، كما أنّ ثقافةَ المترجمِ نفسِه ثقافة مركّبة متعدّدة المشارب، تقابلها في المشرب الآخر ثقافةُ القارئ المتلقي للترجمة في اللغة الهدف. والمترجم، من جهة أخرى، متلقٍ لمضامين النص المصدر متأثِّرٌ بها، وهو «يعدّ بذلك كاتباً جديداً للنص» بحسب رولان بارت؛ لكنه أيضاً مرسِلٌ مؤثِّرٌ في آن معاً....

وخلافاً لما يراه ياكوبسون، لا تقوم الترجمة الأدبية بوظيفة تفسيرية فحسب، إذ لا تكتفي بفك رموز اللغة المصدر (décodage) وتأويلِ قوالبها، ثم نقلِها إلى اللغة الهدف في عملية إعادة ترميز (recodage)، على ما يقتضيه ذلك من عُمْقِ معرفةٍ، ومهارةِ صَنعةٍ، ودقةٍ في التأويل وأمانةٍ في نقل المعنى؛ بل تتعدى ذلك كلَّه إلى الأمانة في نقل الأثر الواقع على المتلقي. هي إذن **تطابق في الدلالات والأسلوب والتأثير**.

إذا كانت الترجمة الأدبية عموماً إشكالية في جوهرها إلى هذا الحدّ، فماذا عن ترجمة معاني القرآن الكريم؟

من العبث محاولةُ تقييم أيّة ترجمة لمعاني القرآن الكريم وفقاً لمعايير المطابقة تلك، أو وفق معايير علمية موضوعية دقيقة ومطلقة؛ إذ مهما بلغ المترجم من علوّ شأن بين أهل الصَنعة، ومهما بلغتْ ترجمته من دقّة وإتقان، تظلّ عاجزة عن احتواء جماليات القرآن الكريم ودقّة تعبيره، وقاصرة عن مضاهاة النصّ القرآنيّ بإعجاز لفظه ومعناه، وعمق أثره في النفوس.

أمام هذه المُسلَّمة، لا بدّ من الإصرار على أن تحقق ترجمة معاني القرآن الكريم بالحد الأدنى هدفاً ليس بالهيّن، ألا وهو «**التزام الدقة في نقل**

المعنى كلِّ المعنى»، بحسْب مقولة جول ماروزو[٥] Jules Marouzeau في كتابه ترجمة اللاتينية (la Traduction du latin) (١٩٣١).

وإذا ما اقتصر طموح من يتصدى لهذه المُهِمَّة الشاقة على ترجمة معاني القرآن الكريم فحسب، فإن المصاعبَ دونَه كثيرةٌ جليلة، لعلّ من أعظمها اتّساعَ ألفاظ اللغة المصدر، وتنوّعَ دلالات اللفظة الواحدة، والبعدَ التاريخي لبعض الألفاظ وتطوّرَ دلالاتها عبر الزمن. لقد أعجزت لغة القرآن الكريم أهل اللسان العربي الضليعين بلغتهم، فما بالكم بالمترجمين المستعربين؟! إنّ للألفاظ القرآنية خصوصيتها، ومهمتَها الوظيفية، وهناك دون شك إشكاليةٌ في ترجمتها دينيًّا، وحضاريًّا، ولغويًّا. لكنّنا قصرنا بحثنا هذا على جانب ترجميٍ لغويٍ محدّد هو إشكالية ترجمة المشترك اللفظي في القرآن الكريم. ولا يخلو البحث من بعض أمثلة لمشتركات لفظية يمكن أن تُدرَج في باب الوجوه والنظائر.

ما هو المشترك اللفظي؟

يُعرَّف المشترك اللفظي عند أغلب القدماء والمحدثين بأنه «اللفظُ الواحدُ الدّال على معنيين وأكثر»[٦][٧]، سواء أكانت تلك المعاني متباينة

(٥) جول ماروزو Jules Marouzeau (١٨٧٨-١٩٦٤): أستاذ الأدب واللغة اللاتينية في جامعة السوربون لنحو ربع قرن. له عدة مؤلفات مهمة منها: اللسانيات أو علم اللغة (١٩٢١)، معجم المصطلحات اللسانية (ثلاثي اللغة: فرنسي- ألماني- إنجليزي) (١٩٣٣)، ترتيب الكلم في اللغة اللاتينية (أربعة أجزاء) وضعه بين عامي (١٩٢٢-١٩٥٣)، بحث في الأسلوبيات اللاتينية (١٩٣٥)، بعض مظاهر تشكل اللغة اللاتينية الأدبية (١٩٤٩).

(٦) يُنظر عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١. والزبيدي في مقدمة «تاج العروس».

(٧) يميّز علماء الدلالة في الغرب بين المشترك اللفظيّ وهو اللفظ الواحد الدّال على أكثر =

تماماً، أم كان أحدُها هو الأصل والآخرُ مَجازاً له، وهو ما يُقابل (polysemie) في المصطلح اللساني. ويختلف المشترك اللفظي عمّا اصطُلِح على تسميته فقهيًّا بالـ (وجوه)، ومفرده (وجه)، وهو اللفظ المشترك الذي يُسْتعمل في عدّة معان، وهذا لا يخرِجه بالضرورة من باب المشترك اللفظي كما هو حال لفظة (أمْر) كما سيرد لاحقاً.

ويكون المشترك اللفظي في الأسماء والأفعال والحروف، على حدٍّ سواء؛ ومثال ذلك في الأسماء (العين)، «فهي للناظر، ولعين الماء، وللشمس، وللميزان، وللنقد من المال، وللشيء المعيّن»[٨]. ومثاله في الأفعال (قام) و(شَرَى) و (ضلَّ) كما سنرى لاحقاً. ومثاله في الحروف (الواو) التي تكون للعطف والحال. ويشتمل على التضاد: مثل (راح) الذي يحتمل معنيين: ذهب ورجع، و(القِسط)، ومعناه العدل والجور.

إنّ اشتمال الكلمة الواحدة على معانٍ متعدّدة ظاهرةٌ لغوية مطردة في كلام العرب. ولنشوئها أسبابٌ عدّة منها المجاز، والاستعارة، وتعدّد اللغات، واختلافُ البيئة، وتغيّرُ نطق الكلمة مع الزمن بالقلب «كما في فعل خطا الذي قُلِب إلى خاط فصار خاط مشتركاً لفظيًّا يحمل معنيين: خاط من الخياطة، وخاط بمعنى: خطا، أي: مضى سريعاً، ويُقال: خاط في السير، أي: واصل السير»؛ أو بالإبدال في الحرف «وهو ما كان سبباً في تكوين عدد كبير من المشتركات اللفظية كما حدث في كلمة (السَغْب)؛ أي: الجوع»[٩]، التي

= من معنى واحد (polysémes)، والمُتجانسات اللفظية (homonymies)، وهي كلمات لها الشكل نفسه لكنها تختلف من حيث الجذر والأصل اللغوي.

(٨) السرخسي: ١/ ١٢٦.

(٩) يُنظر علم المعاني الجامع، https://www.almaany.com

أصبحت بلغة بعض قبائل اليمن (التغْب) بقلب السين تاء، فأدخلت التغْب في المعاجم بمعنى إضافيٍ هو الجوع والهلاك، إضافة إلى معناها الأصلي وهو الوسخ، فعُدَّت من المشترك اللفظي. ثم لا بدّ من ذكر عامل التطور الدلالي للكلمة في أسباب نشوء بعض المشتركات اللفظية ممّا سيرد لاحقاً.

المشترك اللفظي في القرآن الكريم:

وفي القرآن الكريم الكثير من المشتركات اللفظية التي كانت «سبباً من أسباب اختلاف المفسرين والفقهاء وعلماء الأصول في تأويل الكثير من النصوص القرآنية»[١٠]. وهنا لا بدّ من التمييز بين مصطلحين: الأول لغويّ هو (المشترك اللفظي)، والثاني فقهيّ، وهو مصطلح (الوجوه) الذي يرد في علم الوجوه والنظائر، وقد ورد تعريف (المشترك اللفظيّ) فيما تقدّم؛ أمّا (الوجه) وجمعه (وجوه)، فهو اللفظ المشترك الذي يُستعمل في عدّة معانٍ، وهذا شأن لفظة (الأمّة).

في معرض بحثهم عن معاني القرآن الكريم، استعان المترجمون بلا ريب بدلالات الألفاظ المعجمية، وحين وقعوا على مشتركات لفظية عادوا إلى المفسّرين. لكن دلالة السياق عندهم هي ما رجّحت في الأغلب الأعمّ من الحالات معنىً معيناً على آخر. وقد تنبّه القدماء إلى أهمية السياق وأدركوا الفرق بين مفهومين معاصرين هما دلالة اللفظ النصية (connotation)، ودلالته خارجَ سِياق الخِطاب (dénotation)، ورأوا أن السياق وحدَه هو ما يحدّد دلالة الكلمة.

عندما اختلف أهل التأويل في معنى عدد من المشتركات اللفظية

(١٠) أحمد عزوز، «القرآن الكريم والمشترك اللفظي»، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، ٢٠١٢.

الواردة في التنزيل الحكيم، عوَّل المترجمون على السياق، وفّقوا في ذلك حيناً وأخفقوا أحياناً.

ففي قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠] اختلف أهل التأويل في معنى (الصريم): بعضهم قال: إنه الليل، وقيل: بل هو النهار لأن كل واحد منهما ينصرم عن الآخر، وقيل: الصريم الرماد الأسود، وقيل: هو اسم مكان، وتحديداً اسم رملة معروفة في اليمن قاحلةٍ وتبعُد ستة أميال عن صنعاء. وقد حار المترجمون بين تلك المعاني، فترجم بيرك (صريم) بـ comme ténèbres؛ أي: (كالظلمات)؛ واختار كازيمرسكي معنى (الأرض المدمّرة التي تبدو قاحلة): le jardin fut détruit comme si on avait coupé tout.

وفي قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١].

يجوز تفسير كلمة «الفوم» في الآية بالخبز؛ ويجوز أن تفسّر بالحِنطة؛ وهي أيضاً لغة في (الثوم)، بإبدال الفاء ثاءً، فأصبحت (فوم) تُلفظ (ثوم). والفوم أيضاً هو جمع الفُومَة، أي: السنبلة، وقيل: إنّ الفوم سائر الحبوب التي يمكن أن تخبز كالحِنطة والفول والحِمَّص والعَدَس ونحوه. و لعلّ إيثار كلمة «الفوم» في الآية الكريمة كان لتعدّد معانيها. وهنا تكمن صعوبة الترجمة؛ فليس في الفرنسية ما يَحتمل كل تلك المعاني مجتمعة. البعض حار في أمره، فأورد المعنى الأول؛ أي: الحنطة (blé)، ثم أردفه بالمعنى الثاني؛ أي: الثوم (ail) بين قوسين. كذلك فعلت الترجمة السعودية، التي رجّحت للفوم معنى الثوم، لكنها استدركت، فوضعت (blé) المقابل الفرنسي للحنطة بين قوسين. أمّا جاك بيرك فحَزَم أمره واختار مقابلاً لفوم عبارة (aulx)، وهي نبتة الثوم. وكذلك فعل كازيمرسكي (ail). هذا التردّد والارتباك في ترجمة المشترك

اللفظي (فوم) سببه أولاً اختلاف أهل التفسير حولَه، ثم إنَّ السياق يسمح بقَبول معنى الحِنطة والثوم على حدّ سواء، وهذا تحديداً ما تسبّب بالإرباك.

مثال آخر للمشترك اللفظي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]. وكلمة (نَهَر) مشترك لفظي، مِن دَلالاتِه المتعدّدة السَّعة في الرزق والمعيشة، ومنها أيضاً الضِياء. ومن معاني النَهَر في اللغة أيضاً مجرى الماء. وبحسب جمهور المفسرين النَهَر هنا هي أنهار الماء والخمر والعسل واللبن. اعتمدت الترجمات الأربع المعنى الثالث المعروف (مجرى الماء)، مع تفاوت المقابلات المُختارة: البعض ترجمها بـ«عيون» (sources)، والبعض الآخر بـ «ينابيع» (fontaines)، وترجمها بيرك بـ(ruisseaux) (جداول)، وتبنّت الترجمة السعودية أيضاً هذا المقابل. لكنَّ أيًّا من المترجمين لم ينقل بدقّة معنى (نَهَر) كما أورده جمهور المفسّرين، ولو فعلوا لاقتضى ذلك منهم ترجمة كلمة واحدة بخمس كلمات، وهذا ما لم يجرؤ أحد منهم على القيام به، علماً أنّهم يترجمون المعاني لا الكلمات، وأنّه من المباح للمترجم في هذه الحال اتِّباع أسلوب الترجمة بالزيادة، أي: بإضافة كلمات تُعين على التعبير على المعنى المحدّد.

كلمة (المنكر) مشترك لفظي، أتت في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ [الحج: ٧٢]؛ أي: إنكار القرآن، وهي هنا مصدر ميمي. ترجمها كازيمرسكي بـ aversion (النفور)، وترجمها بيرك بـ (répulsion) (الاشمئزاز). وأتت كلمة (المنكر) في الآية الكريمة: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٩]، وقد اختلف أهل التأويل في معنى المنكر هنا، فآثر المترجمون الأربعة اختيار المعنى الثاني، وهو قطع الطريق.

وفي الآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ

﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠]، (**التنّور**) مشترك لفظي آخر أشكل معناه على المفسّرين. وفي (**التنور**) سبعة أقوال: وجه الأرض، وتنّور الخبز، وموضع اجتماع الماء في السفينة، وطلوع الفجر ونور الصُبح، ومسجد في الكوفة، وأعالي الأرض، وعينٌ في الجزيرة هي «عين الوردة». كلّ تلك المعاني وردت لدى المفسّرين، وهي ليست في جوهرها متناقضة بالضرورة. وكما فعل المفسِّرون، اختلف المترجمون في نقل تلك العبارة إلى الفرنسية؛ فترجمها بيرك حرفيًّا مختاراً المعنى الثاني (غلى التنّور)، وكذلك فعلت الترجمة السعودية لكنها أضافت إلى «غلى التنّور» عبارة (بالماء) ووضعتها بين قوسين (le four se mit à bouillonner (d'eau. وكازيمرسكي اختار المعنى نفسَه (الفرن)، لكنّه اختار له مقابلاً فرنسيًّا أقرب إلى لفظه، وهو (fournaise)؛ وآثر بن محمود المعنى الأخير للتنّور، فترجمها بما معناه: (أخذ الماء يغلي في ينبوعه) (et l'eau se mit à bouillonner dans sa source).

حتّمت إذن ظاهرة المشترك اللفظي على المترجمين التِماسَ المعاني الدقيقة للفظ الواحد استناداً إلى كتب التفاسير. فإذا اختلف المفسِّرون، اقتضت منهم مطابقة اللفظ والمعنى النظرَ في السياق النصيّ، سواء منه الضيّقُ المحدودُ بعبارة، أو السياقُ الأوسع الذي يشتمل على مقطعٍ من آية، أو على الآية كاملة، وربما ذهبوا أحياناً إلى حدّ الإمعان في كل السياقات القرآنية التي ورد فيها المشترك اللفظي الواحد.

فمعنى المشترك اللفظي (قام) يحدّده السياقُ وحدَه؛ فلا يَصِحُّ مثلاً أن يُترَجم (قام) أو أحد مشتقاته حين يرد في عبارة (الساعة قائمة) بنفس الطريقة التي يُترجم فيها حين وروده في سياق آخر. من ذلك مثلاً خمسة سياقات مختلفة وردت فيها كلمة (قائم)، فكان لها في كلّ سياق معنى مختلفٌ عن معانيها في السياقات الأخرى:

١ – في ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾ [آل عمران: ٣٩]: القيام هو الوقوف، وتترجم بـ (debout) (واقف).

٢ – في الآية الكريمة: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ [الكهف: ٣٦]، لا يمكن أن يكون معناه الوقوف والانتصاب خلافاً لترجمة حميد الله (je ne pense pas que l'heure se dresse)، بل معنى (قائمة) الوقوع والحدوث الوشيك المفاجئ. وهو ما اهتدى إليه بيرك في ترجمته (je ne crois pas à l'imminence de l'Heure)، وما اتفقت عليه ترجمات مونتيه، وبن الشيخ، والترجمة السعودية، مع تفرد كل منها بأسلوبه الخاص. أمّا نور الدين بن محمود فقد نفت ترجمته معنى (الوقوع) بالمطلق (Je ne crois guère au jugement dernier)، وكذلك فعل كازيمرسكي، إذ ترجم ذلك بنفي وجود يوم الحِساب نفياً قاطعاً: (لا أظن أن الساعة آتية البتة) (je ne pense pas que l'heure arrive jamais).

٣– وفي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٠]، (قائم) معناه **موجود ومستمر**، لكن حميد الله والترجمة السعودية PGDRSI ونور الدين وكازيمرسكي لجؤوا إلى الترجمة الحرفية (être debout) بمعنى: الوقوف المنتصب، وهي في الفرنسية صفة ملازمة للإنسان، وهو ما يخالف السياق.

واعتمد بيرك (être encore sur pied)؛ أي: (قائم) من (القيام)، وهي صفة غير ملازمة بالضرورة للبشر، وإن كانت من مرادفات (الوقوف)[(١١)].

٤ – وأمّا في: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٣]، (قائم) بمعنى: مهتدٍ صادقُ الإيمان. وقد اهتدت أغلب الترجمات إلى هذه الدلالة السياقية بدرجات متفاوتة في الدقة والفصاحة.

(١١) انظر بيرك ومشوِّح ١٩٩٦.

٥- ولـ (قائم) معنى خامس في ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]؛ أي: العادل، أو القائم على شؤون عباده بالعدل، وقد أعطت الترجمة السعودية وترجمة بيرك هذا المعنى حقه: (le Mainteneur de la justice)، وترجمها بيرك بـ(القائم بالعدل)، فيما أخطأ كازيمرسكي؛ إذ لم يُسنِد صفة العدالة لله، بل للعباد الذين يشهدون مع الملائكة بأنه لا إله إلا الله.

ومن الملاحظ في الترجمات الأربع أنها لم تراع دائماً مراعاة منهجية نقل مختلف أوجه ترجمة اللفظة القرآنية الواحدة؛ ومن الأمثلة على ذلك المشترك اللفظي (أمْر) الذي يتصرّف بحسب القرطبي[١٢] على عدة أوجه (أي: دلالات بحسب السياق القرآني)، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١) القول: كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ... ﴾ [هود: ٤٠]؛ أي: (قولنا). الترجمات الأربع أوردتها، بمقابلات مختلفة، بمعنى الأمر: ترجمها بيرك بـ notre décret (قرارنا المُبرم) ومعناها في اللغة الفرنسية المعاصرة (مرسوم)، وترجمها كازيمرسكي بـ notre ordre، والترجمة السعودية بـ (أمر) commandement، وكلُّها بمعنى الأمر المعروف.

٢) الدِّين: كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٤٨]؛ أي: دين الله. لا نجد في الترجمة السعودية هذا المعنى الدقيق، بل التزمت معنى (أمر) المعروف (commandement)؛ و ترجمها كازيمرسكي

(١٢) القرطبي (ج٢ص٨٨، ٨٩).

بـ la volonté de Dieu (إرادة الله)، وترجمها كلّ من بن محمود وبيرك بـ la cause de Dieu (قضية الله) أو (سبيل الله).

٣) القيامة: كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١]. هنا أيضاً لم تفرّق الترجمات الأربع بين المعنى الأول الظاهر (أمر، وجمعها أوامر)، والمعنى الثالث الضمني (القيامة)، والتزمت كلُّها بمقابلات (أمر) بمعناها الأوّل: ترجم كلٌّ من بيرك وكازيمرسكي (أمر) بالمعنى الأول المعروف (ordre) و(arrêt)؛ وكذلك فعلت الترجمة السعودية، لكنها شرحتها في الحاشية بأنها يوم القيامة؛ ونور الدين بن محمود وضع لها مقابلاً règne de Dieu (عهد الله). إنّ اللجوء إلى الحواشي، كما اللجوء إلى الإضافات الموضوعة بين قوسين، لدليل على شعور عميق لدى المترجم بالارتباك الناتج عن الرهبة لقدسية النصّ، وهو مما يؤدي أحياناً إلى ترجمة الكلمة لا المعنى.

٤) الذنب: كما في قوله تعالى: ﴿فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٩]؛ أي: جزاء ذنبها. هنا لا يمكن بحسب السياق فهم كلمة «أمر» بمعناها الأوّل؛ كازيمرسكي تفادى الكلمة تماماً بأن ترجمها بـ Elles ont éprouvé des maux mérités (ذاقت آلاماً مُسْتحَقّة)، وبيرك ترجمها بـ comportement (سلوك)، وكذلك الأمر في الترجمة السعودية، ونقل بن محمود اللفظَ بالمعنى نفسِه (conduite). وكلُّها لامست المعنى لكنها لم تنقله بدِقة.

يُستدَلّ مما سبق على أن الترجمة وُفِّقت في نقل معنى المشترك اللفظي، بدرجات متفاوتة، عندما اتكأت على دلالته السياقية لا على دلالته المُعجمية. ومع ذلك، فإنَّ كثيراً من المشتركات اللفظية ألبس على المترجم، فحاد عن جادّةِ الصّواب، كما رأينا. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما كان في كلمة (الفتنة). أول معاني الفتنة في لسان العرب الابتلاء

والاختبار. وقد وردت بهذا المعنى تحديداً في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]. وكذلك هي الضلال والإثم، والصلة بين المعنيين واضحة. لكنّ ورود اللفظ في مواقعَ مختلفة ألبس على المترجم؛ ففي الآية الكريمة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، الفتنة هي الكفر وليس النزاع والخصومة أو العداوة. لكن الترجمة لم تكن أمينة في نقل هذه الدلالة ضمن سياقها المعيّن: فهِمَها بيرك على أنها (اضطرابات troubles)، ونقلها نور الدين بمعنى: الخطر: (Combattez-les jusqu'à ce que tout (danger) soit écarté) (قاتلوهم حتى يزولَ كلُّ خطر).

ولعلّ ما ألبس على المترجم ورود فعل (فَتَنَ) في مواضع مختلفة بمعنى قريب، كما في: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١]: أي: (إن خفتم أن يعتدوا عليكم)، وليس (إن خِفتم أن يضِلوكُم عن دينكم)، وهذا أيضاً ما لم تُوفَّق أيٌّ من الترجمات الأربع في نقله. وتفادياً للّبس نقلتها الترجمة السعودية بالمعنى الأعمّ للفتنة، وهو الابتلاء والاختبار: (vous mettent à l'épreuve)؛ وكذلك فعل كازيمرسكي، لكن بدرجة أقل، إذ نقل (الفتنة) بمعنى الإغراء والدافع على ارتكاب المعاصي (tentation). وكلاهما لم يلامس معنى الاعتداء.

ومن المشتركات اللفظية (الزوج) الذي هو في العربية ثاني الاثنين، وكل واحد معَه آخرُ من جنسه، وهو القرين. لكن هذا المشترك اللفظي أشكل على المترجمين في الآية الكريمة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠]. نقلها المترجمون بمعنى **الزوجات**، كما ورد في ترجمات كل من بيرك وبن محمود والترجمة السعودية (vous et vos épouses) ولدى كازيمرسكي (vous et vos compagnons). ولنا أن نتساءل:

هل كانت (أزواج) تعني فعلاً (زوجات)، أم هي **القرائن والأشباه**، وفي تلك الحالة ينبغي ترجمتها بـ(vous et vos semblables)؟

وإذا كانت (الأزواج) قد أتت هنا بهذا المعنى، فهل لها نفس الدلالة في قوله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣]؟ وهل هذا يعني أن زوجتي النبيّ نوحٍ والنبيّ لوط ستدخلان الجنة مع الأنبياء والصالحين؟ وهل امرأة فرعون المؤمنة سيرافقها إلى جنات النعيم زوجُها الطاغية؟ بما أن العدالة الإلهية تقضي بألّا تَزِرَ وازرةٌ وِزْرَ أخرى، يرجحُ أن (أزواج) لها هنا تحديداً معنى أقران. وهذا يعني أن النظر إلى السياق النصيّ في نطاقه الأوسع يتيح للمتلقي/ المترجم إزالة ما قد يعتري المشترك اللفظي من لَبْس، وتحديدَ دلالته السياقية الدقيقة.

ومن المشتركات اللفظية في القرآن الكريم (فَرْش)؛ فمن معانيه (الفِراش) و (الفضاء الواسع من الأرض)، و(الموضِعُ الذي يكثُرُ فيه النبات)، و(الزرع ينبسِط على الأرض)، و (صِغارُ الأنعام والدّواب التي لا تُطيق الحمْل). وقد ألبس هذا أيضاً على المترجمين في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾ [الأنعام: ١٤٢]: (فرش) هنا أتت بمعنى صغار الإبل أو الغنم لا بمعنى الفِراش، وهذا قول أكثر المفسرين، لكن الترجمة السعودية أتت بالمعنى البعيد لفرش، وهو مغاير لهذه الدلالة: (pour diverses utilités) (لمنافع متنوِّعة)، وترجمها كازيمرسكي بما معناه (أنعامٌ مخصصة للذبح) (des animeaux faits pour être égorgés)، وهو المعنى الأقرب؛ أمّا بيرك فتحايل في ترجمته على المعنيين المعجميين، وترجم (فَرْش) بما معناه (أنعام من صوفها يُصنعُ الفرش) (dont la toison fournie

la literie)، فجمع بذلك معنى صغار الإبل والغنم ومعنى الفِراش.

ويمكن للمشترك اللفظي (الذِّكر) أن يعني النطقَ بالشيء، وأن يعني تذكّرَه. وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] المرادُ هنا بحسْب أهلِ العلم، بالذكر ليس النطق باللسان فقط، بل تذكُّرُ اللهِ؛ فهو سميع بصير عليمٌ بذات الصدور. إلا أنّ هذا المعنى غاب عن المترجمين، فعبد النور ترجمها بـ: (عندما يُلفظ اسم الله) (lorsqu'on prononce le nom de Dieu)؛

ونجد المعنى عينه في الترجمة السعودية: (quand on mentionne Allah) (عندما يُذكر الله) بمعنى: يُنطق اسمه أو يُشار إليه قولاً. ووقع كازيمرسكي في الخطأ نفسِه؛ إذ ترجمها بـ: (lorsque le nom de Dieu est prononcé) (عندما يُنطق اسم الله). وحده بيرك نقل المعنى الدقيق: (au moindre rappel de Dieu) (لمجرد تذكّر الله)، والذكر هنا بمعناه التامّ قلباً ولساناً.

لا شكّ في أنّ الوقوع في مثل هذه الأخطاء يخِلّ بأساسيات مبادئ العملية الترجمية كالدقة والأمانة في نقل الدلالات العميقة؛ وينال من الواقع فيطاله بالتشويه؛ إذ يوحي للمتلقي الآخر بما ليس في الدين من عقيدة وممارسات تبتعد في جوهرها عن القشور في عبادة الله جلّت صفاته، وتركّز على جوهر العبادة في تقوى القدير.

ونلاحظ أمراً مشابهاً في ترجمة المشترك اللفظي (تأويله) في الآية الكريمة: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]. المعنى الضمني البعيد لتأويله هنا هو ما وُعِدوا في القرآن وما يؤول إليه أمرهم من ثواب في الجنة أو عِقاب في النار، وليس معناه (تفسيره). أخطأ كازيمرسكي في نقل المعنى فترجم (تأويله) بـ (تفسيره) (son interprétation)؛ وتحايل بيرك مرة أخرى على المعنى، فترجمه بتطبيق أو تنفيذ (la mise en oeuvre)؛ ونقل نور الدين بن محمود المعنى بدقّة: (تحقُّق الوعد) (la réalisation de sa menace et de sa promesse).

والمشترك اللفظي (مسبوقين) في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[المعارج: ٤١] أشكل أيضاً معناه على المترجمين، فآثر أغلبهم ترجمته بمعناه الحسيّ الحركي المكاني أو الزماني (nul ne peut nous devancer)، أي: (لا يمكن لأحد أن يسبقنا إلى التبديل)؛ في حين أن المعنى العميق المجازي هو نحو (لن يُعجزنا أحد). وحدها الترجمة السعودية لامست الأمانة في نقلها للمعنى العميق: لن يمنعنا أحد (nul ne peut nous en empêcher).

وفعل (ضلّ) مشترك لفظي آخر من معانيه المعجمية: زلّ وانحرف عن الطريق، ونسي، وتلاشت عِظامُه في التراب. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]، المعنى هو: إذا مُتنا وصارت لحومُنا وعظامُنا تراباً واختلطنا في الأرض؛ لكنّ بيرك وبن محمود فهما (ضللنا) بمعنى تُهنا وأضعنا الطريق.

ومن معاني المشترك اللفظي (لَمَس): مسَّ بيده، والتمَس، أي: طلب، وأحسّ، واهتدى، و يُقال أيضاً: (لَمَس البصرَ)؛ أي: ذهب بالبصر... إلخ. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[الجن: ٨] لمسنا من الالتماس، وليس من اللمس، أي طلبنا خبرها. الترجمات الأربع أخطأت المعنى، إذ نقلتها بمعناها الحسّيّ؛ أي: المسِّ باليد، ترجمها بيرك بمعنى اللمس (nous avons frôlé le ciel)، وحذت اللجنة السعودية حذوه، وترجمها بن محمود بـ (اقتربنا من السماء) (nous avons approché du ciel1)، ونقل كازيمرسكي المعنى نفسه (nous avons touché le ciel).

ومن أسباب إشكال ترجمة المشترك في القرآن الكريم جهل المترجم بخصائص اللغة العربية وبدلالات أبنيتها الصرفية. إنّ من المتعارف عليه عند النحويين أن اسم التفضيل لا يدلّ دائماً على علاقة مفاضلة بين أمرين،

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، (أهون) هنا بمعنى هيِّن، ولا تفضيل بين شيئين؛ «لأن سبحانه ليس عليه شيء أهون من شيء»(١٣). لكنّ الترجمة السعودية عبّرت عنها على أنها علاقة مفاضلة بين سهولة بدء الخلق وإعادته: [et cela lui est plus facile]، وهي ترجمة مأخوذة عن ترجمة حميد الله:

Et c'est Lui qui commence la création puis la refait; et cela Lui est plus facile.

وكذلك فهم نور الدين محمود صيغة التفضيل:

[Il lui ai encore plus facile de la faire renaître]

(إنه لأسهل على الله عزّ وجلّ أن يعيد الخلق من أن يبدأه)، وهذا مخالف للمعنى بحسب جموع المفسّرين.

وبيرك عبّر بدقّة عن معنى (أهْوَن) وهو «هيِّن»:

C'est Lui qui instaure la création, puis la recommence. Ce qui est pour lui bien facile]

وكذلك فعل كازيمرسكي، لكنه خالف في مكان آخر المعنى الشرعي، إذ ترجم قوله تعالى (ثمّ يُعيدُه) بمعنى: (ثم يعيده إلى ذاته الإلهية)، وهي ترجمة لا تتفق والعقيدة الإسلامية عن طبيعة العلاقة بين الخالق وخلقه:

C'est lui qui produit la création et qui la fera rentrer dans son sein, cela lui est facile.

واشتبهت الألفاظ أحياناً على المترجم لتشابهها؛ فمثلاً كلمة (شروا) في قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢] معناها (باعوا)

(١٣) ابن يعيش، شرح المفصّل ٤/ ١٣٤.

و(يشري نفسه)، أي: يبيعها، وتعني مجازاً: يضحي بها. لكننا نجد نقيض هذا المعنى في ترجمة نور الدين: «A quel vil moyen ils en sont venus pour racheter leurs âmes» (لبئس ما اشتروا به أنفسهم من ثمن بخس).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ [النساء: ٩٠]، (السَّلَم) هو الخضوع والاستسلام، ونجدها بهذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ [النحل: ٨٧]، أي: استسلموا للهِ يوم القيامة. معنى الآية إذن: انقادوا لكم طائعين مستسلمين. لكِنَّ السَّلَم التبس على المترجمين الأربعة مع السِّلْم، فترجموا كلُّهم الآية بمعنى مختلف تماماً، وهو: عرضوا عليكُمُ السِّلم.

الخاتمة:

رصدنا في هذا البحث، ضمن منهج وصفي تحليلي، استناداً إلى أربع ترجمات فرنسية لمعاني القرآن الكريم، إشكالية ترجمة المشترك اللفظي في القرآن الكريم والآلية التي اتّبعها المترجمون لتمثُّلِ معانيها، ونقلِها إلى الفرنسية. فلم يتّكئوا على دلالاتها المعجمية لتعدّدِها، بل اعتمدوا أولاً على ما ورد في كتب التفاسير، وحين وقعوا فيها على اختلافٍ في التأويل، اتّكؤوا على السياق، ضاق أم اتّسع. لكنّ شعورَهم برهبة النص، وتهيُّبَهم من عظمته، وحساسيةَ تناول معانيه ألجأتهم في كثير من الأحيان إلى نقل المشترك اللفظي بمعناه الأعمّ الأوسع؛ بل وقعوا في كثير من الأحيان في فخّ الترجمة الحرفية رهبة أو استسهالاً أو من باب الحيطة والحذر، وهو ما أساء إلى دلالات النصّ العميقة. وكذلك أشرنا بعجالة إلى أنَّ من الأخطاء الترجمية ما نجَم عن قصور في فهم دلالات بعض الصيغ والتراكيب اللغوية من مثل التعريف والتنكير، وصيغ التفضيل وغيرها[١٤]، مما أخلَّ بالمعنى وأفقد الأسلوب سلاسته والنص رونقه.

(١٤) سيأتي التوسّع في هذه الأمور وغيرها في بحث آخر.

وأخيراً وليس آخراً، ونظراً لما للترجمة من أهمية في بناء جسور التواصل المعرفي وتذليل السبل أمام تغليب الحوار الثقافي بين الأمم، فإن التصدي لبحث إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم يلبي حاجة ملحّة في تصويب الممارسات الترجمية الأدبية عموماً، ووضع معاييرَ نرجو أن تكون دقيقةً لترجمة معاني القرآن الكريم، علّ ذلك يسهم في وصول تلك المعاني المقدسةِ النبيلةِ إلى متلقيها في اللغات والثقافات الأخرى سليمة من كل خطأ دلالي ولغوي، نقية من كل تشويه مفهوميٍّ حضاريّ.

* * *

المصادر والمراجع

- ابن جني، الخصائص، (خصائص الحروف العربية ومعانيها).
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت. والمكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org.
- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية.
- أحمد عزوز، «القرآن الكريم والمشترك اللفظي»، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، ٢٠١٢.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد السند حسن يمامة، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر، ط ١/ ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي).
- أسعد حومد، أيسر التفاسير، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٤.
- الأصفهاني، مقدمة التفسير للراغب، المطبعة الجمالية، مصر، ط ١/ ١٣٢٩هـ.
- جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٨٧.
- حازم ذنون إسماعيل، «اختلاف المعنى لاختلاف الحروف والحركات في القرآن الكريم»، مجلة التربية والعلم، المجلد ١٥، العدد ٤، ٢٠٠٨).
- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٦/ ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتقديم وتعليق كمال محمد بشر، مكتبة الشباب.
- عبد المجيد السنيد، «أكثر من مئة كلمة قرآنية يخطئ في فهمها بعض الناس»، ١٧ تشرين الأول٢٠١٢، http://future3.maktoobblog.com.
- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة دار التراث. القاهرة.
- علي عبدو الإبراهيم، «ترجمة القرآن بين الممكن والمستحيل»، مؤتمر الترجمة في الدول العربية أهميتها ودورها في التواصل الحضاري بين الأمم، ج٢، اللاذقية- سورية، ٢٠٠٦.
- صالح عبد الله محمد الشثري، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

وأسراره البلاغية، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى،٢٠٠١.

- القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية، تنقيح وإعداد الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة السعودية، ١٤١٠هـ الموافق لما بين عامي ١٩٨٩-١٩٩٠م.
- كاظم فضيل الغريري، «الاشتراك اللفظي في ضوء الدلالة المحورية في كتاب مجمل اللغة لابن فارس، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد السادس، السنة الثالثة، ٢٠١٢.
- لبانة مشوِّح، ترجمة أيسر التفاسير إلى اللغة الفرنسية، ج١، أيسر التفاسير، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٦.
- نور الدين بن محمود، ترجمة معاني القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت.
- Berque, J. (1995), Le Coran, Essai de traduction revue et corrigée, Albin Michel.
- Hamidullah, M, (2016), Le Saint Coran, traduction en langue française du sens de ses versets revue et corrigée par le complexe du roi Fahd, version online.
- Kazimirsky, A. (1944), Le Coran, Edition de Kazimirsky, Classiques Garnier, édition électronique, www.lenoblecoran.fr.
- Morouzeau, J, (1931), La traduction du latin, Société d'édition "les Belles lettres".

❊ ❊ ❊

أنباءٌ مجمعيةٌ وثقافية

نعي عالم جليل

يَنعى مجمع اللغة العربية بدمشق العالم الجليل:

الأستاذ الدكتور

محمد هيثم الخياط

العضو العامل في المجمع، رحمه الله الرحمة الواسعة سَعة ما قدمه لأمته من علوم متعددة، نظراً لتعدد مواهبه طِبًّا ولغةً واجتماعاً، مما يجعل من فقدانه خسارة كبيرة على مختلف الصعد وطنيًّا وقوميًّا وإنسانيًّا.

تغمد الله فقيدنا الكبير بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، وألهم أهله وذويه وأصدقاءه وطلابه الصبر والسلوان،

وإنا لله، وإنا إليه راجعون.

مجمع اللغة العربية بدمشق

نعي عالم جليل

يَنعى مجمع اللغة العربية بدمشق العالم الجليل:

الأستاذ الدكتور

عبد الإله نبهان

العضو العامل في المجمع، رحمه الله الرحمة الواسعة سَعة ما قدمه لأمته من علوم متعددة، نظراً لتعدد مواهبه، مما يجعل من فقدانه خسارة كبيرة على مختلف الصعد وطنيًّا وقوميًّا وإنسانيًّا.

تغمد الله فقيدنا الكبير بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، وألهم أهله وذويه وأصدقاءه وطلابه الصبر والسلوان،

وإنا لله، وإنا إليه راجعون.

مجمع اللغة العربية بدمشق

نعي فاضل

يَنعى مجمع اللغة العربية بدمشق:

الأستاذ الدكتور

عز الدين البدوي النّجار

العضو المراسل في مجمعنا منذ عام ٢٠٠٠م.

ولد فقيدنا في لبنان (طرابلس ١٩٤٧م) ونال شهادة الدراسة الثانوية في دمشق سنة ١٩٦٥م، وحصل على الإجازة في الآداب من جامعة دمشق عام ١٩٧٣م. ونال درجة الدكتوراه من جامعة الدراسات الإسلامية في كراتشي (الباكستان) عام ١٩٩٥م، وكان عنوان أطروحته (حماسة أبي تمام- دراسة وتحقيق).

كان فقيدنا من علماء العربية وقد مارس تدريس الأدب والنقد في جامعة بلاد الشام - قسم الدراسات العليا - وشارك في ندوات ومؤتمرات مجمع اللغة العربية بدمشق وفي مجلته، وحقق بعض الكتب، لكنها لم تطبع بعد.

توفاه الله في دمشق يوم ٢٦/ ٧/ ٢٠٢٠م

رحم الله الفقيد وجزاه عن العرب وثقافتهم ولغتهم جزاء العاملين المخلصين.

مجمع اللغة العربية بدمشق

نعي عالم جليل

يَنعى مجمع اللغة العربية بدمشق:

الأستاذ الدكتور

عمر الدقاق

العضو المراسل في المجمع، رحمه الله الرحمة الواسعة سَعة ما قدمه لأمته من علوم متعددة، نظراً لتعدد مواهبه، مما يجعل من فقدانه خسارة كبيرة على مختلف الصعد.

تغمد الله فقيدنا الكبير بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، وألهم أهله وذويه وأصدقاءه وطلابه الصبر والسلوان،

وإنا لله، وإنا إليه راجعون.

مجمع اللغة العربية بدمشق

الأستاذ الدكتور خالد الكركي

رئيس مجمع اللغة العربية في الأردن

إنّ مجمع اللغة العربية في دمشق يشارككم الآلام في وفاة:

الأستاذ الفاضل الدكتور

عبد الكريم خليفة

رئيس مجمعكم السابق، ويقدّم إليكم حار تعازيه ومواساته بهذا المصاب الأليم، وندعو الله أن يتغمده برحمته الواسعة، سعة ما قدّمه إلى لغته العربية من خدمات جليلة، وأن يسكنه فسيح جناته، ويلهمكم وأهله وذويه وطلابه الصبر والسلوان، ولكم من بعده طول البقاء.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

مجمع اللغة العربية بدمشق

من قرارات مجلس المجمع
في الألفاظ والأساليب
لعامي ٢٠١٥-٢٠١٦(*)

(٢٠٣)
ينبغي عليه

١- المسألة:

يخطِّئ بعضهم عبارة: (ينبغي عليه) بمعنى يَلزمه أو يجب عليه أو يَصلح له، والصواب عندهم: (ينبغي له)، لأن الفعل (ينبغي) يُعدَّى باللام، وبها جاء القرآن الكريم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩].

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: (ينبغي عليه) ونحوه بمعنى يلزمه أو يجب عليه، وأمَّا قولهم: (ينبغي له) فهو بمعنى يَحسُن به ويَصلُح له، ولا يمتنع من إفادة معنى الوجوب.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- جاء في لسان العرب (بغى): «يقال: انبغى لفلان أن يفعل كذا، أي: صلَح له أن يفعل كذا.. وما ينبغي له وما يصلح له، وما ينبغي له؛ أي: ما يتسهَّل له ذلك».

(*) هذه قرارات مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق، وهي قابلة للتعديل في مؤتمر المجمع. (يرجى ممَّن له ملاحظات عليها أن يتفضل بإرسالها إلى المجلة).

- تاج العروس (بغى): «ينبغي لك أن تفعل كذا، وهو من أفعال المطاوعة.. ما ينبغي له؛ أي: ما يصلح له.. وما ينبغي.. ويكون بمعنى لا يصح ولا يجوز، وبمعنى لا يَحْسُن».
- الوسيط (بغى): «ينبغي لفلان أن يعمل كذا: يَحْسُن به ويُستَحَبّ».

وواضح أن المعاجم أثبتت الفعل (ينبغي) لازماً ومتعدياً باللام بمعنى يَصلُح ويَحْسُن ويجوز.

ب- في الدلالة:

ورد هذا الفعل كثيراً بمعنى الفعل (يجب)، إذ طالما ورد له هذا المعنى في كلام المتقدمين، ومن ذلك:

- جاء في لسان العرب (ذرأ): «الذُّرِّيَّة: وهي نَسْل الثَّقَلَين، وكان ينبغي أن تكون مهموزة».
- وجاء في اللسان (لبى): «لبَّأتُ بالحج، وكان ينبغي أن يقول: لبَّيتُ بالحج».
- جاء في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٤/ ٢٧): «فَنَسِيتَ ما يجب عليك أن تذكره، وضيَّعتَ ما ينبغي عليك أن تحفظه».

يتضح من النصوص السابقة أن معنى الفعل (ينبغي) هو (يجب).

وقد تكرَّر هذا الفعل آلاف المرات بمعنى يجب أو يَلزم، ولاسيما في كلام الفقهاء، كقول السرخسي في (المبسوط) (٧/ ٣١٩): «ينبغي على هذا الأصل أن يزول الملك بنفس الطلاق»، وقوله في (٢٧/ ٢٥): «فكان ينبغي على هذا أن تنقضي العدَّة».

فإذا صحَّ في (ينبغي) أن تجيء بمعنى (يجب) صحَّ أن يُحمل عليه في التعدية بـ (على)، فيقال: (ينبغي عليَّ سِداد الدَّين) كما يقال: (يجب عليَّ

سداد الدين). ويلحظ أن (ينبغي) في قولنا: (ينبغي له) يحمل معنى يَحْسُن أو يَصلُح، وأمَّا في قولنا: (ينبغي عليه) فيحمل معنى يلزمه ويجب عليه.

ج- في النحو:

من المعروف أن اللام الجارَّة قد تأتي بمعنى (على) للاستعلاء المجازيّ، كما في قوله تعالى في [سورة الإسراء: ٧]: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ أي: عليها بحسب مغني اللبيب ٢٨٠، وفي الوجوب معنى الاستعلاء في مثل قولنا: (يجب عليه أن يفعل كذا).

د- في الاستئناس:

- جاء في (الإعجاز والإيجاز) للثعالبي [٤٢٩هـ] في (١/ ١٦): «وكان يقول: ينبغي على المَلك أن يعتني بمُلك رعيته كعنايته بمُلكه».
- جاء في (تكملة الإكمال) للبغدادي [٤٧٥هـ] في (٢/ ٤٥٠): «وكان ينبغي عليه إذا وَجدَ هذه الأسماء مختلفة الضبط أن يذكر ذلك في المختلَف فيه».
- جاء في (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) للحافظ المزي [٧٤٢هـ] في (٤٦/ ١٢٠): «وإن كان ينبغي عليه ترجمة من ذُكِروا في المتون».
- جاء في (فيض الباري شرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني [٨٥٢هـ] في (٣/ ٩٣): «وهو الذي ينبغي عليه العمل» وكُررت مرات كثيرة عنده.
- جاء في (شرح الكوكب المنير) لابن النجار [٩٧٢هـ] في (١/ ١١٤): «فكان ينبغي عليه أن يختار قول الرازي».

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: (ينبغي عليه) ونحوه بمعنى يلزمه أو يجب عليه، وأمَّا قولهم: (ينبغي له) فهو بمعنى يَحسُن به ويَصلُح له، ولا يمتنع من إفادة معنى الوجوب.

* * *

(٢٠٤)
الجمع بين (بل والواو) = (بل و)

١- المسألة:

تشيع على ألسنة المتكلمين وأقلام الكتَّاب عبارات من مثل: (كان الخطاب بليغاً بل ومقنعاً)، أو: (جرى الحديث بيننا بمودة بل وبصراحة)، أو: (لم يستقبلنا المدير فقط، بل وأكرَمنا)، حيث جُمع بين (بل والواو) في عبارة واحدة.

٢- الاقتراح:

صحة استعمال حرفي «بل» والواو (بل و) متتابعين للدلالة على الاستدراك **والعطف والتوكيد**، على تقدير أنّ الواو عاطفة على مقدّر يدلّ عليه الكلام.

٣- التعليل: أ- في النحو:

المعروف أن (بل) حرف إضراب «فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب إما الإبطال، مثاله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦]، أي بل هم عباد، وإما الانتقال من غرض إلى آخر، ومثاله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأعلى ١٤-١٦]،

وهي في ذلك كله حرف ابتداء لا عاطفة على الصحيح... وإن تلاها مفرد فهي عاطفة نحو: (قام زيدٌ بل عمروٌ)». [النحو الوافي ٣/ ٦٢٧].

ويعني هذا أن (بل) في مسألتنا حرف انتقال وابتداء.

أما الواو فهي عاطفة على محذوف، فيكون التقدير: (استقبلنا المدير بل تفضَّل علينا وأكرمنا). وإذا قلت : «كان الخطاب بليغاً بل ومقنعاً» على تقدير الواو عاطفة، دللت بذلك على اجتماع تينك الصفتين«البلاغة والإقناع» في «الخطاب»، وكان التقدير: بل كان الخطابُ بليغاً ومقنعاً. والعطف على محذوف كثير في العربية؛ يقول ابن هشام في المغني [٨٥٣]: «الحذف الذي يلزم النحويَّ النظرُ فيه ما اقتضته الصناعة، ذلك بأن يجد خبراً بدون مبتدأ أو بالعكس، أو شرطاً بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفاً بدون معطوف عليه، أو معمولاً بدون عامل».

وبذلك تكون «بل» قد دلّت على الاستدراك والانتقال الإضرابي، والواو العاطفة عطفت ما بعدها على محذوف مقدّر يدلّ عليه ما قبل «بل»، عطفاً دالًّا على الجمع؛ وبدا لك من اجتماعهما أيضاً معنى التوكيد، توكيد المعطوف والمعطوف عليه.

وقد حمل الأستاذ عباس حسن في النحو الوافي [٣/ ٦٢٧] ذلك على زيادة الواو بعد (بل)، وعدَّه من المسموع الفصيح القليل، واستدلّ له بما رُوِي من قول علي رضي الله عنه و نُسِب إليه: «إنما يحزن الحَسَدةُ أبداً لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشر فقط بل ولما ينال الناس من الخير أيضاً»[(١)].

(١) كلمة عليّ ﷺ هذه وردت في ما جمعه ابن أبي الحديد في آخر شرحه لنهج البلاغة، وساقه في قسم أسماه (الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب) ٢/ ٣٣٢.

ب- في الاستئناس:

ورد مثل هذا التركيب في مواضع كثيرة أهمها:

- بيت الشاعر أبي نواس: [ديوانه ٥١١]

ما حُجَّتي فيما أتيتُ وما قولي لربِّي بل وما عذري

- قول ابن حزم الأندلسي في رسائله [٢/ ٢٧٤]: «فمحال أن تكون حقَّت بالحق حقيقته، بل ويحق عندنا بالحق على معنى الدلالة عليه أنه الحق المبين».
- قول البيروني في كتاب: (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة) [١/ ٩]: «وربما سمجت كما يوجد مثله في سائر الملل بل وفي الإسلام».
- قول ابن كثير في السيرة [٤/ ٧٦]: «ذكر محمد بن إسحاق ثم الواقدي والبخاري ثم البيهقي بعدهم من الوفود ما هو متقدم تاريخ قدومهم على سنة تسع بل وعلى فتح مكة».
- وجاء في كتاب: (نحو إتقان الكتابة العلمية) للدكتور مكي الحسني [٢٢٨]: «وقد تزاد الواو بعد بل فتفيد هذه الأداة الجديدة (بل و) الاستدراكَ مع الإضافة، وقد استعملها الأقدمون منذ القرن الهجري الثاني.. واستعملها ابن الرومي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون وابن الجزري وكثير غيرهم». العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

صحة استعمال حرفي «بل» والواو (بل و) متتابعين للدلالة على الاستدراك والعطف والتوكيد، على تقدير أنّ الواو عاطفة على مقدّر يدلّ عليه الكلام.

* * *

(٢٠٥)
ثارَ ضدَّ الاحتلال

١- المسألة:

يخطِّئ بعض اللغويين عبارة: (ثارَ ضدَّ الاحتلال) ونحوها، والصواب عندهم أن يقال: (ثارَ بالاحتلال).

٢- الاقتراح:

جواز قولهم:(ثارَ على الاحتلال، وثار ضدَّ الاحتلال)، وفصاحةُ الأول.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- لسان العرب: «ثارَ الشيء ثَوْراً وثُؤوراً وثَوَراناً: هاجَ... وثارَ إليه ثَوراً: وَثَبَ.. وثارَ به الناسُ: وَثَبوا عليه».
- تاج العروس: «ثارَ الشيءُ: هاجَ.. وقد ثاروا إليه إذا وَثَبوا.. وثارَ به الناس: أي وَثَبوا عليه.. وثوَّرَ عليهم الشرَّ: إذا هيَّجَهُ وأظهرَه».
- الوسيط: «ثارَ: هاجَ وانتشرَ.. وثارَ به الناس: وَثَبوا عليه.. تَثَوَّرَ: ثارَ».

ب- في الصرف والدلالة:

يتضح مما سبق أن الفعل (ثارَ) -مجرَّداً- يعني هاجَ وانتشرَ، وأن هذا الفعل يعدَّى بالباء وإلى للدلالة على معنى الخروج على الشيء والوَثْب عليه لتغييره كما ورد: «ثارَ به الناسُ، وثارَ إليه الناسُ: إذا وثبوا عليه».

وقد ناقش بعض اللغويين العبارة الأولى مثل: (ثاروا على الاحتلال) وذهبوا إلى تجويزها على قاعدة تعاقب حروف الجر وتبادل الدلالات فيما بينها في بعض المواضع. على أنّ لنا مندوحة عن هذا الوجه من التخريج؛

لأنّ تعدية الفعل «ثار» بحرف الجرّ «على» قديمة وردت في عبارة كثير من المصنّفين القدماء منذ القرن الثالث الهجري على الأقلّ وروداً ينصر قول الناس دون تأويل، وربّما كان في قول بعض العرب: (ثار حابلُهم على نابلهم) ما يؤنس هذا الاستعمال إيناساً يرقى به إلى حدّ الفصيح.

أما العبارة الثانية وهي: (ثارَ ضدَّ الاحتلال) ونحوها فإنها أجيزت بمعنى (ثار مخالِفاً ومضاداً الاحتلال)، فتكون كلمة (ضد) في موقع الحال أو موقع صفة للمصدر المحذوف، كأنه قيل: (ثارَ ثوراناً مضاداً ومخالفاً للاحتلال).

د- في الاستئناس:

- في العقد الفريد لابن عبد ربّه (ت ٣٢٨هـ): «كان ثار عليه ثائرٌ بغربيّ بَلْدة، وهي مدينة بالأندلس، فغزاه فظَفِر به وأسرَه،...».(ط دار الكتب العلمية ٥/ ٢٣١).
- وفي فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ): «... فثار عليه بعد خروج كلثوم يريد بربرَ طنجة، عكّاشةُ بنُ أيّوب الفزاريّ من ناحية قابس، وهو صفريّ، وأرسل أخاً له...». (ط مكتبة الثقافة الدينية ٢٤٧)
- وفي كتاب المحن للتميمي (ت ٣٣٣هـ) : «قال أبو العَرَب: وكان سبب قتل عباس ابن الوليد الفارسيّ الْمُحَدّث أنَّ أهل مدينة تُونُسَ ثاروا على الأمير زيادةِ الله بن إبراهيمَ بن الأغْلَب التميميّ سنة تسع ومئتين....».(ط دار الغرب الإسلامي٢٣٣)
- قال أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ) : «قال أبو زيد: يقال للقوم إذا أوفَوا على الشرّ والفساد: قد ثار حابلُهم على نابلهم.» (الأمثال، دار المأمون للتراث، ٣٥٤)

- قال الأزهريّ (ت ٣٧٠هـ): «ومن أمثال العرب في الشِّدَّة تُصيب الناسَ: قد ثَارَ حابِلُهم على نابِلهمْ. والحابِلُ الذي ينصب الحِبَالَةَ، والنابلُ الرَّامي عن قوسه بالنّبل، ويكون النابلُ صاحبَ النبل. وقد يُضْرَب هذا مثلاً للقوم تنقلب أحوالُهُم ويثُور بعضُهم على بعض بعد السّكون والرخاء».(تهذيب اللغة، دار إحياء التراث (حبل) ٥/ ٥٤).
- وقال أبو هلال العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ): «قولهم: ثار حابلهم على نابلهم، مثلٌ يُضْرَب لفساد ذات البَين وهَيْج الشّرّ. والحابل: صاحِبُ الحبالة، وهي الشبكة، والنّابل: صاحب النبل، أي قد اختلط القَومُ من شدَّة الشّرّ، فصغيرُهم يثور على كبيرهم، وكبيرُهم على صغيرهم».(جمهرة الأمثال، دار الفكر- بيروت،١/ ٢٨٨)

وهذه النصوص تشهد لهذا الاستعمال «ثار على» بالصحة والفصاحة.

- أجازها مجمع القاهرة في الألفاظ والأساليب (١/ ١٢٣).

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم:(ثارَ على الاحتلال، وثار ضدَّ الاحتلال)، وفصاحةُ الأول.

* * *

(٢٠٦)
جاهزيَّة وجُهوزيَّة

١- المسألة:

تشيع على ألسنة الكتَّاب والمتكلمين كلمتا: (الجاهزية والجُهوزية)

بمعنى تمام الاستعداد والتهيُّؤ للفعل، ويختلف المتكلمون في أيهما الصحيح أو الأصح.

٢- الاقتراح:

صحة استعمال كلمة (جاهزية) و(جُهوزية)، وإضافتهما إلى المعجم العربي بمعنى تمام الاستعداد والتهيؤ للفعل.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- في لسان العرب: «جهَّزتُ الجيشَ.. وتجهيز الغازي: تحميله وإعداد ما يحتاج إليه في غزوةٍ.. وجَهَزَ على الجريح وأَجهزَ: أثبتَ قَتْله.. أجهزتُ على الجريح: إذا أسرعتُ قتله وتمَّمتُ عليه».
- وفي القاموس المحيط (نجز): «الناجز والنَّجيز: الحاضر.. وأَنجَزَ على القتيل: أجهزَ.. ونَجَزَ الوعدُ: حَضَرَ. ووَعدٌ ناجزٌ ونَجيز».
- في الوسيط: «جَهَزَ على الجريح جَهْزاً: أسرعَ في قتله وتمَّمَ عليه. وتجهَّزَ للأمر: تهيَّأَ».

ب- في الصرف والدلالة:

من الواضح أنّ الفعل الثلاثيّ «جَهَزَ» لم يرد في المعاجم للدلالة على الاستعداد والتهيّؤ للفعل. لكنّ لنا على قاعدة تكملة فروع المادّة اللغويّة التي ذُكِر بعضها، وغاب بقيّتها، وهي بعض ما رآه وقرّره مجمع اللغة العربيّة في القاهرة أن نقدّر الفعل «جَهَزَ» بمعنى استعدّ للأمر وتهيّأ له، وأن نبني منه اسم الفاعل «جاهز»، وهو من الألفاظ الشائعة المستعملة عند المعاصرين، ثمّ نصوغ منه المصدر الصناعيّ «الجاهزيّة».

وأمّا كلمة «الجُهُوزيّة» بالمعنى نفسه فيمكن أن نستند في إجازتها وتفسيرها إلى القياس، اعتماداً على ما قاله الفرّاء، وتابعه فيه بعض العلماء.

قال الفرّاء: «والعرب تقول: فَعَل ذلك في غُلوميّته، وفي غُلومته، وفي غُلاميته. وسمع الكسائيّ العرب تقول: فعل ذلك في وليديته يريد: وهو وليد، أي: مولود. فما جاءك من مصدر لاسم موضوع، فلك فيه: الفُعولة، والفُعوليَّة، وأن تجعله منسوباً على صورة الاسم، من ذلك أن تقول: عبدٌ بيِّن العُبودية، والعُبودة والعبديّة، فقس على هذا».(معاني القرآن ٣/ ١٣٧)

فمن الواضح أنّ الفرّاء أجاز بناءَ المصدر، وهو يريد عند التدبّر المصدر الصناعيّ من اسم الذات قياساً على «فُعُولة» و«فُعُوليّة»، وبزيادة ياء النسبة فيه.

وقد بيّنَ ابنُ عادل الدمشقيّ ذلك، وقيّده بكلّ اسم ليس له فعل معروف، كأنّه يريد به الفعل الثلاثيّ، فقال : «قال الفراء: «يقال: غلام بيِّن الغُلومة والغُلومِيَّة والغُلاميَة، قال: والعرب تجعل مصدر كلّ اسم ليس له فعل معروف على هذا المثال، فيقولون: عبد بَيِّنُ العُبودية والعُبَاديَّة – يعني لم تتكلم العرب من هذا بفعل». (تفسير اللباب ، ٥/ ٢٠٣)

ولو نظرت فيما ساقه ثعلبٌ وأبو سهل الهرويّ (ت ٤٣٣هـ) من شواهد هذا القبيل وأمثلته نحو : «الرُّجوليّة، اللُّصوصيّة، الحُروريّة، الفُروسيّة «لوجدت فيها ما يلقي في نفسك شعوراً بالطمأنينة، ويؤيّد قول الفرّاء بسند من السماع والاستعمال. (انظر الفصيح، ٢٨٢، وإسفار الفصيح للهروي ١/ ٥١٤-٥١٩).

وقد التقط ابنُ المُرحَّل (ت ٦٩٩هـ) ذلك، وعبّر عنه في نظم فصيح ثعلبٍ، فقال:

والخالُ أيضاً بيّنُ الخوؤلة وابنِ الفُعُوليّة والفُعُولة
للعبد والغلام ثمّ الرَّجُل وقِس على هذا المثال وقُلْ

(متن موطّأة الفصيح نظم فصيح ثعلب، دار الذخائر - الرياض، ٦٢)

ومن هنا يمكن أن يُقال: يجوز أن تكون كلمة «جُهوزيّة» مصدراً صناعيًّا مقيساً، بمعنى الاستعداد للأمر والتهيُّؤ له، بُني من اسم الذات «الجهاز»، وهو ما يُحتاج إليه في التهيّؤ والاستعداد لأمر من سفر وعرس وغزو وموت.

ج- في الاستئناس:

- أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة «الجاهزيّة» في كتاب الألفاظ والأساليب (٤/ ٣٧٩).
- أورد معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر اسم الفاعل (جاهز) بمعنى (مُهيَّأ وحاضر) وهو ما لم تذكره المعاجم القديمة.

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

صحة استعمال كلمة (جاهزية) و(جُهوزية)، وإضافتهما إلى المعجم العربي بمعنى تمام الاستعداد والتهيؤ للفعل.

* * *

(٢٠٧)
أجهضَ الأمرَ بمعنى أحبطَه

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال اللغوي المعاصر الفعل (أجهضَ) بمعنى أحبطَ أو جعلَ الأمر غير نافذ، وليس للفعل هذه الدلالة في المعاجم العربية، وهو ما جعل بعضهم يماري فيه.

٢- الاقتراح:

جواز استعمال الفعل (أَجهضَ) بمعنى أحبطَ الأمرَ ومنعَه قبل تمامه، وإضافة هذه الدلالة إلى المعجم العربي.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- لسان العرب (جهض): «أَجْهَضَتِ الناقة إجهاضاً: ألقت ولدها لغير تمام، وهي مُجْهِض.. وأَجْهَضَتْ جنيناً: أسقطت حملها».
- المصباح (جهض): «أجهضت الناقةُ والمرأة جنينها أو ولدها، إذا أسقطته ناقص الخلق».
- الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي (٣/ ١٠٢١): «أجهضتُ الرجلَ بمعنى قهرته وأذللته. ومنه قول معاوية لابن عباس: إنّك لم تنازع قطُّ رجلاً إلّا أجهضتَه وأمضضْتَه».
- الوسيط: «الإجهاض: خروج الجنين من الرحم قبل الشهر الرابع».

ب- في الدلالة:

يبدو قولُ المعاصرين «أجهضَ الأمر، بمعنى أحبطه» للمتأمّل في ضوء النصوص اللغوية السابقة، قولاً سائغاً بُني على ضرب من الاتّساع أو الانتقال المبنيّ على المجاز والاستعارة، نُقِل من قول العرب: «أجهضتْ جنينَها أو ولدها، إذا أسقطتْه ناقصَ الخلق، لغير تمام»، نقلاً من الحقيقة إلى المجاز، فما كان كذلك كان مصيرُه الموت قبل تمامه، وما أُجهِضَ من الآمال والآراء والمشروعات وسائر الأمور حملاً على ذلك كما في استعمال المعاصرين كان مآلُه الإخفاق، وحُرِم الحياةَ، وحيل بينه وبين النور.

ولك أن تقول: نُقِل ذلك على وجه المجاز والاستعارة من قول العرب: «أجهضتُ الرجلَ بمعنى قهرته وأذللته».

ج- في الاستئناس:

أجاز ذلك مجمع اللغة العربية في القاهرة في قائمة الألفاظ والأساليب الدورة (٧٨) للعام ٢٠١٢. العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز استعمال الفعل (أَجهضَ) بمعنى أحبطَ الأمرَ ومنعَه قبل تمامه، وإضافة هذه الدلالة إلى المعجم العربي.

* * *

(٢٠٨)

عدم جواز قولهم: (حضرَ الرئيسُ ساعةً بعد وصول الوفد)

١- المسألة:

يشيع في لغة وسائل الإعلام المعاصر عبارات من مثل: (حضرَ الرئيسُ ساعةً بعد وصول الوفد)، وهم يعنون: (حضر الرئيس بعد ساعة من وصول الوفد).

ويتساءل بعضهم عن صحة مثل هذا التركيب أو جوازه.

٢- الاقتراح:

عدم جواز قولهم: (حضر ساعةً بعد كذا) بمعنى (حضر بعد ساعة من كذا)، والصواب أن يقال في المثال: (حضر الرئيس بعد ساعة من وصول الوفد).

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

الكلمتان (بَعْدَ، وساعةً) في مثل هذه التراكيب هما ظرفا زمان؛ الأول مبهم والثاني مختص أو محدود. وما يفهم من عبارة المثال في العربية أن الرئيس حضرَ لمدة ساعة بعد أن وصلَ الوفد، وليس هذا المعنى هو المقصودَ عندهم.

فكلمة (ساعة) لا يجوز اعتبارها ظرفاً لأن الظرف يجب أن يكون متضمِّناً معنى (في)، ولا يصح هنا تضمينها معنى (في)، إذ لا يقال: (حضرَ في ساعةٍ بعد وصول الوفد) إلا إذا قُصد: (حضرَ في غضون ساعة من بعد وصول الوفد)، والأوجَه أنها ليست بظرف، بل هي اسم متصرِّف، وبهذا يكون معنى (حضرَ ساعةً) هو: حضرَ مُدَّة ساعة، فإذا أريد مقدار مدة الحضور قيل: (حضرَ ساعةً بعد وصول الوفد)، وإذا أريد زمان الحضور ووقته قيل: (حضر بَعْدَ ساعةٍ من وصول الوفد).

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

عدم جواز قولهم: (حضر ساعةً بعد كذا) بمعنى (حضر بعد ساعة من كذا)، والصواب أن يقال في المثال: (حضر الرئيس بعد ساعة من وصول الوفد).

* * *

الفهارس العامة
للمجلد الثالث والتسعين

أ- فهرس أسماء
كتّاب المقالات

د. إبراهيم عبد الله	١٧٣
د. أحمد قدور	٢١٥
د. رضوان الداية	٧٣، ٤٠١
د. رفعت هزيم	١٤٩
د. عباس الجراخ	٩٩، ٤٦٥
د. عبد الإله نبهان	٥٣٥
د. عبد الناصر عساف	٥٩، ٥٠٩
د. عيسى العاكوب	١٣٣، ٣٦١
د. فاروق اسليم	٣٧١
د. لبانة مشوّح	٥٤٧
د. لطفية برهم	٤٤٥

د. مازن المبارك ١٦٥، ٥٣١

د. محمد جمعة الدربي ١٨٧

د. محمود أحمد السيد ١١، ٣١٩

د. مروان المحاسني ٣١١

د. مكي الحسني ١٢٩، ٤٩٥

د. ممدوح خسارة ٤١، ٣٤٥

د. ميخائيل معطي ٢٥١

د. وليد السراقبي ٢٠٥

أ. يوسف البواب ٥٠١

* * *

ب- فهرس عناوين المقالات

إشكالية ترجمة المشترك اللفظي في القرآن الكريم ٥٤٧
أضواء على المشكلة اللغوية العربية ٢٠٥
الاعتراض بعد الحض ٥٠١
أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في مطلع عام (١٤٤١هـ-٢٠٢٠م) ٢٨٧
البحث العلمي في مسيرة البناء والتقدم ٢٥١
بل هو أسلوب صحيح فصيح ٥٠٩
بين استيحاء الأحوال واستحلاء الأنغام ٧٣
تجارب في إيقاع الشعر حتى نهاية العصر الأموي ٣٧١
تعزية لرئيس مجمع اللغة العربية الأردني ٥٧٧
تعقيب لجنة اللغة العربية على مقالة الدكتور إبراهيم عبد الله ١٨١
تكملة مادة لغوية (أمِن، أَمرَ، حدَث، وصل) ٤١
تكملة مادة لغوية (بَحَث، بَدَر، شَعَب، فَوَض) ٣٤٥
جرى الحديث بيننا بمودة بل وبصراحة ١٧٣
خطر الهجين اللغوي في مواقع التواصل الاجتماعي على لغتنا العربية ٣١٩
ديوان الشاب الظريف ٤٦٥
شفيق جبري واللغة ٤٤٥
صلى يصلِّي صلاة ١٢٩
عناصر تداولية في الدرس اللغوي العربي ٣٦١
العين والأثر فيما نظمه الشعراء في العصر الحديث ٤٠١
فهرس المجلد الثالث والتسعين ٥٩٧

في مرآة التكاثر اللغوي قراءة في شيء من مادة (جوز) ٥٩
كتاب جواهر القرآن ونتائج الصنعة ١٦٥
الكتب والمجلات المهداة إلى مكتبة المجمع ٢٨٣
لمحة إلى كذا ٤٩٥
مبادئ التشكيل الصوتي: مراجعة وتقييم ٢١٥
مجمع دمشق من المجمع العلمي العربي إلى مجمع اللغة العربية ١٤٩
مرايا الحكايا: وجها شمس ومولانا في حكاية رقعة الكنز في المقالات والمثنوي ١٣٣
المستدرك على ديوان ابن النقيب الفقيسي ٩٩
مستوى الأداء اللغوي في التعليمين العام والجامعي لدى الطلاب والمدرسين ١١
المصطلح العلمي في معاجم المجمع المصري ١٨٧
معجم موسوعي للمصطلحات الأنثروبولوجية ٥٣٥
من قرارات مجلس المجمع في الألفاظ والأساليب ٢٦٩، ٥٨١
موقع اللغة العربية في الفكر العالمي ٣١١
نعي فاضل ٥٧١
وهيب دياب وتكملة التاج ٥٣١

* * *

تنضيد وإخراج: عمار البخاري